١

ٱلْفِعْلُ ٱلْاِسْمُ ٱلْحَرْفُ (١)

مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ (٢) وَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ، دَخَلَ أَسَدٌ بَيْنَ (٣)
ثَوْرَيْنِ (٤)، لَمَّا مَرِضَ (٥) رَغِبَ طَبِيبًا، كُلُّ مَنْ (٦) تَرَكَ ٱلذَّنْبَ (٧)
وَعَمِلَ ٱلصَّالِحَاتِ (٨) لَقَدْ أَمِنَ ٱلْعَذَابَ، إِنْ كَثُرَ (٩) ٱلْأَهْلُ وَقَدْ كَثُرَ
ٱلْغَمُّ، حَسُنَ وَجْهُهُ، كَبُرَ عَلَيْهِ (١٠) ذٰلِكَ، أُولٰئِكَ (١١) ٱلَّذِينَ (١٢)
لَعَنَهُمُ ٱللّٰهُ، هُوَ (١٣) بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، هُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ، هُوَ
خَيْرٌ لَهُ، مَا هُمْ بِضَارِّينَ (١٤) بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللّٰهِ، مِنْهُمْ مَنْ
كَفَرَ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ (١٥)، مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ، إِنَّكَ
إِذًا لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ، ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ٱلرَّحْمٰنِ (١٦) ٱلرَّحِيمِ
مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ، ذٰلِكَ (١٧) ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ (١٨) فِيهِ (١٩)، إِنَّكَ
أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ، إِنَّ (٢٠) ٱللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي ذٰلِكُمْ (٢١)
بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ، لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ، إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولٰئِكَ

٢

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ (٢٢) مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ، إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوَاتِ (٢٣) وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ (٢٤)، لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٥)، ٱللّٰهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ، هٰذَانِ ٱلشَّخْصَانِ رَجُلٌ وَٱمْرَأَةٌ أَوْ رَجُلَانِ أَوِ ٱمْرَأَتَانِ (٢٦)، حَسْبُهُ جَهَنَّمُ (٢٧) وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ، لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ كَانُوا (٢٨) هُودًا أَوْ نَصَارٰى، إِنَّ هُدَى (٢٩) ٱللّٰهِ هُوَ ٱلْهُدَى، لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، أُولٰئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللّٰهِ كَمَثَلِ آدَمَ،

٣

الفِعْلُ ٱلسَّالِمُ ٱلْمَزِيدُ (١) فِيهِ

حَارَبَهُ وَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ، إِحْتَفَرَ خَنْدَقًا عَلَى عَسْكَرِهِ، مَلَّكَهُ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، اِنْصَرَفَ عَنِ ٱلْهِنْدِ وَخَلَّفَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلَ عَلَيْهِمْ، مَكُثَ بُرْهَةً مِنَ ٱلدَّهْرِ، اِسْتَصْغَرَ أَمْرَهُمْ، تَعَاقَدَا عَلَى هٰذَا، أَنْفَذَ فَأَحْضَرَهُمَا وَشَاطَرَهُمَا بِمَالِهِ، اِسْتَعْمَلَ ٱلْعَقْلَ وَأَبْصَرَ ٱلْعَاقِبَةَ فَأَمِنَ ٱلنَّدَامَةَ، اِنْطَلَقَ أَكْبَرُهُمْ (٢)، تَرَكَ ٱلثَّوْرَ وَٱلْتَحَقَ بِٱلتَّاجِرِ، تَكَلَّفَ مَا لَيْسَ مِنْ شُغْلِهِ، إِنَّ دِمْنَه اِنْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، اِسْتَغْفَرَ إِلَى رَبِّهِ، لَمَّا قُدِّمَ لِلْقِصَاصِ تَقَدَّمَ ٱلنَّاسِكُ إِلَى ٱلْقَاضِي،

٣

حَدَثَ مَا قُدِّرَ، مَنْ ذَا ٱلَّذِى غَالَبَ ٱلْقَدَرَ، خُولِطَ فِى عَقْلِهِ، صُدِّقَ بِمَا سُمِعَ وَٱنْخُدِعَ، اِبْيَضَّ وَجْهُهُ وَٱسْوَدَّ يَدُهُ، سُلَحْفَاةٌ وَأَرْنَبٌ مَرَّةً تَسَابَقَا، تَقَاسَمُوا ٱلْمَالَ بَيْنَهُمْ، تَمَارَضَ ٱلْأَسَدُ، أُلصَّادِقُ تَعَاظَمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ، اِرْبَادَّ وَجْهُهُ، اِبْهَارَّ ٱللَّيْلُ،

٣

تَصْرِيفُ ٱلْفِعْلِ ٱلسَّالِمِ (١)

لَا يَثْقُلَنَّ ذٰلِكَ عَلَيْكَ، يَا نَفْسِي (٢) ٱنْظُرِى فِي أَمْرِكِ، أَلَا تَعْرِفِينَ نَفْعَكِ (٣) مِنْ ضَرِّكِ، وَٱللّٰهِ (٤) لَأَسْكُتَنَّ حَتَّى أَنْظُرَ (٥) مَا ذَا يَصْنَعُ، اُسْجُدُوا آدَمَ، يَا آدَمُ (٦) ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ، لَا تَقْرَبَا (٧) هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ، اِعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ، لَا تَلْبِسُوا (٨) ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، اُقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ، زَعَمُوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا (٩)، لَا يُقْبَلُ مِنَ ٱلنَّفْسِ شَفَاعَةٌ، يَا مَرْيَمُ (١٠) ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ، فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ، لَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ (١١)، مَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ ٱللّٰهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ، قُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا، لَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ، بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ، ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ، بَسَطْتَ (١٢) إِلَىَّ (١٣) يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى، لَا تَنْهَرْهُمَا، لَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ

شَرِيكًا، هٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ، إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا، لَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ، أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا، كَانَا يَنْطَحَانِ (١٤) يِقْرُونِهِمَا (١٥)، إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ ٱللّٰهِ يُكْفَرُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ، طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ، لَا تَكْتُبَانِّ فِى هٰذَا ٱلْكِتَابِ، لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ أَمْوَاتًا (١٦)، مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ، لَعَتَبُنَّ، لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ، لَوْ كَانَ (١٧) فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ آلِهَةٌ إِلَّا ٱللّٰهُ لَفَسَدَتَا، لَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا، ٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ، رَبَّنَا (١٨) ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، رَبِّ ٱنْصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ

۴

(١) تَصْرِيفُ الفعل السالم ٱلْمَزِيدِ فِيهِ

بُورِكْتَ (٢) مِنْ حَكِيمٍ نَاصِحٍ لِلْمَلِكِ، ٱلَّذِى يَسْتَخْرِجُ ٱلسُّمَّ مِنْ نَابِ ٱلْحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ لِيُجَرِّبَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ ٱلذَّنْبُ لِلْحَيَّةِ، لَا يَضْطَلِعُ (٣) بِهٰذَا ٱلْأَمْرِ غَيْرُكَ، مَنْ خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ كَانَ أَهْلًا (٤) أَنْ يُخَالِطَهُ ٱلرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَدَّخِرَ (٥) عَنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكْتُمَهُ سِرًّا، يُدَاخِلُنِى مِنْ مَوَدَّتِكَ سُرُورٌ لَا يَعْدِلُهُ شَىْءٌ، قَدْ يُقَالُ (٦) فِى أَمْرَيْنِ لَا يَجْمُلَانِ بِكُلِّ أَحَدٍ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُشَارِكَ فِى مُلْكِهِ وَٱلرَّجُلُ

أَنْ يُشَارِكَ فِي زَوْجَتِهِ، إِنَّ ٱلْفِيلَ ٱلْمُعْتَرِفَ (٧) بِفَضْلِهِ إِذَا قُدِّمَ إِلَيْهِ
عَلَفُهُ لَا يَعْتَلِفُهُ حَتَّى يُمْسَحَ وَيُتَمَلَّقَ، رَاجِعْ عَقْلَكَ، ٱلرَّجُلُ ٱلشَّدِيدُ
ٱلْقَوِيُّ لَا يُعْجِزُهُ ٱلْحِمْلُ ٱلثَّقِيلُ، إِنْجِفِي بِهِ صَدِيقَكَ، أَخْرِجْنِي مِنْ
ظُلُمَاتِ (٨) ٱلظَّالِمِينَ، إِدْلَنْجِبْ (٩) ٱلدَّسْكَرَةَ فِي هَيْئَةٍ مُنْكَرَةٍ (١٠)،
إِنَّ مُصَاحَبَةَ ٱلسُّلْطَانِ خَطَرَةٌ وَإِنْ صُوحِبُوا بِٱلسَّلَامَةِ وَٱلْمَوَدَّةِ، وُفِّقْنَا
لِرَأْيٍ وَٱجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ، تَبَاعَدْ مِمَّنْ لَا رَغْبَةَ فِيهِ، لَأَنْ تُعَذَّبَ فِي
ٱلدُّنْيَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعَذَّبَ فِي ٱلْآخِرَةِ، إِحْمَرَّتْ خَجَلًا، لَأَتَّبِعُهُنَّ (١١)،
أَنْتَ رَجُلٌ لَا تَدَّخِرُ شَيْئًا، اسْتَعْمِلْ رَأْيَكَ وَلَا تَحْزَنْ لِقِلَّةِ ٱلْمَالِ، قَارِبْ
عَدُوَّكَ بَعْضَ ٱلْمُقَارَبَةِ وَلَا تُقَارِبْهُ كُلَّ ٱلْمُقَارَبَةِ، ٱلَّذِي يُفْسِدُهُ ٱلْحِلْمُ
لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا ٱلْعِلْمُ، الْعَقْلُ شَبِيهٌ بِٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي لَا يُدْرَكُ غَوْرُهُ،
هُمْ يَسْتَصْغِرُونَ مَا يَرْتَكِبُونَ بِهِ مِنْ عَظِيمِ ٱلذُّنُوبِ (١٢)
وَيَسْتَعْظِمُونَ ٱلْيَسِيرَ إِذَا خُولِفَتْ فِيهِ أَهْوَاؤُهُمْ (١٣)، أَمَرَ ٱلْأَسَدُ
بِٱبْنِ (١٤) آوَى أَنْ يُخْرَجَ وَيُحْتَفَظَ بِهِ، زَعَمُوا أَنَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ
أَصْطَحَبُوا (١٥) فِي طَرِيقٍ (١٦) وَاحِدَةٍ، أَخْبَرْتُمَانِي بِمَا تَحْتَ ٱلْأَرْضِ،
لَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ، سَيَذَّكَّرُ (١٧) مَنْ يَخْشَى، يَتَخَافَتُونَ
بَيْنَهُمْ، بَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ، فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ،
تَظَاهَرُونَ (١٨) عَلَيْهِمْ بِٱلْإِثْمِ، أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمِ ٱلْعِجْلَ، قَاتِلُوا
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ، أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ،

٦

اِسْتَغْفِرُوا ٱللّٰهَ، أَنْفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ، مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَةِ ٱللّٰهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ اِلَيْهِ جَمِيعًا، تَوَكَّلْ عَلَى ٱللّٰهِ، قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا، يَحْكُمُونَ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ ٱللّٰهِ، اصْطَنَعْتُكَ (١٩) لِنَفْسِى، اِطَّهَّرُوا (٢٠)، أُدْخِلُوا نَارًا، اِنْطَلَقَا حَتَّى اِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا، اِنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ، اِنْطَلِقُوا اِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ، سَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ اِذَا ٱنْقَلَبْتُمْ اِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢١)، تَنَازَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ، تَنْقَلِبُونَ خَاسِرِينَ، اِنْقَلَبَتِ ٱلْأَرْنَبُ اِلَى جُبٍّ فِيهِ مَآءٌ غَامِرٌ فَاطَّلَعَتْ (٢٢) فِيهِ، اِثَّاقَلْتُمْ (٢٣) اِلَى ٱلْأَرْضِ، لَمَّا رَجَعَ اِلَيْهِ ٱحْدَوْدَبَ (٢٤) وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ،

٥

تَصْرِيفُ ٱلْفِعْلِ (١) ٱلْمَهْمُوزِ

مَا مَنَعَكَ اَلَّا (٢) تَسْجُدَ اِذْ اَمَرْتُكَ، أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ (٣) لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، آمِرْهُمْ (٤) فِى ٱلشَّىْءِ، هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ اِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ، آمِنُوا كَمَا آمَنَ ٱلنَّاسُ، أَتُحِبُّونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ، اِفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ، اِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ، مُرْ (٥) لِى بِالْأُجْرَةِ، أُحِبُّ مِنْكُنَّ اَيَّتُهَا ٱلطُّيُورُ (٦)

٧

أَنْ تَفْقِدُوا عَيْنَيْهِ، اِئْتَمِرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، لَا تَسْأَلِي عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَخْبَرْتُكِ بِهِ لَمْ آمَنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ، اِبْتَدِهْ مِنْ أَوَّلِهِ، إِنَّمَا نَبَّأْتُكَ بِمَا فِيهِ مَلَاحٌ لَكَ، إِنَّكَ قَدْ مَلَأْتَ النَّاسَ عَلَيْنَا، خُذْ (٧) مَعَكَ مِنَ الْمَالِ مَا تُحِبُّ، الْعَاقِلُ لَا يَسْتَأْنِسُ إِلَى الْعَدُوِّ الْأَرِيبِ، أَنْبِئُونِي بِذَلِكَ الشَّيْءِ، اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ أَخْطَأْنَا، سَلْ (٨) بَنِي (٩) إِسْرَائِيلَ، لَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، الْمَاءُ بِبَرْدِهِ وَلِينِهِ يَسْتَأْصِلُ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ، جَعَلَ الْغُرَابُ يَئِنُّ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ، اُنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ (١٠) فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ (١١) مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ، إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ، يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ، أُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ، لَا يَتَّخِذُونَ (١٢) الرُّشْدَ سَبِيلًا، أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ عَلَى الظُّلْمِ،

٦

(١) تَصْرِيفُ الْمِثَالِ

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا، وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ (٢) لَيْلَةً، أَلَيْسَ لِلْمَوْتِ تُولَدُونَ، صِفْ لِي ذَلِكَ، إِذَا اتَّصَلَ بِكُمْ خُرُوجِي (٣) مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ، اللَّهُمَّ (٤) تُولِجُ اللَّيْلَ

فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ، لَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ، مَنْ يُضْلِلِ ٱللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا، ٱلْوَاجِبُ عَلَى ٱلْمَلِكِ أَنْ يَتَّعِظَ، إِنَّهُ كَلَامٌ يَكْرَهُهُ سَامِعُهُ وَيَبْتَهِجُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ، ٱسْتَيْقَظَ ٱلرَّجُلُ، دَعْ عَنْكَ ٱلْحُمْقَ، وَجَدْتُهُ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالِ(٥)، ٱلسِّرُّ إِذَا ٱسْتُودِعَ ٱللَّبِيبَ ٱلْحَافِظَ فَقَدْ حُصِنَ، كُنْتُ أَرْصُدُ ٱلنَّاسِكَ حَتَّى يَخْرُجَ وَأَثِبَ إِلَى ٱلسَّلَّةِ فَلَا أَدَعُ فِيهَا طَعَامًا إِلَّا أَكَلْتُهُ، لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ (٦) ٱلنَّاسِ عَلَى حَيٰوةٍ، مَا كَانَ ٱللّٰهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، لَا تَذَرْنِي فَرْدًا، ضَعُوا ٱلْهَدِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهَا، أُورِثْتُمْ (٧) ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، رَبِّ (٨) أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ (٩)، ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولٰئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ، تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللّٰهِ، ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللّٰهِ أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي، لَا يَيْأَسِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللّٰهِ، أَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَايَ(١٠)، مَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَأَهُ عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ، لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ،

٧

تَصْرِيفُ ٱلْفِعْلِ ٱلْأَجْوَفِ (١)

إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، ٱسْتَطَابُوا ذٰلِكَ ٱلْمَكَانَ (٢) وَٱسْتَوْطَنُوهُ، أَطَلْتَ ٱلْفِكْرَةَ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ، لَمْ نَحْتَجْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْتَ، تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ، لَئِنْ مُتُّمْ (٣) لَإِلَى ٱللّٰهِ تُحْشَرُونَ، لِنْتَ لَهُمْ، إِنْ زِدْتُمْ زِدْنَا وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا، قُولُوا مَا تُرِيدُونَ، تَجَاوَلَا سَاعَاتٍ مِنَ ٱلنَّهَارِ وَلَمْ يَزَالَا يَتَعَارَكَانِ، مِنَ ٱلنَّارِ لَا تَخَافُونَ وَإِلَى ٱلْجَنَّةِ لَا تَشْتَاقُونَ، تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ، سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ، لَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللّٰهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ (٤) إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللّٰهِ، يَا حَبِيبَةَ قَلْبِي نَامِي فَقَدْ بِتِّ سَاهِرَةً، لَوْ أَنَّ رَجُلًا وُهِبَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا بِمَا فِيهَا لَمْ يَكُ (٥) يَنْتَفِعُ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْقَلِيلِ، لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ، لَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُوا، ٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ، إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدَادُوا (٦) كُفْرًا لَمْ يَكُنِ ٱللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ، سِرْ بِٱلسَّلَامَةِ عَلَى عَوْنِ ٱللّٰهِ إِلَى حَضْرَةِ ٱلْمَلِكِ، لَمْ أَزْدَدْ فِي أَمْرِ ٱلنُّسْكِ نَظَرًا إِلَّا ٱزْدَدْتُ فِيهِ رَغْبَةً، ثُمَّ تَخَوَّفْتُ أَلَّا أَصْبِرَ عَلَى عَيْشِ ٱلنَّاسِكِ، إِنَّ ٱلَّذِي تَعَوَّدَ عَمَلَ ٱلْبِرِّ فَيَهُونُ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَإِنْ أُضِرَّ بِهِ، ٱسْتَغَاثَتِ ٱلطُّيُورُ إِلَى ٱلْعَنْقَاءِ وَصِحْنَ بِهَا، أَتَكُنَّ طَيْرٌ

مِثْلَنا فَأَعِنَّنا، خَرَجَ الى ٱلسَّفِينَةِ جَماعَةٌ مِنَ ٱلنَّاسِ يُرِيدُونَ يَتَبَاعُونَ مِمَّا فِيهَا مِنَ ٱلْمَتَاعِ فَجَلَسُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَرْكَبِ (٧)، كَانَ ٱلصَّيَّادُونَ (٨) كَثِيرًا (٩) يَتَدَاوَلُونَ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانَ يَصِيدُونَ فِيهِ ٱلْوَحْشَ، لَا تَخَافِي هٰذَا ٱلْإِنْسَانَ، إِحْتَلْ لِنَفْسِكَ، لَنْ أَنَالَ ٱلْفَرَحَ مَا عِشْتُ، قُومِي وَٱدْخُلِي عَلَيْهِ، كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللّٰهَ، قَدْ بَيَّنَّا (١٠) ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ، أَقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ، مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللّٰهَ عَلِيمٌ، إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ (١١) يَطَّيَّرُوا (١٢) بِمُوسَى، أَقْبَلْنَ إِلَيْهِ فَٱسْتَشَرْنَهُ، لَا تَهَابَنَّ مِنْهُ شَيْئًا، أَضْطَادَا مَا فِي ٱلْأَجَمَةِ، هُيِّجَ ٱلْأَسَدُ، بِتِ ٱللَّيْلَةَ عِنْدَنَا، تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَى (١٣)، مَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ، لَا يَؤُودُهُ حِفْظُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ، ٱللّٰهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَآءُ (١٤)، أَسَاءَتِ ٱلسِّيرَةَ (١٥)، أَعِدْ عَلَيَّ كَلَامَكَ كُلَّهُ وَلَا تَدَعْ مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا جِئْتَ بِهِ، لَبِسَتْ تِلْكَ ٱلْكِسْوَةَ وَمَرَّتْ بَيْنَ يَدَيِ (١٦) ٱلْمَلِكِ وَتِلْكَ ٱلثِّيَابُ تُضِيءُ عَلَيْهَا مَعَ نُورِ وَجْهِهَا كَمَا تُضِيءُ ٱلشَّمْسُ، إِنَّ ٱلَّذِي مَنَحَنِي ٱللّٰهُ وَحَبَاهُ لِي إِنَّمَا كَانَ بِقَدَرٍ، كَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ، لَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمْ تَتَهَيَّأْ لَنَا مُعَانَدَتُهُ، جِيءَ بِٱلنَّاسِ، أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللّٰهَ وَحْدَهُ، رُبَّمَا اعْوَجَجْتَ بَعْدَ مَا اسْتَقَمْتَ، ذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ،

٨

تَصْرِيفُ ٱلْفِعْلِ ٱلنَّاقِصِ (١)

إِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكَ، سَمِّهِمْ لِي لِأَعْرِفَهُمْ، كَيْفَ لَا يَسْتَحْلِي ٱلرَّجُلُ مَرَارَةً قَلِيلَةً تَعْقُبُهَا حَلَاوَةٌ طَوِيلَةٌ، صَافِ ٱلْخَلِيلَ وَنَافِ ٱلْبَخِيلَ، أُلْقِيَ فِي عُنُقِهِ حَبْلٌ وَٱنْطُلِقَ بِهِ إِلَى ٱلسِّجْنِ، إِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَخْفَى فَضْلُهُ وَإِنْ هُوَ أَخْفَاهُ، إِنَّمَا سُمِّيَ ٱلصَّدِيقُ صَدِيقًا (٢) لِمَا يُرْجَى مِنْ نَفْعِهِ، إِنَّ ٱلْعَدُوَّ (٣) ٱلذَّلِيلَ ٱلَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ أَقَلُّ أَنْ يُسْتَبْقَى، ٱصْطَفَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا، ٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ، تَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا، لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا، حُوشِيتَ أَنْ تَنْسَى مَا قُلْتَ بِٱلْأَمْسِ، مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا سَمُّوهُمْ لِي، طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ وَعَتَوْتَ وَعَلَوْتَ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ، ٱلْحِكْمَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى، ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ، أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ، أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَالَةَ بِٱلْهُدَى، ٱسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ، مَنِ ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَى، لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْخَوْفِ، لَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي، يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللهِ، لَنْ تَرْضَى عَنْكَ ٱلنَّاسُ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ، ٱسْتَوَى إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، تَلَقَّى آدَمُ مِنْ

رَبِّهِ كَلِمَاتٍ، أَغْنِنِي عَنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ، مَا لَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ فَلَا تَصْنَعْهُ لِغَيْرِكَ، إِنِ ٱنْتَهَوْا فَإِنَّ ٱللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، مَنْ يَتَعَدَّ (٤) حُدُودَ ٱللّٰهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ، إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا، مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٥)، بَلَوْتُ رَأْيَهُ وَمَكِيدَتَهُ وَقُوَّتَهُ (٦) فَٱسْتَبَانَ لِي أَنَّ ذٰلِكَ يَؤُولُ مِنْهُ إِلَى ضَعْفٍ وَعَجْزٍ، إِنَّ ٱللّٰهَ ٱصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ،

٩

تَصْرِيفُ ٱلْفِعْلِ ٱلْمُضَاعَفِ (ٱلْأَصَمِّ) (١)

يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ (٢) سَنَةٍ، لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ، لَا يَغُمَّنَّكَ مَا تَرَى، إِنَّ ٱلْعِلْمَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِٱلْعَمَلِ، إِنِّي لَمْ أَرْدُدْ (٣) أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ قَطُّ، وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، كَيْفَ ذٰلِكَ دُلَّ عَلَيْهِ، كُفَّ (٤) عَنِّي ٱلظَّالِمِينَ، ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ، إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللّٰهِ، لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ، لَمْ يَحُجَّ خَلِيفَةٌ (٥) مَاشِيًا غَيْرُهُ، لِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، ٱلنَّارُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللّٰهَ، ٱقْتَصَّ عَلَيَّ ٱلْخَبَرَ، لَمْ يَشُكُّوا فِي قَوْلِهِ، لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا، يَا أَخِي لَا تَغْتَمَّ (٦)، أَمَرَ ٱلْقَاضِي أَنْ يُقْتَصَّ

مِنْهُ، أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱللَّيْلِ، ٱتَّبِعُونِي (٧) يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ، إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا، أَعِدَّى لِي زَادًا، أَرْبَعَةُ (٨) أَشْيَاءَ لَا يُسْتَقَلُّ قَلِيلُهَا ٱلنَّارُ وَٱلْمَرَضُ وَٱلْعَدُوُّ وَٱلدَّيْنُ، كَيْفَ تَدُلَّانِنِي عَلَى كَنْزٍ، ٱسْتَعِدِّ عَلَيَّ، لَمْ يَكُنْ يَكْتُمُ صَاحِبَهُ نَصِيحَتَهُ وَإِنِ ٱسْتَثْقَلَهَا، ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ، مَنْ يَرْتَدِدْ (٩) مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ (١٠)، مَا يُضِلُّ إِلَّا ٱلْفَاسِقِينَ، ٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَآءُ، ٱضْطَرَّهُ إِلَى عَذَابِ ٱلنَّارِ، مَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ (١١)، إِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ، لَأُضِلَّنَّهُمْ، أَلِحَّى عَلَيَّ بِٱلسُّؤَالِ،

١٠

تَصْرِيفُ الفِعْلِ ٱلنَّاقِصِ ٱلْمَهْمُوزِ (١)

يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً (٢)، قُولُوا آمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لَمْ أَرَ فِي ٱلنَّاسِ رَجُلًا هُوَ أَرْضَى (٣) مِنْكَ عَقْلًا (٤)، ٱلْمَكْرُ وَٱلْخَدِيعَةُ لَا يُؤَدِّيَانِ إِلَى خَيْرٍ، فَلَمَّا (٥) سَمِعَ خُوَارَ ٱلثَّوْرِ كَانَ مُقِيمًا مَكَانَهُ (٦) لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ بَلْ يُؤْتَى بِرِزْقِهِ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى يَدِ جُنْدِهِ، عَلِمَ أَنَّ ٱلْأَسَدَ إِنْ لَمْ يَرَ مِنَ ٱلثَّوْرِ ٱلْعَلَامَاتِ ٱلَّتِي كَانَ ذَكَرَهَا لَهُ ٱتَّهَمَهُ وَأَسَاءَ بِهِ ٱلظَّنَّ، أَرِينِي مَوْضِعَ (٧) هٰذَا ٱلْأَسَدِ، كَانَ بِقُرْبِهِمَا فِي

السِّجْنِ فَهُوَ مُعْتَقَلٌ (٨) يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَلَا يَرَيَانِهِ ، أَمَرَ الْقَاضِي أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَهِ وَأُتِيَ بِهِ ، أَنَا لَازِمٌ بَابَكَ حَتَّى (٩) تُؤَاخِيَنِي ، أَلَيْسَ مِنْ سَفَهِي التَّكَلُّمُ (١٠) فِي الْأَمْرِ الْجَسِيمِ لَا أَسْتَشِيرُ فِيهِ أَحَدًا وَلَا أَرْتَأِي فِيهِ ، قَدْ يَنْبَغِي لَنَا نَحْزَنُ مَعَكَ وَنُوَاسِيكَ بِمَالِنَا ، إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ، لَيَأْتِيَنَّهُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً (١١) ، لَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ، الَّذِينَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ (١٢) ، لَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ، آتُوا الزَّكٰوةَ ، مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ، اللَّهُ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ، إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، خُذْ مَا آتَيْتُكَ ، رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ،

١١

تَصْرِيفُ ٱلْفِعْلِ ٱللَّفِيفِ (١) ٱلْمَفْرُوقِ

هَلْ (٢) يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، اِتَّقُوا ٱلنَّارَ ، أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ، ٱنْطَلَقَ هُوَ وَصَاحِبُهُ (٣) حَتَّى وَافَى ٱلشَّجَرَةَ ، اتَّقِ ٱللَّهَ ، أَوَلَيْسَ (٤) ٱلْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي عَذَابِ ٱلدُّنْيَا مِنْ حَيْثُ يَكُونُ جَنِينًا إِلَى أَنْ يَسْتَوْفِيَ حَيَاتَهُ ، أَيْنَمَا تُوَلُّوا

فَثَمَّ وَجْهُ ٱللّٰهِ ، أَعْيَا أَمْرُهُ ، قِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ، ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ، أَحَدُ ٱلْحَازِمِينَ مَنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ ٱلْأَمْرُ لَمْ يَدْهَشْ بِهِ وَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبُهُ شُعَاعًا وَلَمْ تَعْيَ بِهِ حِيلَتُهُ (٥) ٱلَّتِي يَرْجُو بِهَا ٱلْمَخْرَجَ (٦) مِنْهُ ، كَانَ ٱلْخَبُّ قَدْ أَمَرَ أَبَاهُ أَنْ يَذْهَبَ فَيَتَوَارَى فِي ٱلشَّجَرَةِ ، أَوْلِ ٱلْجَمِيلَ وَوَالِ ٱلْخَيْرَ ، مَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ ٱلْحَكِيمِ وَيُكْرِمْهُ عُدَّ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ، لَوْ أَنَّهُمُ ٱتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ ٱللّٰهِ خَيْرٌ ، كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَانَى فِي ٱلْجِدِّ ، لَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ، إِنَّ ٱلْمَرِيضَ ٱلَّذِي قَدْ عَلِمَ دَوَآءَ مَرَضِهِ إِنْ لَمْ يَتَدَاوَ بِهِ لَمْ يُغْنِ عِلْمُهُ بِهِ شَيْئًا ، عُوا كَلَامِي ، لَا تَزَالُ تَدُورُ وَتَدْأَبُ ٱلْحِدَاةُ حَتَّى تَعْيَا وَتَعْطَبَ ، أَمَرَ بِٱلْغُرَابِ أَنْ يُكْرَمَ وَيُسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا ، إِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، ٱسْتَحَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى صَاحِبِهِ بِغَيْرِ طَعَامٍ ، إِذَا عَرَفَ ٱلْمَلِكُ مِنَ ٱلرَّجُلِ أَنَّهُ قَدْ سَاوَاهُ فِي ٱلْمَنْزِلَةِ وَٱلْحَالِ فَلْيَصْرَعْهُ ، لَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، كَانُوا يَأْوُونَ فِي رَأْسِ ٱلْجَبَلِ ،

١٢

فِعْلُ لَيْسَ وَأَفْعَالُ ٱلْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَأَفْعَالُ (١) التَّعَجُّبِ

لَسْتَ بِصَاحِبِ (٢) ٱلسُّلْطَانِ، لَيْسَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلظُّلْمَ، مَا أَقَلَّ مَا قَنِعْتَ بِهِ وَأَيْسَرَهُ عِنْدَنَا، مَا أَرْضَانِي بِهِ إِذَا كَانَ كَمَا وَصَفْتَ، بِئْسَ ٱلْحِيلَةُ ٱحْتَلْتَ، أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ، كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ، حَبَّذَا دَارًا قَضَى ٱللَّهُ أَنَّهَا يُجَدَّدُ فِيهَا كُلُّ عِزٍّ وَلَا يُبْلَى، لَسْنَا مِنْ أَهْلِ ٱلْمَرْتَبَةِ، إِنْ تُبْدُوا ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفَقِيرَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، أَكْرِمْ بِهِ أَصْفَرَ رَاقَتْ صُفْرَتُهُ، مَا أَعْجَزَ مَقَالَكَ وَمَا أَخْطَأَ رَأْيَكَ وَأَبْعَدَكَ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ، لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَيْهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، لَسْتُمْ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ، حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ، أَبْغِضْ بِهِ مِنْ كَاتِبٍ مَاجٍ (٣)، مَا أَعْظَمَ يَدَكَ عِنْدِي،

١٣

أَسْمَاءُ الْفِعْلِ السَّالِمِ

دَعَا ٱلثَّعْلَبُ إِلَى بَنِي آدَمَ مَا فِي طَبْعِهِ مِنَ ٱلْحِرْصِ وَالشَّرَهِ وَٱلْبُخْلِ، لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ، إِنَّ ٱلنَّفْسَ رُبَّمَا نَبَّهَ صَاحِبَهُ

مِنْ نَوْمِهِ (٢) بِرَكْضِهِ بِرِجْلِهِ حِذْرًا عَلَيْهِ مِنْ عَدُوٍّ (٣) أَوْ سَبُعٍ، يَطْلُبُونَهُمْ كُلَّ مَطْلَبٍ وَيَرْصُدُونَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ، اَللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ، ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً (٤)، اللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، اُنْكُرْ مِنَ التِّرْحَالِ لِلْجَبَّانِ (٥)، اِلْزَمِ السُّكُوتَ فَإِنَّ فِيهِ سَلَامَةً وَتَجَنَّبِ الْكَلَامَ الْفَارِغَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ النَّدَامَةُ، مَا اللّٰهُ يُرِيدُ ظُلْمًا مِنَ الْعَالَمِينَ، اِعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ ٱلْكَلَامِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحُسْنِ ٱلْعَمَلِ، ٱلْخُصُومَةُ تُنْتِجُ ٱلْعَدَاوَةَ (٦)، يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (٧) وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، مَنْ يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَانَ وَلِيًّا (٨) مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ، كَيْفَ أَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ مَعَ عَيْبِ خِلْقَتِي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ سُخْرَةً، مَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللّٰهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ، يَجْعَلُ ٱللّٰهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِي قَلْبِهِ، مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا، أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا، أَضْعَفُ (٩) ٱلنَّاسِ مَنْ ضَعُفَ عَنْ كِتْمَانِ سِرِّهِ، إِنَّ مِنْ فَسَادِ شَيْءٍ يَكُونُ صَلَاحُ شَيْءٍ آخَرَ (١٠)، لَهُمُ ٱلْبُشْرَى فِي ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ، ٱلنِّسْيَانُ خَيْرٌ مِنَ ٱلتَّذْكَارِ، أَنَّى لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَيهُمْ فِي ٱلسَّاعَةِ، رَحِيلُ ٱلْحَبِيبِ شَقَّ قَلْبِي، رَامَتِ ٱلرَّجْعَى،

١٤

أسماء الفعل المزيد فيه (١)

علم أنّ ذلك أمر انّما يتمّ باستفراغ العقل واعمال الفكر، ازداد الملك منه تعجّبا وسرورا، إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح لآيات لقوم يعقلون، كتب عليكم القتال وهو كره لكم، المناظرة ضرب من الخصومة، كان ذو القرنين رجلا ذا (٢) تدبير وتجربة، أفعلت ذلك استصغارا منك لأمري واحتقارا لشأني، الماء اذا دام انحداره على الحجر لم يلبث حتّى يثقبه، من يجزى بالخير خيرا وبالاحسان احسانا الا الله، جعل هذا الكتاب تبصرة لأولي الفهم والفطن وتذكرة لمن جدّ بكل عمل حسن، أهلك بتشاغله ما كان أحسن فايدة، لقد أكثرت انجائي من اقدامك عليّ وتسلّطك بلسانك، نجيا باصطلاحهما جميعا من الورطة، العاقل يصالح عدوّه اذا اضطرّ اليه ويريه من نفسه الاسترسال اليه اذا لم يجد من ذلك بدّا، لا تمنع ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربته والاستنجاد به، ما دعاكم الى جزيرتنا من غير مراسلة قبل ذلك، رغب في مصادقته، انّما العاقل ينبغي له أن يترك التماس ما ليس اليه سبيل، الجمع والادّخار وخيم العاقبة،

١٥

أَسْمَاءُ الْفِعْلِ الْغَيْرِ سَالِمٍ (١)

ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا، ظَلَمْتَ نَفْسَكَ بِاتِّخَاذِكَ الْعِجْلَ، لَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللّٰهِ هُزُوًا، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ، لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيَاءَ النَّاسِ، مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللّٰهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا، لَا يَسَعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيرَةِ، أَيُّ مُرُوَّةٍ لَهُمْ وَأَيُّ فُتُوَّةٍ فِيهِمْ، أَيْنَ الْمَفَرُّ وَالْخَلَاصُ مِنَ الْقَضَاءِ إِلَّا بِالصَّلٰوةِ وَالدُّعَاءِ، مِنْ أَيْنَ لَكُمْ اسْتِوَاءُ الْبِنْيَةِ، حَيُّوا الْمَلِكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ، الْوَاجِبُ عَلَى الْعَلِيمِ تَأْدِيبُ الْمُلُوكِ بِحِكْمَتِهِ لِيَرْتَدِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْوِجَاجِ، عَظُمَتْ مِنْكَ الْبَلِيَّةُ، أُوتِينَا النُّبُوَّةَ وَالرِّيَاسَةَ، لِكُلِّ عَمَلٍ ثَمَرَةٌ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، مَنَعَهُ مِنَ الْكَلَامِ بِمِثْلِ مَا تَكَلَّمْتَ اتِّقَاءُ مَا لَمْ أَتَّقِ، الْمَوَدَّةُ بَيْنَ الصَّالِحِينَ سَرِيعٌ اتِّصَالُهَا بَطِيءٌ انْقِطَاعُهَا، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَوَاصُلٌ، أَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُرِيدُ إِتْيَانَكَ، لَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَخْوِنَهُ بَعْدَ ارْتِضَائِهِ إِيَّاهُ وَائْتِمَانِهِ، اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللّٰهِ، مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ (٢) نُصْلِيهِ نَارًا، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ، لَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى، مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ (٣) بِهِ، تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى

٢٠

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ، إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ، ٱلرَّأْيُ ٱلصَّوَابُ لَا يَنْتِجُ إِلَّا بَعْدَ ٱلتَّثَبُّتِ وَٱلتَّأَنِّي وَٱلرَّوِيَّةِ وَٱلْاعْتِبَارِ بِأُمُورِ ٱلْمَاضِيَةِ، أَنْتَ أَهْلٌ بِأَنْ تُعْطَى سُؤْلَكَ، وَإِنِ ٱجْتَهَدَ ٱلْإِنْسَانُ فِي ٱلتَّوَقِّي مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي يَخَافُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ ٱلْهَلَاكَ لَمْ يُغْنِ ذٰلِكَ عَنْهُ شَيْئًا وَرُبَّمَا عَادَ ٱجْتِهَادُهُ فِي تَوَقِّيهِ وَحِذْرِهِ وَبَالًا عَلَيْهِ، يَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ ٱلْعِلْمَ أَنْ يَبْدَأَ بِعِظَةِ نَفْسِهِ، ٱلْإِرْتِفَاعُ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلشَّرِيفَةِ شَدِيدٌ وَٱلْإِنْحِطَاطُ مِنْهَا هَيِّنٌ، أَثِقُ بِكَ أَنْ تَعْرِفَ نُصْحِي وَإِيثَارِي إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِي، ٱلْعَاقِلُ هُوَ ٱلَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ وَوُقُوعِهِ، لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْكَ لِقِلَّةِ حَيَائِكَ وَكَثْرَةِ قِحَتِكَ وَسُرْعَةِ جَوَابِكَ لِمَنْ كَلَّمَكَ، ٱلْعَاقِلُ وَإِنْ كَانَ وَاثِقًا بِقُوَّتِهِ فَلَا يَحْمِلُهُ ذٰلِكَ عَلَى أَنْ يَجْلِبَ ٱلْعَدَاوَةَ عَلَى نَفْسِهِ ٱتِّكَالًا عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْقُوَّةِ، إِصْحَبِ ٱلْبَعِيدَ وَٱلْقَرِيبَ بِٱللِّينِ وَٱلْمُوَاتَاةِ، ٱللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ، أَحَلَّ ٱللّٰهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا،

٢١

أَسْمَاءُ ٱلْمَرَّةِ ٱلنَّوْعِ ٱلزَّمَانِ وَٱلْمَكَانِ ٱلْكَثْرَةِ ٱلْآلَةِ وَٱلْوِعَاءِ (١)

ٱلْكَلْبُ إِذَا رَأَى سِنَّوْرَةً قَدْ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِ إِنْسَانٍ حَمَلَ

٢١

عَلَيْهَا حَمْلَةٌ، اَلْعِلْمُ كَالشَّجَرَةِ وَالْعَمَلُ فِيهِ كَالثَّمَرَةِ، اَلْعَقْلُ مِفْتَاحُ كُلِّ سَعَادَةٍ، لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مَجَالٌ، لَقَدْ أَدْرَكَنِي ٱلْحِرْصُ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرٍّ مُورِطٍ، أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي ٱلْبَحْرِ فَٱشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ كَانَتْ قُوتَ يَوْمِهِ، رَأَوْا بِرَاعَةً تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرَارَةُ نَارٍ، لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ، لِلّٰهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ، مَأْوَيهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّالِمِينَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً، لَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ، إِلَى ٱللّٰهِ ٱلْمَصِيرُ، دَخَلَ بِهِ إِلَى ٱلْمَطْبَخِ، كَانَ مَرْعَى ٱلْجَمِيعِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ، دَخَلَ هُوَ وَٱبْنُهُ إِلَى مَطْبَخِهِ، لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ، شَرَى جَبَلٌ وَهُوَ مَا أَشَدَّهُ، اَلْكِتَابَةُ إِحْسَانٌ عَظِيمٌ مِنَ ٱللّٰهِ، جَعَلَ يَلْعَقُ لَعْقَةً بَعْدَ لَعْقَةٍ،

١٧

الصِّفَةُ وَاسْمُ التَّفْضِيلِ (١)

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ (٢) مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى، كَانَ ٱلْمَلِكُ حَكِيمًا عَادِلًا كَرِيمًا سَمْحًا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ إِذَا عِبْتَ ٱلْمَصْنُوعَ فَقَدْ عِبْتَ ٱلصَّانِعَ، يَحْتَاجُ أَنْ يَكُونَ ٱلرَّسُولُ رَجُلًا عَاقِلًا حَسَنَ ٱلْوَجْهِ بَلِيغَ ٱلْكَلَامِ كَتُومًا لِلسِّرِّ،

لا أَصْلُح لِهٰذَا ٱلْأَمْرِ لِأَنِّي غَضُوبٌ ضَجُورٌ وَثَّابٌ فَرَّارٌ غَدَّارٌ، سُبْحَانَ (٣) ٱللّٰهِ ٱلْحَنَّانِ ٱلْمَنَّانِ ٱلسُّبُّوحِ ٱلْقُدُّوسِ، ٱللّٰهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ، مَنْ يُطِعِ ٱللّٰهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقًا، لَا تُثِيرُوا ٱلْعَدَاوَةَ ٱلْقَدِيمَةَ ٱلْمَرْكُوزَةَ فِي ٱلطِّبَاعِ وَٱلْجِبِلَّةِ (٤) فَإِنَّهَا كَٱلنَّارِ ٱلْكَامِنَةِ فِي ٱلْحَجَرِ، أَخَذَ سَيِّدُ ٱلْخَبَّازِينَ يَذُمُّ دِمْنَةَ، ٱلْأَحْرَى بِكَ أَنْ لَا تَكُونَ دَبَّاغًا وَلَا حَجَّامًا، مَا مِنَّا إِلَّا مَنْ أَصْبَحَ قَتِيلًا أَوْ جَرِيحًا أَوْ مَكْسُورَ ٱلْجَنَاحِ أَوْ مَنْتُوفَ ٱلرِّيشِ أَوْ مَقْطُوفَ ٱلذَّنَبِ، إِنَّ ٱلْكَرِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا شَكُورًا غَيْرَ حَقُودٍ، رُبَّ (٥) صَدَاقَةٍ ظَاهِرَةٍ بَاطِنُهَا عَدَاوَةٌ كَامِنَةٌ، رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا، إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ، أُذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ إِذْ تُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ، تَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَوْلٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا، اخْتَصَرَ هٰذَا ٱلْكِتَابَ ٱلشَّيْخُ ٱلْعَلَّامَةُ أَبُو مُحَمَّدٍ، لَيْسَ شَيْءٌ عَلَى ٱلْمَلِكِ أَضَرَّ وَلَا أَفْسَدَ لِأَمْرِهِ مِنَ ٱلْمُسْتَأْمِنِينَ مِنْ جُنْدِهِ إِلَى عَدُوِّهِ، ٱلدِّيكُ هُوَ صَاحِبُ ٱللِّحْيَةِ ٱلْحَمْرَاءِ ٱلْأَحْمَرُ ٱلْعَيْنَيْنِ، إِنَّكَ تَرَى مَا كَانَ أَصْغَرَ جُثَّةً مِنَ ٱلْحَيَوَانَاتِ وَأَضْعَفَ بِنْيَةً وَأَقَلَّ حِيلَةً كَانَ أَرْوَحَ بَدَنًا وَأَرْبَطَ جَأْشًا وَأَسْكَنَ رَوْعًا فِي دَفْعِ ٱلْمَكْرُوهِ مِنْ غَيْرِهَا وَكَانَ أَطْيَبَ نَفْسًا وَأَقَلَّ ٱضْطِرَابًا فِي طَلَبِ ٱلْمَعِيشَةِ وَجَرِّ ٱلْمَنْفَعَةِ وَأَخَفَّ مُؤْنَةً مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ جُثَّةً وَأَقْوَى بِنْيَةً وَأَكْثَرُ حِيلَةً، فَهَلْ تَرَى مَنْ

يَصْلُحُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْحَيْوَانَاتِ أَنْ نَبْعَثَهُ إِلَى هُنَاكَ لِلْمُنَاظَرَةِ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ خُرْسٌ، إِذَا ٱسْتَوْجَبَ ٱلْقَتْلَ فَالتَّثَبُّتُ فِى أَمْرِهِ أَوْلَى، زَعَمُوا أَنَّهُ مَنْ كَانَتْ عَيْنُهُ الْيُسْرَى أَصْغَرَ مِنْ عَيْنِهِ ٱلْيُمْنَى، وَهِىَ لَا تَزَالُ تَخْتَلِجُ وَكَانَ أَنْفُهُ مَايِلًا الى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ فَهُوَ خَبِيثٌ، ٱلصُّلْحُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْخُصُومَةِ، مَنْ حَارَبَ ٱلْمَلِكَ ٱلْحَازِمَ الأَرِيبَ ٱلْمُتَضَرِّعَ ٱلَّذِى لَا تُبْطِرُهُ السَّرَّآءُ وَلَا تُدْهِشُهُ الضَّرَّآءُ كَانَ هُوَ دَاعِىَ ٱلْحَتْفِ إِلَى نَفْسِهِ، مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا،

١٨

أَسْمَاءُ ٱلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ الْمُشْتَقَّةُ من الفِعْلِ السَّالِمِ الْمَزِيدِ فِيهِ(١)

أَلَا هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ، ٱلدِّيكُ هُوَ ٱلْمُنْتَشِرُ ٱلْجَنَاحَيْنِ ٱلْمُنْتَصِبُ ٱلذَّنَبِ، إِذَا فِى قَعْرِ ٱلْبِئْرِ تِنِّينٌ فَاتِحٌ فَاهُ(٢) مُنْتَظِرٌ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذَهُ، إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ٱلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، ٱللّٰهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ، أَمَرَ بِإِحْضَارِ ٱلْمُنَجِّمِينَ، زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجَمَةً فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى شَجَرَةٍ، إِنَّمَا مُصَاحِبُ ٱلْعَدُوِّ وَمُصَالِحُهُ كَصَاحِبِ ٱلْحَيَّةِ يَحْمِلُهَا فِى كُمِّهِ، ٱللّٰهُ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ، قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ، مَنْ لَمْ يَكُنْ فِى أَمْرِهِ مُتَثَبِّتًا لَمْ

يَزَلْ نَايِمًا، أُدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ، ٱنْطَلَقَ ٱلْغُرَابُ مُتَحَلِّقًا فِي ٱلسَّمَآءِ، هٰذَا ٱلْإِنْسَانُ ٱلْمُحْدَوْدِبُ ٱلظَّهْرِ مِنْ طُولِ ٱلسُّجُودِ وَٱلرُّكُوعِ، ٱلرَّجُلُ ٱلْفَاضِلُ ٱلرَّشِيدُ لَا يُرَى إِلَّا فِي مَكَانَيْنِ إِمَّا مَعَ مَلِكٍ مُكْرَمًا أَوْ مَعَ نَاسِكٍ مُتَعَبِّدًا، آمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا، ٱللّٰهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ، هٰذَا ٱلْمَكَانُ حَدِيقَةٌ مُخْضَرَّةٌ تُرْبَتُهَا، لَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ وَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ، لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ ٱلْأَنْبَآءِ (٣) مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، كُلَّمَا رُزِقُوا مِنَ ٱلْجَنَّةِ مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا، ٱللّٰهُ يُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ، إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ، جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ، أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ،

١٩

أَسْمَاءُ ٱلْفَاعِلِ وَٱلْمَفْعُولِ ٱلْمُشْتَقَّةُ مِنَ ٱلْفِعْلِ ٱلْغَيْرِ سَالِمٍ وَالاسمِ ٱلْمَنْسُوبِ (١)

سُبْحَانَ خَالِقِ ٱلْأَرَضِينَ ٱلْمَدْحُوَّاتِ، تَكَلَّمْ مَهْمَا شِئْتَ فَإِنِّي مُصْغٍ إِلَيْكَ، كُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قِبَلَنَا مَقْضِيَّةٌ، ٱلْعَقْلُ غَرِيزَةٌ مَكْنُونَةٌ فِي ٱلْإِنْسَانِ كَامِنَةٌ كَٱلنَّارِ فِي ٱلْحَجَرِ، لَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ، ٱللّٰهُ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، ذٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ، لَسْتَ

بِمُتَّخِذِكَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ خَلِيلاً وَلَا مُفْشٍ إِلَيْكَ سِرًّا، سَتَرَى (٢) ٱلْأَسَدَ حِينَ تَدْخُلُ عَلَيْهِ مُقْعِيًا عَلَى ذَنَبِهِ رَافِعًا صَدْرَهُ إِلَيْكَ مَادًّا بَصَرَهُ نَحْوَكَ، ٱللَّهُمَّ تُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ، لَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ، لَمَّا أَجَابَهُ بِذٰلِكَ خَرَجَ مُكْتَئِبًا حَزِينًا مُسْتَحْيِيًا، يَنْبَغِي لِلْقَاضِي ٱلْعَدْلِ أَنْ يَعْرِفَ عَمَلَ ٱلْمُحْسِنِ وَٱلْمُسِيءِ لِيُجَازِيَ ٱلْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَٱلْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا، أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ (٣) كُنْتُمْ فِي بُرُجٍ مُشَيَّدٍ، كَفَى بِٱللَّهِ وَلِيًّا، يَبْقَى حَيْرَانًا مُتَرَدِّدًا، خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، إِنَّ ٱلْمُسْتَجِيرَ ٱلْخَائِفَ أَهْلٌ أَنْ يُؤْمَنَ، قَدْ وَجَدْتُ ٱلْعِلْمَ وَٱلْحَيَاءَ إِلْفَيْنِ مُتَآلِفَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ مَتَى فُقِدَ أَحَدُهُمَا لَمْ يُوجَدِ ٱلْآخَرُ كَٱلْمُتَصَافِيَيْنِ، يُدْفَعُ ٱلْمَخُوفُ لِاسْتِجْلَابِ ٱلْمَحْبُوبِ، يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لِهَوَاهُ مُتَّهِمًا، أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ، إِنْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ، إِنَّ ٱلصَّدِيقَ صَدِيقَانِ طَامِعٌ وَمُضْطَرٌّ، هُمْ يَكْتُبُونَ ٱلْأَوَامِرَ (٤) عَلَى سَعَفِ ٱلنَّخْلِ بِحَدِيدَةٍ مُعْوَجَّةٍ، مَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلنَّاسِكَ ٱلْمُهْرِيقَ (٥) عَلَى رَأْسِهِ ٱلسَّمْنَ وَٱلْعَسَلَ، لَا يَزَالُ ٱلْإِنْسَانُ مُسْتَمِرًّا فِي إِقْبَالِهِ مَا لَمْ يَعْثُرْ، ٱلْمِسْكِينُ لِي وَتَحْتَ يَدَيَّ وَأَنْتَ مُدَّعٍ لَهُ، ٱلْإِخْوَانُ هُمُ ٱلْمُوَاسُونَ عِنْدَ مَا يَنُوبُ مِنَ ٱلْمَكْرُوهِ، قَالَ ٱلْمَلِكُ لِلْإِنْسِيِّ مَا ٱلْحُجَّةُ عَلَى مَا زَعَمْتَ

يزل نايمًا، أُدْخُلوا ٱلْأَرْضَ المُقَدَّسَةَ، ٱنْطَلَقَ ٱلْغُرابُ مُتَحَلِّقًا في ٱلسَّماء، هٰذا ٱلْإِنْسانُ ٱلْمُحْدَوْدِبُ ٱلظَّهْرِ مِنْ طُولِ ٱلسُّجُودِ والرُّكوع، ٱلرَّجُلُ ٱلْفاضِلُ ٱلرَّشِيدُ لا يُرى إلَّا في مَكانَيْنِ إمَّا مَعَ مَلِكٍ مُكْرَمًا أَوْ مَعَ ناسِكٍ مُتَعَبِّدًا، آمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا، ٱللّٰهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ، هٰذا ٱلْمَكانُ حَدِيقَةٌ مُخْضَرَّةٌ تُرْبَتُها، لَقَدْ يَسَّرْنا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ وَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ، لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ ٱلْأَنْباءِ (٣) ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ، كُلَّما رُزِقُوا مِنَ ٱلْجَنَّةِ مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قالُوا هٰذا ٱلَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهًا، ٱللّٰهُ يُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ، إنَّا إلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ، جاءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ المُرْسَلِينَ، أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ،

١٩

أَسْماءُ ٱلْفاعِلِ وَٱلْمَفْعُولِ المُشْتَقَّةُ مِنَ ٱلْفِعْلِ ٱلْغَيْرِ سالِمٍ والاسمُ المَنْسُوبُ (١)

سُبْحانَ خالِقِ ٱلْأَرَضِينَ المَدْحُوّاتِ، تَكَلَّمْ مَهْما شِئْتَ فَإنَّنِي مُصْغٍ إِلَيْكَ، كُلُّ حاجَةٍ لَكَ قِبَلَنا مَقْضِيَّةٌ، ٱلْعَقْلُ غَرِيزَةٌ مَكْنُونَةٌ فِي ٱلْإِنْسانِ كامِنَةٌ كَٱلنَّارِ فِي ٱلْحَجَرِ، لا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللّٰهَ لا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ، ٱللّٰهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، ذٰلِكَ ٱلْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ، لَسْتُ

يتّخذك بعد اليوم خليلاً ولا مفش اليك سرّا، سترى (٢) الأسد حين تدخل عليه مقعيا على ذنبه رافعا صدره اليك مادًّا بصره نحوك، اللهمّ تخرج الحيّ من الميت، انّما نحن مستهزئون، لا تكوننّ من الممترين، لمّا أجابه بذلك خرج مكتئبا حزينا مستحيا، ينبغي للقاضي العدل أن يعرف عمل المحسن والمسيء ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، إنّ الله لا يحبّ من كان خوّانا أثيما، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو(٣) كنتم في برج مشيد، كفى بالله وليّا، يبقى حيرانا متردّدا، خرّ مغشيّا عليه، إنّ المستجير الخائف أهل أن يؤمن، قد وجدت العلم والحياء أليفين متآلفين لا يفترقان متى فقد أحدهما لم يوجد الآخر كالمتصافيين، يدفع المخوف لاستجلاب المحبوب، ينبغي للعاقل أن يكون لهواه متّهما، أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط، إن تعفوا عن سوء فإنّ الله كان عفوّا قديرا، كلّ نفس ذائقة الموت، إنّ الصديق صديقان طامع ومضطرّ، هم يكتبون الأوامر (٤) على سعف النخل بحديدة معوجّة، من فعل ذلك أصابه ما أصاب الناسك المهريق (٥) على رأسه السمن والعسل، لا يزال الانسان مستمرّا في إقباله ما لم يعثر، المسكن لي وتحت يدي وأنت مدّع له، الأخوان هم المواسون عند ما ينوب من المكروه، قال الملك للانسيّ ما الحجّة على ما زعمت

وَادَّعَيْتَ قَالَ لَنَا دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ (٢) عَلَى مَا قُلْنَا وَحُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ عَلَى مَا ادَّعَيْنَا، جَعَلَ اللّٰهُ السَّمٰوَاتِ مَسْكَنَ الْعَلَوِيِّينَ، الْقُمْرِيُّ الْمَكِّيُّ الصَّعْوَةُ الْجَبَلِيُّ الزُّرْزُورُ الْفَارِسِيُّ السُّمَانِيُّ الْبَرِّيُّ اللَّقْلَقُ الْقَلْعِيُّ الْعَقْعَقُ الْبُسْتَانِيُّ الْإِوَزُّ الْبَطَائِحِيُّ الْهَزَارُ اللُّغَوِيُّ النَّعَامَةُ الْبَدَوِيُّ الْغَوَّاصُ الْبَحْرِيُّ،

٢٠

الْجَمْعُ الْمُكَسَّرُ

بِالشُّكْرِ تَدُومُ النِّعَمُ وبِالْكُفْرِ تَحُلُّ النِّقَمُ، شَخَصْتُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْغُوطَةِ وَأَنَا ذُو جُرْدٍ مَرْبُوطَةٍ، بَنَوْا فِي سُهُولِ الْأَرْضِ الْحُصُونَ وَالْمُدُنَ وَالْقُرَى وَسَكَنُوهَا، لَنَا أَنْ نَتَحَكَّمَ عَلَى الْبَهِيمَةِ تَحَكُّمَ الْأَرْبَابِ وَنَتَصَرَّفَ فِيهَا تَصَرُّفَ الْمُلَّاكِ كَيْفَ نَشَاءُ، إِنَّ الصَّالِحِينَ يُعْرَفُونَ بِسِيمَاهُمْ وَصُوَرِهِمْ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ (٢)، ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا، بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً (٣)، لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّٰهُ، إِنَّ لِي قِصَصًا سَأَقُصُّهَا عَلَيْكَ، النَّاسُ يَصْنَعُونَ السُّفُنَ، سَخَّرُوا مِنَ الْجِمَالِ وَالْبِغَالِ

وَقَيِّدُوهَا ، كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ بُقُولِ ٱلْأَرْضِ وَحُبُوبِ ٱلنَّبَاتِ ، أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، مَنْ ذَا طَلَبَ مِن اللِّئَامِ فَلَمْ يُحْرَمْ ،

٢١

خَلَقَ ٱللّٰهُ آدَمَ وَأَوْلَادَهُ عُرَاةً حُفَاةً ، إِنَّهُ إِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلْمَكَرَةُ ٱلظَّلَمَةُ عَلَى ٱلْبَرِيِّ ٱلصَّحِيحِ كَانُوا خُلَقَاءَ أَنْ يُهْلِكُوهُ ، ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ (۴) ، كُنَّا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا سُكَّانَ ٱلْأَرْضِ ، يَسْأَلُونَكَ مِنَ ٱلْأَهِلَّةِ ، وَدُّوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ ، يَأْمُرُونَ بِأَوَامِرِ ٱللّٰهِ وَيَنْهَوْنَ بِنَوَاهِيهِ ، مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ ٱلرَّغَائِبَ ، أَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى ٱلدَّوَابِّ ، أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، هٰذِهِ ٱلطِّبَاعُ ٱلَّتِي ذَكَرْتَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِقَادَةِ ٱلْجُيُوشِ وَوُلَاةِ ٱلْحُرُوبِ ، ٱلْفِيلُ إِذَا وَحِلَ لَا تُخْرِجُهُ إِلَّا ٱلْفِيَلَةُ ، مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ ٱللّٰهِ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ، لَقَدْ نَصَرَكُمْ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ (٥) ، ٱللّٰهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ (٦) ، نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ ، ٱسْتَأْجِرْ أَكَرَةً ،

يقولون بأفواههم (٧) ما ليس في قلوبهم، لا تتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل، لا تحتاج الى تعليم من الآباء والأمّهات (٨)، قالت الشمس أنا أدلّك على من هو أقوى منّي السحاب الذي يكسف أشعّة أنواري، نتراوح على النار ضربا بأجنحتنا حتّى تضطرم في الحطب،

٢٢

لم تقتلون أنبياء الله من قبل، كانوا يصيفون في البلدان الباردة، يؤوي الغرباء، أخذوا منّا أسرى، لو كانت لهم مروّة لما كان يهنّئهم العيش اذا رأوا فقراءهم وجيرانهم واليتامى من أولاد اخوانهم والضعفاء من أبناء جنسهم جياعا عراة مرضى زمنى مطروحين على الطرقات (٩)، اشترى اماء وعبيدا، رأس البلايا كلّها الموت، ذكراننا لا يرغبون في محاسن اناثنا ولا اناثنا في محاسن ذكراننا كما لا يرغب السودان في محاسن البيضان ولا البيضان في محاسن السودان، لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى، نغفر لكم خطاياكم، لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء، ان يأتوكم أسارى (١٠) تفادوهم، الله يحيي الموتى، ربّ صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء، أضرمت حول الشجرة

٢٩

ٱلنِّيرَانِ، يَا وَحْشَتَا (١١) مِنْ فُرْقَةِ ٱلْإِخْوَانِ وَيَا ٱشْتِيَاقَاً لِلِقَاءِ ٱلْخِلَّانِ، يُنْزِلُونَ ٱلنَّاسُ مِنَ ٱلْجِبَالِ الشَّامِخَةِ ٱلنُّسُورَ وَٱلْعِقْبَانِ، وَيَعْمَلُونَ ٱلْحِجَلَ مِنَ ٱلْخَشَبِ فَيَشُدُّونَهَا فِي صُدُورِ ٱلثِّيرَانِ وَأَكْتَافِهَا، كَانَ ٱلرَّشِيدُ مِنْ أَفَاضِلِ ٱلْخُلَفَاءِ وَفُصَحَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وَكُرَمَائِهِمْ، قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا قُتِلُوا، إِذَا قَامُوا إِلَى ٱلصَّلٰوةِ قَامُوا كُسَالَى لَا يُرَاءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللّٰهَ إِلَّا قَلِيلاً،

٢٣

ٱللّٰهُ أَنْتَجَ مِنْ آرَاءِ ذَوِي ٱلْمَعَارِفِ نَفَائِسَ ٱلْحِكَمِ ٱلنَّافِعَةِ وَحَقَائِقَ ٱلْأَشْيَاءِ، ٱتَّخَذُوا عِبَادَ ٱللّٰهِ خَوَلاً، دَعَانَا إِلَى جَزِيرَتِكُمْ مَا سَمِعْنَا مِنْ فَضَائِلِ ٱلْمَلِكِ وَمَنَاقِبِهِ وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ، لَنَا مَسَائِلُ أُخَرُ وَمَنَاقِبُ غَيْرُ مَا ذَكَرْتُ، إِنَّ أَقْوَالَ ٱلْعُلَمَاءِ لَهَا وُجُوهٌ كَثِيرَةٌ وَمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ، إِنَّ ٱلْعَاقِلَ يَعُدُّ أَبَوَيْهِ (١٢) أَصْدِقَاءَ وَٱلْإِخْوَةَ (٣١) رُفَقَاءَ وَٱلْأَزْوَاجَ أُلَّافًا وَٱلْبَنِينَ ذِكْرًا وَٱلْبَنَاتِ خُصَمَاءَ وَٱلْأَقَارِبَ غُرَمَاءَ، ٱلْجَمَلُ مَعَ طُولِ قَوَائِمِهِ وَرَقَبَتِهِ وَٱرْتِفَاعِ رَأْسِهِ مِنَ ٱلْأَرْضِ فِي ٱلْهَوَاءِ يُبْصِرُ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ فِي ٱلطُّرُقَاتِ ٱلْوَعْرَةِ وَٱلْمَسَالِكِ الصَّعْبَةِ فِي ظُلَمِ ٱللَّيْلِ مَا لَا يُبْصِرُ ٱلْإِنْسَانُ، يَجْتَمِعُ عَلَى ٱلْكَلْبَةِ ٱلْوَاحِدَةِ عِدَّةُ فُحُولَةٍ لِتُحْبِلَهَا، ضَيَّقُوا عَلَيْنَا ٱلْأَمَاكِنَ وَٱلْأَوْطَانَ، يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ ٱلصَّوَاعِقِ،

لِهٰذَا حَوَادِثُ وَعِلَلٌ وَتَجَارِبُ، فِي ٱلْجَنَّةِ ثَمَرٌ، أَدْرَكَهُ مِنَ ٱلْكِلَابِ الطَّلَبُ،

٢٤

لَوْ رَأَيْتَنَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَنَحْنُ أُسَارَى فِي أَيْدِى بَنِي آدَمَ مُقَرَّنِينَ فِي قَدَادِينِهِمْ مُشَدَّدِينَ فِي دَوَالِيبِهِمْ لَرَحِمْتَنَا، ٱلْفَأْرُ وَٱلْجِرْذَانُ يَدْخُلُونَ مَنَازِلَ النَّاسِ وَبُيُوتَهُمْ وَدَكَاكِينَهُمْ وَأَنْبَارَاتِهِمْ (١٤) غَيْرُ مُسْتَأْمِنَةٍ بَلْ عَلَى وَحْشَةٍ، أَخْلَاقُ ٱلْفَلَاسِفَةِ كَأَخْلَاقِ ٱلْمَلَائِكَةِ، كُنْتُ أَكُونُ بِهٰذِهِ ٱلصَّحَارَى فَلَمْ تَزَلِ ٱلْأَسَاوِرَةُ تَطْرُدُنِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ حَتَّى رَأَيْتُ ٱلْيَوْمَ شَيْخًا، مِنْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱلْفَرَاعِنَةُ وَٱلنَّمَارِدَةُ وَٱلْجَبَابِرَةُ، جَمَعَ تَلَامِذَتَهُ، آتَى ٱلْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى ٱلْقُرْبَى وَٱلْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ، خَلَقَ ٱللّٰهُ ٱلشَّمْسَ لِصَلَاحِ ٱلْعَالَمِ وَٱلنَّفْعِ الْعَامِّ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَعْرِضُ فِي بَعْضِ ٱلْأَحَايِينِ (١٥) ٱلْمَنَاحِسُ مِنْ إِفْرَاطِ ٱلْحَرِّ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى ٱلْمُنَجِّمِينَ إِلَّا ٱلْمَنْحُوسُونَ ٱلْمَخَاذِيلُ ٱلْأَشْقِيَاءُ، ٱلْإِنْسَانُ جَاهِلٌ بِمَعْرِفَةِ نُزُولِ مَصَارِيبِهِ (١٦)، أَعْلَمُهُمْ أَنَّهُ خَبِيرٌ بِمَعْرِفَةِ أَخْلَاطِ ٱلْأَدْوِيَةِ وَٱلْعَقَاقِيرِ، أَرْوَحُ ٱلْأُمُورِ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ ٱلتَّسْلِيمُ لِلْمَقَادِيرِ، إِنَّ عُيُونَهُ وَجَوَاسِيسَهُ مَبْثُوثَةٌ بِكُلِّ مَكَانٍ، كَانَ لَهُمْ عَرِيشٌ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيَتَذَاكَرُونَ ٱلْأَحَادِيثَ وَٱلْأَخْبَارَ،

مِنْ كتاب ٱلْمُخْتار مِنْ نَوادِرِ ٱلأَخْبَارِ

تاليف الشَّيْخ الصالح الورع المحدّث شمْس الدين ابى عبد الله محمد بن احمد المُقرى الأَنْبارى

قَالَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِى ذُوَيْبٍ ٱلسَّعْدِيَّةُ وَهِيَ مُرْضِعَةُ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ عَلَيْنَا قَايِفٌ تَعْنِى رَجُلا مُتَفَرِّسًا لا تُخْطِئُ فِرَاسَتُهُ وَهُمْ قَوْمٌ بِأَعْيَانِهِمْ مِنْ بَنِى مُدْلِجٍ يَتَوَارَثُونَ ٱلْقِيَافَةَ وكَانَتْ العَرَبُ تَقْضِى بِأَحْكَامِهِمْ قَالَتْ حَلِيمَةُ فَٱنْطَلَقَ ٱلنَّاسُ بِأَوْلَادِهِمْ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْقَايِفِ يَقْفُو لَهُمْ قَالَتْ حَلِيمَةُ وَٱنْطَلَقَ ٱلْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعُزَّى تَعْنِى زَوْجَهَا بِرَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عليه وسَلَّمَ وَهُوَ فِى سِنِّ ٱلرِّضَاعِ فَأَخَذَهُ مِنْ عَبْدِ ٱلْعُزَّى وَقَبَّلَهُ وَقَالَ مَا يَنْبَغِى لِهٰذَا الصَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَنِى سَعْدٍ قال صَدَقْتَ وَهُوَ مُسْتَرْضَعٌ فِينَا وَهُوَ ٱبْنِى مِن الرَّضَاعَةِ فَقَالَ القَايِفُ ٱرْدُدْهُ عَلَى أَهْلِهِ فَإِنَّ له شَأْنًا عَظِيمًا وَسَتَفْتَرِقُ فِيهِ ٱلْعَرَبُ ثُمَّ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ وقال جَعْفَرُ بْنُ أَبِى طَالِبٍ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ يَلْعَبُ فَرَآهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِى مُدْلِجٍ وَهُمُ ٱلْقَافَةُ فَدَعَوْهُ وَنَظَرُوا الى قَدَمَيْهِ وَفَقَدَهُ عَبْدُ ٱلْمُطَّلِب فَخَرَجَ فِى طَلَبِهِ

حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَيْهِمْ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بين أَيْدِيهِمْ وهم يَتَأَمَّلُونَهُ فقالوا ما هذا الغُلَامُ قال ٱبْنِي قالوا ٱحْتَفِظْ بِهِ فما رَأَيْنَا قَدَمًا أَشْبَهَ بِٱلْقَدَمِ الذى فى المَقَامِ مِنْ قَدَمَيْهِ يعْنُونَ إِبْرَاهِيمَ عليه وعلى نَبِيِّنا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ والسَّلَامِ فى ٱلْحَجَرِ ٱلْمُسَمَّى بِمَقَامِ ابْرَاهِيمَ

٢

وكانَ عَبْدُ ٱللهِ المامُون يَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ عَلَى ٱلْكِسَاءِيِّ وَهُوَ إِذْذَاكَ صَغِيرٌ وكَانَ مِنْ عَادَةِ الكساى إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِ ٱلْمَأْمُونُ يُطْرِقُ رَاسَهُ فَإِذَا غَلَطَ المامونُ رَفَعَ الكساى رَاسَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ فَيَرْجِعُ عَبْدُ ٱللهِ إِلَى ٱلصَّوَابِ فَقَرَأَ عَبْدُ الله يَوْمًا سُورَةَ ٱلصَّفِّ فَلَمَّا قَرَأَ يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فَرَفَعَ الكساى راسَهُ ونظر عبدُ الله اليه فكَرَّرَ الآيَةَ فوَجَدَهَا صَحِيحَةً فَمَضَى على قِرَاءَتِهِ وَٱنْصَرَفَ الكساى ودَخَلَ عبدُ الله المأمونُ على الرَّشِيدِ فقال يا اميرَ المُؤمنين إِنْ كُنْتَ وَعَدْتَ الكساءِيَّ وَعْدًا فاته مِنْكَ قال إِنَّهُ كان ٱلْتَمَسَ لِلْقراءِ شَيْئًا وَوَعَدْتُهُ بِهِ فهل قال لك شَيْئًا قال لا قال فما أَطْلَعَكَ على هٰذا فاخْبَرَهُ بِٱلْأَمْرِ فَسَرَّهُ ذلك من فِطْنَةِ المامون وَيَقْظَتِهِ

٣

وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَايِنِيُّ قال خَرَجَ الْحَسَنُ والْحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَمَعَهُمْ عبدُ الله بن جَعْفَر رَضِيَ الله عنه حُجَّاجًا فَسَبَقَتْهُمُ الْقَافِلَةُ وَفَاتَهُمْ أَثْقَالُهُمْ فَجَاعُوا وَعَطِشُوا فَمَرُّوا بِعَجُوزٍ فى خِبَآءٍ لَهَا فقالوا لها هَلْ من شَرَابٍ قالت نَعَمْ فَأَنَاخُوا بها وَلَيْسَ لها الا شُوَيْهَةٌ واحدةٌ فقامَتْ وحَلَبَتِ الشَّاةَ وَأَتَتْهُمْ بِلَبَنِهَا فَشَرِبُوا ثُمَّ قالوا هَلْ مِنْ طَعَامٍ تَأْتِينَا به فقالت أَذِنْتُ لَكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا هٰذه الشَّاةَ فما عندى سِوَاهَا فقامَ اليها أَحَدُهُمْ فَذَبَحَهَا وقَطَّعَهَا فهيَّأَتِ الْعَجُوزُ لهم مِنْهَا طَعَامًا فَأَكَلُوا وَأَقَامُوا حَتَّى أَبْرَدُوا فَلَمَّا ارْتَحَلُوا قالوا نَحْنُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ نُرِيدُ هٰذا الوَجْهَ فاذا رَجَعْنَا أَلِمَّ بنا فَأَنَّا صَانِعُوا لكِ خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ثُمَّ ارْتَحَلُوا وَجَآءَ زَوْجُ الْمَرْأَةِ فأَخْبَرَتْهُ خَبَرَ الْقَوْمِ وما قالوا لها فغَضِبَ وقال وَيْحَكِ أَتَذْبَحِينَ شَاةً ما لَنَا سِوَاهَا لِقَوْمٍ لم نَعْرِفْهُمْ ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ أَلْجَأَتْهُمُ الحاجَةُ إِلَى دُخُولِ الْمَدِينَةِ فدَخَلَاهَا وجَعَلَا يَبْتَاعَانِ البَعَرَ ويَعِيشَانِ بِثَمَنِهِ فَمَرَّتِ الْعَجُوزُ فى بَعْضِ طُرُقٍ وَاذَا الْحَسَنُ على بَابِ دَارِهِ فَعَرَفَهَا وَهِىَ لَمْ تَعْرِفْهُ فَبَعَثَ لها غُلَامَهُ فَدَعَاهَا اليه فقال لها يا أَمَةَ اللهِ هَلْ تَعْرِفِينِى قالت لا قال انا أَحَدُ ضُيُوفِكِ يَوْمَ صَنَعْتِ لَنَا الشَّاةَ قالت بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى فَأَمَرَ أَنْ يُشْتَرَى لها من غَنَمِ الصَّدَقَةِ أَلْفُ راسٍ وامر لها

بألف دينار وبعث بها مع غلامه الى أخيه الحسين فدفع لها ألف شاة وألف دينار وبعث بها الى عبد الله بن جعفر فقال بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفى شاة وألفى دينار فرجعت العجوز لزوجها بالمال والأغنام

٤

قدم عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية فقال يزيد ما كان أمير المومنين يعطيك يعنى أباه معاوية قال كان رحمه الله يعطينى ماية ألف درهم اذا قدمت عليه قال لك ماية الف ولقولك رحمه الله ماية الف قال بأبى أنت وأمى قال ولهذه الكلمة ماية الف قال يكفينى يا مولاى قال ولهذه الكلمة ماية الف قال أحسن الله اليك قال ولهذه الكلمة ماية الف قال فحمل عبد الله المال وانصرف فقيل ليزيد انفذت المال وأجحفت بالخزانة دفعت لرجل واحد خمسماية ألف دينار فقال ما دفعتها له وحده وانما دفعتها لساير أهل المدينة لأنه ما يملك درهما الا جاد به فلما رجع عبد الله الى المدينة لم ينزل عن راحلته حتى فرقها لمن يستحقها فعوتب فى ذلك فقال ان الله عودنى عادة وعودت خلقه عادة فعودنى أن يمدنى بالرزق وعودت خلقه بالبر فأكره أن أقطع العادة فيقطع

عَنِّى ٱلمَادَّةَ وقِيل ضاق به الوَقْتُ فى آخِرِ عُمْرِهِ فَدَعَا يَوْمَ جُمْعَةٍ وقال اللّٰهُمَّ إِنْ كُنْتَ صَرَفْتَ عَنِّى ما كُنتَ تُجْرِيه على يَدِى من الاحْسَانِ الى خلْقِكَ فَٱقْبِضْنِى اِلَيْكَ فَمَا عاش الى جُمْعَةٍ أُخْرَى

٥

وحَدَّثَ الهَيْثَمُ بْنُ عَدِىّ قال تَرَاهَنَ ثَلاثُ نَفَرٍ فِى الأَجْوَادِ فقال أَحَدُهُمْ أَجْوَدُ ٱلنَّاسِ فِى عَصْرِنَا هٰذا قَيْس بْنُ عَلْقَمَةَ وقال آخَرُ أَجْوَد الناس فى عصرنا هذا عُرابَة الأَوْسِىّ وقال آخَرُ اجود الناس فى عصرنا هذا عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ جَعْفَرٍ فتَشَاجَرُوا فى ذلك وأَكْثَرُوا فقال لهم النَّاسُ يَمْضِى كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ الى صاحِبِه يَسْأَلُهُ حَتّى نَنْظُرَ ما يُعْطِيه ونَحْكُمَ عَلَى ٱلعِيانِ فقامَ صاحِبُ عبد الله بن جعفر فصادَفَهُ وقد تَجَهَّزَ لِبَعْضِ أَسْفارِهِ على راحِلَتِه فقال لَهُ يا ٱبْنَ عَمِّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم انا ٱبْنُ سَبيل مُنْقَطِعٌ يُرِيدُ رِفْدَكَ لِيَسْتَعِينَ بِهِ وكان قد وَضَعَ رِجْلَهُ على ظَهْرِ ٱلرَّاحِلَةِ فَأَخْرَجَ رِجْلَهُ وقال خُذْهَا بِمَا عليها فَأَخَذَهَا فَإِذَا عليها مَطَارِفُ خَزٍّ وأَلْفَا دِينَارٍ ومَضَى صاحِبُ قَيْسٍ فصادَفَهُ نَايِمًا فَقَرَعَ ٱلبَابَ فَخَرَجَتْ اليه جارِيَةٌ فَقَالَتْ ما حاجَتُكَ فَإِنَّهُ نَايِمٌ قال ٱبْنُ سَبِيلٍ مُنْقَطِعٌ اتَيْتُ إِلَيْهِ يُعِينُنِى على طَرِيقِى فَقَالَتْ الجَارِيَةُ حاجَتُكَ أَهْوَنُ عَلَىَّ مِنْ إِيقاظِه

عَلَيْنا ثُمَّ أَخْرَجَتْ له صُرَّةً فيها ثَلْثُمِائَةِ دِينارٍ وقالت لَهُ ٱمْضِ الى مَعاطِنِ الإبل فَٱخْتَرْ لك منها راحِلةً فَٱرْكَبْها وَٱمْضِ راشِدًا فمضى الرَّجُلُ وَأَخَذَ ٱلْمالَ والرّاحِلَةَ فلمّا ٱسْتَيْقَظَ قَيْسٌ مِنْ نَوْمِهِ اخْبَرَتْهُ الجارِيَةُ بِٱلْخَبَرِ فَأَعْتَقَها سُرورًا وَمَضى صاحِبُ عُرابَةَ فَوَجَدَهُ قَدْ عَمِىَ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ يُرِيدُ ٱلْمَسْجِدَ وَهُوَ يَمْشِى بَيْنَ عَبْدَيْنِ فقال لَهُ يا عُرابَةُ ابْنُ سَبِيلٍ وَمُنْقَطِعٌ يُرِيدُ رِفْدَكَ فقال واسْوأتاهُ وَٱللّهِ ما تَرَكَتِ ٱلْحُقوقُ فى بَيْتِ عُرابَةَ ٱلدِّرْهَمَ الفَرْدَ وَلٰكِنْ يا أَخِى خُذْ هٰذَيْنِ ٱلْعَبْدَيْنِ فقال الرَّجُلُ ما كُنْتُ بِٱلَّذِى أَقُصُّ جَناحَكَ فَقالَ وَٱللّهِ لا بُدَّ مِنْ ذٰلِكَ وَاِنْ لَمْ تَأْخُذْهُما فَهُما حُرّانِ فَنَزَعَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْعَبْدَيْنِ وَرَجَعَ اِلَى بَيْتِهِ وَهٰذا الْجِدارُ يَلْطِمُهُ وهذا الجِدارُ يَصْدِمُهُ حَتّى أَثَّرَ فى وَجْهِهِ فلمّا ٱجْتَمَعُوا حَكَمُوا لِصاحِبِ عُرابَةَ بِكَثْرَةِ ٱلْجُودِ

٦

خَرَجَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى بَعْضِ أَسْفارِهِ فَنَزَلَ على نَخِيلٍ لِقَوْمٍ وَفِيهِمْ عَبْدٌ أَسْوَدُ يَحْرُسُها فَأُتِىَ بِقُوتِهِ وَهُوَ ثَلاثَةُ أَقْراصٍ فَبَيْنَما هُمْ جُلوسٌ اِذْ دَخَلَ كَلْبٌ الى تِلْكَ النَّخِيلِ وَهُوَ يَلْهَثُ فَدَنا مِنَ ٱلْغُلامِ وَتَشَوَّفَ اِلَى تِلْكَ الأَقْراصِ فَرَمَى له العَبْدُ قُرْصًا فَأَكَلَهُ ثُمَّ رَمَى لَهُ الثّانى فاكله ثم رمى له الثالثَ فاكله فَأَكَلَ الكَلْبُ

الجَيعَ وعَبْـدُ اللهِ يَنْظُرُ اليهِ فقـال عَبْدُ اللهِ لِلْعَبْدِ كَمْ قُوتُـكَ يا ولَـدى كُـلَّ يَـوْمٍ فى هٰـذا المَكـانِ قال ثَـلاثَـةُ اقْـراصٍ وَهُـمْ هـؤلاءِ قال فلـمَ آثَـرْتَ هـذا الكَـلْـبَ بهـمْ قال يا سَيّدى لَيْسَتْ هٰذِهِ بِأَرْضِ كِلابٍ وَلَمْ أَشُكَّ أَنَّهُ جاءَ مِنْ مَسافَةٍ بَعيدَةٍ وَهُوَ جائِعٌ وَلَمْ يَحْضُرْنى سِوَاهُمْ قال فَما انْتَ صانِعٌ قال أَطْوِى الى غَدٍ قال عبدُ اللهِ بَخٍ بَخٍ وَٱللّٰهِ إِنَّ هذا الأَسْخَى مِنّى فما بَرِحَ عبدُ اللهِ إِلى أَنْ اشْتَرَى النخيلَ والعَبْدَ وأَعْتَقَهُ وَوَهَبَ لَهُ النَخيـلَ وَٱرْتَحَلَ عَنْهُ

٧

وذَكَرَ أَبُو ٱلْعَبّاسِ الشَّيْبانِىُّ قال لَمّا مَرِضَ ابو دُلَفٍ بِٱلْعِلَّةِ ٱلَّتِى ماتَ بِها أَقامَ شَهْرًا مُلازِما ٱلْوِسادَةَ فَأَفاقَ يَوْمًا فقال لِخادِمِهِ بِشْرٍ كَمْ لِى عَلَى هٰذِهِ الحالِ قال شَهْرًا فَلَمّا سَمِعَ ذٰلِكَ مِن بِشْرٍ بَكَى كَثيرًا وقال أَيَمُرُّ عَلَىَّ مِنْ عُمْرِى هٰذِهِ المُدَّةُ لا أُبِرُّ فيها أَحَدًا مِنَ النّاسِ يا بِشْرُ آخْرُجْ الى البابِ فَإِنَّ قَلْبِى يَشْهَدُ أَنَّ بِٱلْبابِ قَوْمًا لَهُمْ إِلَيْنا حَوائِجُ فَلا تَمْنَعْ أَحَدًا مِنَ ٱلدُّخُولِ إِلَيْنا فَخَرَجَ بِشْر فَإِذا عَشَرَةٌ مِنْ أَوْلادِ أَبِى طالِبٍ فَأَمَرَهُمْ بِالدُّخُولِ فَدَخَلُوا فَٱبْتَدَرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وقال أَصْلَحَكَ ٱللّٰهُ نَحْنُ قَوْمٌ مِنْ بَنِى طالِبٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى اللهُ عليه

وسلّم وفينا من ولدِه وقد احاطت بنا المصايب واجحفت بنا النوايب فان رايت ان تجبر كسرنا وتغنى فقرنا فعجّل فقال لخادمه خذ بيدى وقم فاجلسنى على ذاك الفراش ففعل ثم قال لياخذ كلّ واحدٍ منكم ورقة ليكتب فيها بخطّه انّه قبض منّى مائة الف درهم فتحيّروا عند قوله فلمّا كتبوا الرقاع وضعوها بين يديه فقال لخادمه ايتنى بالمال فاحضره فاعطى كلّ واحدٍ منهم مائة الف درهم فلما تسلّموا المال قال له رجلٌ منهم بالآباء نفديك وبالامّهات نقيك والله ما لنا مالٌ ولا عقارٌ وخطوطنا عندك ما تصنع بها فبكى وقال لهم اتظنّون انّها وثايق عليكم لا والله لا والله ثم قال لخادمه يا بشر اذا انا متّ فاجعل الرقاع فى اكفانى القى بها محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم فى عرصات القيامة ثم قال له اوصل لكلّ منهم الف دينارٍ لنفقة طريقه انصرفوا بارك الله فيكم وقد قيل فيه انّما الدنيا ابو دلف بين باديه ومحتضره فاذا ولّى ابو دلف ولّت الدنيا على اثره

٨

خرج يزيد بن المهلّب على بنى اميّة وتغلّب على البصرة اخذه عمر بن عبد العزيز وحبسه فهرب من سجنه ليلًا وكان معه

آبْنَهُ مُخَلَّدٌ فَنزلَا بِعَجُوزٍ مِنَ ٱلْعَرَبِ فَذَبَحَتْ لَهُمَا عَنْزًا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لِٱبْنِهِ كَمْ مَعَكَ مِنَ ٱلْمَالِ قَالَ ثَمَانُ مِايَةِ دِينَارٍ قَالَ ٱدْفَعْهَا لِلْعَجُوزِ قَالَ يَا أَبَتِ إِنَّكَ لَفِي شِدَّةٍ وَانَّكَ لَمُحْتَاجٌ لِلْمَالِ وَهٰذِهِ ٱلْعَجُوزُ يُرْضِيهَا منك ٱلْيَسِيرُ وَهِيَ لَا تَعْرِفُكَ فَقَالَ أَبُوهُ يَا بُنَيَّ إِنْ كَانَ يُرْضِيهَا اليسيرُ فَأَنَا لَا أَرْضَى بِٱلْعَطَاءِ ٱلْيَسِيرِ فَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْرِفُنِي فَانا أَعْرِفُ بِنَفْسِي ٱدْفَعِ المَالَ كُلَّهُ لها فَفَعَلَ وَمَضَيَا

٩

سَعَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ فِي فَسَادِ دَوْلَةِ المَنْصُورِ فَعَلِمَ بِهِ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَأَقَامَ ٱلرَّجُلُ حِينًا مُخْتَفِيًا حَتَّى مَضَّهُ ٱلْاخْتِفَاءُ ثُمَّ ظَهَرَ فِي مَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ فَبَيْنَا هُوَ يَمْشِي فِي بَعْضِ ٱلشَّوَارِعِ إِذْ رَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ فَعَرَفَهُ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ وَنَادَى هٰذَا طَلِبَةُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَبَيْنَا ٱلرَّجُلُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ وَقَدِ ٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ ٱلنَّاسُ إِذْ سَمِعَ وَقْعَ حَوَافِرِ ٱلْخَيْلِ مِنْ وَرَايِهِ فَٱلْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ مَعْنُ بْنُ زَايِدَةَ فَقَالَ يَا ابَا الوَلِيدِ أَنَا فِي جِيرَتِكَ فَوَقَفَ وَقَالَ لِلَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ مَا شَانُهُ قَالَ هٰذَا بُغْيَةُ امِيرِ المُومِنِينَ الذي قد نَذَرَ دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مِايَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَصَرَخَ مَعْنٌ وَقَالَ دَعْهُ ثُمَّ قَالَ مَعْنٌ أَرْدِفْهُ يَا غُلَامُ خَلْفِي فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ وَسَاقَ فَصَاحَ ٱلرَّجُلُ

أَجَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ طَلِبَةِ أَمِيرِ المومنين وَلَمْ يَزَلْ عَايِطًا إِلَى أَنْ أَتَى إِلَى بَابِ أَمِيرِ المومنين فنادى بِأَعْلَى صَوْتِهِ نصيحة لِأَمِيرِ المؤمنين فامر المَنْصُورُ بحضوره فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ مَعْنٍ فَأَتَاهُ الرُّسُلُ فَدَعَا مَعْنٌ بِبَنِيهِ وَعَبِيدِهِ وقال لا تُسَلِّمُوا هٰذا الرَّجُلَ وَمِنْكُمْ أَحَدٌ يَعِيشُ ثُمَّ سَارَ الى المَنْصُورِ فدَخَلَ وَسَلَّمَ فلم يَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلامَ وقال يا مَعْنُ أَتُجِيرُ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا قال نَعَمْ قَالَ وَتَعْتَذِرُ بِنَعَمْ أَيْضًا وَٱشْتَدَّ غَضَبُهُ فقال مَعْنٌ يا أَمِيرَ المومنين بالأَمْسِ بعثتني الى اليَمَنِ مُقَدِّمَ ٱلْجَيْشِ فَقَتَلْتُ فِي طَاعَتِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ عَشْرَةَ آلَافِ نَفْسٍ وَلِي مِثْلُهُ أَيَّامٌ كَثِيرَةٌ مَا رَأَيْتُمُونِي أَهْلًا أَنْ تُجِيرُوا لِي رَجُلًا وَاحِدًا ٱسْتَجَارَ بِي وَدَخَلَ مَنْزِلِي فَسَكَنَ غَضَبُ المَنْصُورِ وقال قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يا ابا الوليدِ قال مَعْنٌ فَإِنْ رَأَى اميرُ المومنين أَنْ يَصِلَهُ بِصِلَةٍ يَعْلَمُ بِهَا مَوْقِعَ الرِّضَى عَنْهُ فَإِنَّ قَلْبَ ٱلرَّجُلِ قَدِ ٱنْخَلَعَ مِنْ صَدْرِهِ خَوْفًا قال قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ قال يا اميرَ المومنين إِنَّ صِلَةَ الخُلَفَاءِ على قَدْرِ جِنَايَاتِ الرَّعِيَّةِ وَإِنَّ ذَنْبَ ٱلرَّجُلِ عَظِيمٌ فَأَجْزِلْ له العَطِيَّةَ قال قد أَمَرْنَا له بِمِائَةِ أَلْفٍ قال عَجِّلْهَا يا اميرَ المؤمنين فَإِنَّ خَيْرَ البِرِّ أَعْجَلُهُ فَأَمَرَ لَهُ بتَعْجِيلِهَا فَأَحْضَرَ مَعْنٌ الرَّجُلَ وقال خُذْ صِلَةَ أَمِيرِ المومنين وقَبِّلْ يَدَهُ وإِيَّاكَ ومُخَالَفَةَ الخُلَفَاءِ فِي أَرْضِ اللهِ قال فَأَخَذَ الرَّجُلُ ٱلمَالَ وَٱسْتَغْفَرَ ٱللَّهَ تَعَالَى وَذَهَبَ

١٠

قال أَبُو الفَرَج ٱلسَّلَمِيُّ قال حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ ٱلْعَلَاء قال جَلَس ٱلنُّعْمانُ بن ٱلْمُنْذِرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ مُرَصَّعَةٌ بِالدُّرِّ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا قَبْلَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَأَذِنَ لِلْعَرَبِ فِي ٱلدُّخُولِ عَلَيْهِ وَكَانَ فِيهِمْ أَوْسُ بْنُ حارِثَةَ قال فَجَعَلَت ٱلْعَرَبُ تَنْظُرُ إِلَى ٱلحُلَّةِ وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ ما رَأَيْتُ مِثْلَ هٰذِهِ ٱلْحُلَّةِ قَطُّ وَلا سَمِعْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ ٱلْمُلُوكِ قَدَرَ عَلَى مِثْلِهَا قال وأَوْسُ بن حارِثَةَ مُطْرِقٌ لا يَنْظُرُ إِلَيْهَا قال له النُّعْمان ما أَرَى كُلَّ مَنْ دَخَلَ عَلَيَّ إِلَّا ٱسْتَحْسَنَ هٰذِهِ ٱلْحُلَّةَ وَتَحَدَّثَ مَعَ صَاحِبِهِ فِي أَمْرِهَا إِلَّا أَنْتَ مَعَ نُقْصَانِ قَدْرِهَا عِنْدِي ما رَأَيْتُكَ ٱسْتَحْسَنْتَهَا ولا نَظَرْتَهَا قال أَوْسٌ أَسْعَدَ اللهُ المَلِكَ إِنَّمَا يَسْتَحْسِنُون ٱلْحُلَّةَ إِذا كانَتْ فِي يَدِ التَّاجِرِ وَأَمَّا إِذا كانَتْ عَلَى المَلِكِ وأَشْرَقَ فيها وَجْهُهُ فَنَظَرِي مَقْصُورٌ عليه لَا عَلَيْها فَٱسْتَرْجَحَ عَقْلَهُ وَٱسْتَحْسَنَ قَوْلَهُ فَلَمَّا عَزَمُوا على ٱلْانْصِرافِ قال لَهُمُ ٱلنُّعْمَانُ ٱجْتَمِعُوا إِلَيَّ فِي غَدٍ فَإِنِّي مُلْبِسٌ هٰذِهِ ٱلْحُلَّةَ لِسَيِّدِ العَرَبِ مِنْكُمْ فَٱنْصَرَفَ العَرَبُ عَنْهُ وَكُلٌّ يَزْعَمُ أَنَّهُ لابِسُ ٱلْحُلَّةِ فِي غَدٍ فلمَّا أَصْبَحُوا تَزَيَّنُوا بِأَفْخَرِ ٱلْمَلَابِسِ وَتَقَلَّدُوا بِأَحْسَنِ ٱلسُّيُوفِ وَرَكِبُوا أَجْوَدَ ٱلْخَيْلِ وَحَضَرُوا إِلَى ٱلنُّعْمَانِ وَتَأَخَّرَ عَنْهُ أَوْسُ بْنُ حارِثَةَ فقال له أَصْحَابُهُ مَا لَكَ لا تَغْدُو مَعَ ٱلنَّاسِ إِلَى مَجْلِسِ المَلِكِ فَلَعَلَّكَ تَكُونُ صَاحِبَ ٱلْحُلَّةِ فَقَالَ أَوْسٌ إِنْ كُنْتُ سَيِّدَ قَوْمِي فَمَا أَنَا

بِسَيِّدِ ٱلْعَرَبِ عِنْدَ نَفْسِى وَإِنْ حَضَرْتُ وَلَمْ آخُذْهَا ٱنْصَرَفْتُ مَنْقُوصًا
وَإِنْ كُنْتُ ٱلْمَطْلُوبَ لَهَا فَسَيَعْرِفُ مَكَانِى فَأَمْسَكُوا عَنْهُ وَنَظَرَ ٱلنُّعْمَانُ
فِى وُجُوهِ ٱلقَوْمِ فَلَمْ يَرَ أَوْسَ بْنَ حَارِثَةَ فَٱسْتَدْعَى بَعْضَ خَاصِيتهِ
وقال اذهَبْ لتَعْرِف خبَرَ اوس فمضى رسولُ النعمان واستخبر بعض
أَصْحابه فأَخْبره بمقالته فعاد الى النعمان فاخبره بمقالته فبعث النعمانُ
اليه رسولا وقال احضرْ آمِنًا ممّا خفتَ عليه فحضر اوس بثيابه التى
حضر بها بالامس وكانتِ العربُ قد استبشرت بتأخُّره خَوْفا من ان
يكونَ يأخُذ الحُلّةَ فلما حضر واخذ مجلسَه قال له النعمان إِنّى لـم
ارَك غيّرتَ ثيابَك فى يومك فالبسْ هٰذه الحلةَ لتتجمّل بها ثم خَلَعها
وأَلْبسها له فاشتدّ ذلك على العرب وحسَدوه وقالوا لا حيلةَ لنا فيها
الى أَنْ نرغّب الشعراء الى انْ يهْجُوه بقبيح الفعل فـإنّه لا يَخْفِض
رِفْعتَه الا الشعْرُ فجمَعوا فيما بينهم خمْسمائةَ ناقة واتَوْا بها الى رجل
يقال له جَرْوَل وقالوا له خُذْ هذه وَٱهْجُ لنا اوسَ بن حـارثةَ وكان
جرولُ يومئذ اشعرَ العرب وأَقْوَاهم هِجاء فقال لهم يا قومُ كيـف
أَهْجو رجلا حسيبا لا يُنْكَر بَيْتُه كريما لا يَنْقطع عَطاؤه فضيلا لا
يُطْعَن على رايه شجاعا لا يُضام نزيلُه مُحْسِنـا لا أَرى فى بيتى
شيئاء الّا من فَضْله فسَمِع بذلك رجلٌ يقال له بِشْرُ بن حازم شـاعرًا
فرغب فى البَذْل فاخذ الخمسَ مايةَ ناقة وهَجاه وذكر امّـه سُعـدَى

فسمع اوس بذلك فوجّه فى طَلَبه فهَرب وترَك الابل فاتَوْا بها الى اوس ابن حارثة فاخذها وشدّ فى طَلَبه وجعَل بِشْر بن حازم يَطُوف فى أَحْياء العرب يَلْتمِس عزيزا يُجيره على اوس وكلٌّ من قصَده يقول قد أَجَرْتُك الّا من اوس بن حارثة فانّى لا أَقْدِر ان أُجير عليه وكان اوس قد أَدْنَى عليه العُيونَ فراه بعض من كان يَرْصده فقبَض عليه وأَتى به الى اوس فلمّا مثَل بَيْنَ يدَيْه قال له وَيْلك أَتَذْكُر أُمّى وليس فى عَصْرنا مِثْلها قال قد كان ذلك أَيُّها الاميرُ قال له واللهِ لأَقْتُلَنّك قِتْلَة تُحْيِى بها سُعْدَى يَعْنى أُمّه ثم دخَل اوس الى امّه سعدى وقال قد اتَيْتُكِ بالشاعرِ الذى هَجاك وقد آليتُ لاقتلنّه قِتْلة تُحْيِيْنَ بها قالت يا بُنَىّ أَوَخَيْرٌ من ذلك قال وما هو قالت أَنّه لم يَجِدْ ناصِرًا منك ولا مُجيرًا عليك وأَنّا قَوْمٌ لا نَرَى فى اصْطِناع المعروف من باس فبِحَقّى عليك أَلّا اطلَقْتَه ورَدَدتَّ عليه ابلَه وأَعْطَيْتَه من مالِك مِثْلَ ذلك ومن مالى مثلَه وأَرْجِعْه الى اهله سالمـا فانهم أَيِسُوا منه فخرَج له اوس وقال ما تقول انّى فاعلٌ بك قال تَقْتلنى لا مَحالةَ قال أَفتَسْتَحِقّ ذلك قال نَعَمْ قال ان سُعدَى الّتى هَجوتَها قد اشارتْ بكذا وكذا وامَر بحَلِّ كِتافه وقال له انْصرِفْ الى اهلك سالمًا وخُذْ ما امرتْ لك به فرفَع بشر يدَه الى السمآء وقال اللهمّ

انت الشاهدُ علىّ لا أَعودُ الى شِعْرٍ الّا ان يكونَ مَدْحًا فى اوس ابن حارثة وله بعدَ ذلك فيه قصايدُ كثيرةٌ

١١

وذكر العباس بن الفَرَج باسناد ذكره قال كان فى خِلافة سُلَيْمانَ بن عَبْد المَلِك رجلٌ يقال له خُزَيْمة بن بِشْرٍ الأَسَدىّ وكان له مُروّةٌ ظاهرةٌ وبِرٌّ كثيرٌ بالإخْوان وكَرَمٌ مشهورٌ فلم يَزَلْ على تلك الحالة حتّى قَعَد به دهرُه ونَاخَ عليه بكَلْكَله ولَحّ عليه الفَقْرُ فواسَوْه إِخْوانُه قليلًا ثم مَلّوه فلمّا لاح له تَغيُّرُهم اخْتارَ لزُومَ بيته وأَغْلق بابه وانْقَطع عن الناسِ وكان عَكْرَمَةُ الفَيّاضُ واليًا على الرَّقّة من قِبَل سليمان بن عبد الملك فبينما هو فى مَجْلِسه وعِنْدَه جماعةٌ من أَصْحابه اذ جرَى ذِكْرُ خزيمةَ بن بشر فأَعْلموه انه لَزِم بيتَه واغلق بابَه فقال عكرمة أَوَما كان لخزيمةَ من يكافيه على مُروّتِه وسَدِّ خَلّتَه وأَمْسك عكرمة عن الحديث فلما خلا المَجْلِس ومضَى من الليل جانبٌ قام عكرمة الى كِيسٍ وجعَل فيه اربعةَ آلافِ دِينار ثم امر بدابّته فأُسْرِجَتْ وخرج سِرًّا من أَهْله فركب ومعه غلامٌ من غِلْمانه يَحْمِل المالَ ثم سار حتّى اتى دار خزيمةَ فاخذ الكِيسَ ونزل عن الدابّة من قَبْلِ انْ يصِل الى بابِ خزيمة وبعَث الغلام الى مكان

آخَرَ بالدابّة وتقدّم حتّى وصل الى باب خزيمة فقرع الباب فخرج خزيمة وفتح الباب فناوله عكرمةُ الكيسَ وهمّ بالانصراف فمسك خزيمة بطرفه وقال له من انتَ قال له ما جئتُك هذا الوقتَ وأُريد ان يعرفني احدٌ فقال خزيمة لا بُدّ من معرفتك قال انا جابرُ عثرات الكرام وتركه ومضى فاخذ خزيمة الكيس ودخل به الى بيته وهو يظنّه فلوسا فلمّا رجع عكرمةُ الى منزله وجد زوجته على أشرّ حالٍ لانها ظنّت انّه خرج الى زوجةٍ غيرِها او جاريةٍ اشتراها فقال لها اقرّي عينًا فواللهِ ما خرجتُ لشيءٍ من ذلك وانما أردْتُ ان افعل شيئا لا يعلمه الا اللهُ تعالى فلم تزل به الى ان أعلمها بصورةِ الأمرِ قال ثم ان خُزَيْمَةَ بن بشر أَصْلَحَ شانَه واشترى ثيابًا فاخرةً ومركوبا حسنًا وتجهّز الى سليمان بن عبد الملك وكان يومئذ بفلسطين وكان عارفًا فلما دخل عليه قال له ما أبْطاك عنّا يا خزيمة قال سوءُ الحال يا اميرَ المؤمنين قال فما منعك من النهوض الينا قال قلّةُ ذات يدي قال فما أراك الاّ في أحْسَنِ حالٍ وأَجْمَلِ هيئةٍ قال إنّ صورةَ امري لعجيبٌ يا اميرَ المومنين ثم قصّ عليه قصّتَه من اوّلها الى آخرها فاهتزّ سليمان طربًا وجعل يقول جابرَ عثرات الكرام ويكرّرها ويقول والله لو عرفْته لأعنْتُهُ على مروّتِه فللهِ درّه ما أحْسَنَ فعْلَه واوفر عَقْلَه ثم دعا سليمان بقناة فعقد الولايةَ لخزيمة على الرقة

والجزيرة وهو العَمَلُ الذى بيَدِ عكرمة وامَرَه ان يقْبِضَ على ماله ويَحْتاطَ عليهِ ويحاسِبَه فخَرجَ خزيمةُ يُريد الرقةَ فلمّا قَرُب اليها خرَج عكرمة يَتلقّاه بوجوه الناسِ فتَلقّاه ودخَل خزيمة الرقّةَ فدخَل فى دارِ الإمارة وأَراد عكرمة الإنْصراف فمنَعه خزيمةُ ووكّل به مَن يَحْفَظه وامَر باحْضار مالِه والمالِ الذى تحتَ يدِه وعَمَلِ الحِساب فحُوسِبَ فبَقِىَ عليه شئٌ كثيرٌ فبعَث به الى السِّجْن وأَنْ يُثْقَل بالحَديدِ فاقام ثلاثةَ ايام وَهْو لم يَذكرْ له ما فعَله معه فبَلَغ زوجتَه ذلك فبعَثت اليه وهى ابنةُ عمّه الى خزيمة وهى تقول بِئسَ ما جازيتَ به جابرَ عَثَراتِ الكِرامِ يا خزيمةُ فلما سَمِع هذا خزيمةُ دَهِش عقلُه وطار لُبُّه وقال وَاسُوْأَتَاهْ وَاخَجْلَتَاه وَافضِيحَتَاه مِن اللّهِ تعالى ومِنْ جابرِ عَثَرات الكِرام ومن أَميرِ المومنين وقام من وَقْتِه وأَتَى الى السِّجْن يَمْشى وهَجَم على عكرمةَ ورَمَى بنفسه اليه وجعَل يقبّل يدَيْه ويَعْتذر له ويُقْسم باللّه انه ما عرَفه وأَخْرجه ودخَل به وآخذه الحمّامَ وأَحْضر له ما يَحْتاج اليه مِن قُماش وطيبٍ واستبشَر اهلُ المدينة بذلك غايةً وخرج مِن يومه راكبَيْن الى سليمان بن عبد الملك فلما استأذَن عليه الحُجّابُ جزِعَ سليمان من ذلك وقال عاملُ الرقة والجزيرة يَقْدَم علينا من غيرِ اِذْنٍ فلما دخل قال ما أَقْدَمك علينا يا خزيمة قال يا اميرَ المومنين ظَفِرْتُ بجابرِ عَثَرات الكِرام قال أَوعَرَفْتَه

قال نعم قال من هو قال عكرمة الفيّاض قال لا حول ولا قوّة الا بالله العليّ العظيم بئس ما جازيناه به عن مروّته ثم أذن له فدخل فقال له سليمان بئس ما جازيناك عن كريم فعلك وعظيم مروتك يا عكرمة وبئس ما فعل خزيمة قال عكرمة معذور يا اميرَ المومنين اذ لم يعلم ونصيحة امير (المومنين) أحبّ اليه فقال سليمان إنّ اصطناعَ المعروف لا يكاد يخفى ولا يضيع وامر لعكرمة بمالٍ جزيلٍ وسامحه ممّا كان وجب عليه الخروج منه وعقد لهما الولايةَ على الرقة والجزيرة واضاف اليهما من الأعمال اقليما كبيرًا

١٢

وحدّث ابو موسى الفضل عن أبيه قال سمعت زينب بنت سليمانَ بن على بن عبد الله بن العبّاس قالت كنتُ عند الخيزران جارية المهدى وعادتها اذا كنت عندها تجلس فى عتبة باب الرواق مقابلَ الايوان واجلس انا بإزايها فى الصدر فى مجلس كان المهدى يجلس فيه وهو يقصدنا فى كلّ وقتٍ يجلس عندنا فى بعض الاوقات ساعة ثم ينهض فبينا نحن كذلك اذ دخلت علينا جارية من جوارى الخيزران اللاتى يحجبنها فقالت أعزّ الله السيّدةَ إنّ بالبابِ امراةً ذاتَ جمالٍ وخلقةٍ حسنة وهى على غاية

من سُوء الحال تَسْتَأْذِن عليك فسالتُها عَنِ آسْمِها فامتنعتْ من ذلك قالت زينبُ فاشارت الخيزرانْ اِلىّ وقالت ما تَرَيْنَ فقلتْ ما يَضُرّ من دخولها شيء فلا بُدَّ من فائدةٍ او ثَواب فدخَلتْ امراةٌ اجْمَلُ ما يَكون من النِساء واكمَلُهنّ فوقَفت الى جانِب الباب وسلّمت وقالت انا مُزنِة بنت مروان الملك بن محمّد الأمَوِيّ فقالت زينَبُ وكنتُ مُتّكِئةً فقمْتُ جالسةً وقلت مُزيَنةُ قاتَلك اللهُ ولا حَيّاكِ ولا رعاكِ ولا سَلّمَ عليكِ والحمدُ لله الذى ازال النِّعْمَةَ عنكِ وهتَكَ سترَكِ وافانَكِ بين الناسِ أتذْكُرين يا عَدُوّةَ الله حِين أتاكِ نِساء بنى العبّاس يسالنَكِ ان تكلّمِى أباكِ فى الإذْن فى دَفْن ابراهيم بن محمد ابن موسى فوثبتِ عليْهِنّ وأسْمعْتيهِنّ اخْشَنَ الكَلامِ واغْلظ القولِ وخَرَجْن على الحالةِ التى علِمْتيها قالت زينَبُ فلمّا سَمِعت كَلامى ضحكتْ فواللهِ ما أنْسِى حُسْنَ ثَغْرِها وعُلوّ صَوْتِها بالقَهْقَهَةِ ثم قالت اى (بنت) بنى عمّى اىُّ شَيْء أعْجَبكِ مِنْ حُسْنِ صَنيع الله بى حتّى اردت ان يَتَساوَى بى والـلهِ لقد فَعلْتُ بنِساء أهْلِكِ ما قد ذكرت ولَكِنْ كان حَقًّا على الله تعالى انْ يسلمنى ذليلةً جايعةً عريانةً شعثةً خاضعةً فكانَ هذا شُكْرَكِ الله على ما اوْلاكِ فىَّ ثم قالتْ سَلامٌ عليكُمْ ووَلّتْ خارِجةً قالت زينب فالتَفتُّ الى الخيزران فاذا هى تَبْكِي ونادَتِ الخيزران يا مزينة دخلتِ باذْنى ولا تَخْرُجى الا باِذْنى

وصاحت بحُجّابها رُدّوها فرجعت وقالت والله ما ساقني اليك الاّ الضُرُّ والجهد وسوء الحال فنهضت الخيزران فعانقتْها فقالت ما فيَّ لذلك موضعٌ للحالِ الذى انا عليه فقالت الخيزران لجَوارِيها عليكم بالحمّام سُرْعةً فذهبوا بها للوقْتِ الى الحمّام وامرت بعض جَواريها بخدْمَتِها ولم يَبْرَحوا حتّى وافَتْها الخِلَعُ المذهّبةُ والطِيبُ فقامت اليها الخيزران واعتنقتْها واجلستها المجلسَ الذى يجلس فيه اميرُ المومنين المهدى وقدّمت اليها المَوايدُ فجعلت تاكل وتُلقِمها الى ان اكتفَتْ فغسلت يدَيْها فقالت لها الخيزران هَلْ عندك احدٌ يَنْتَظِرك قالت ما لى احدٌ فقالت الخيزران قُومى اخْتارِى لكِ مَقْصورةً من مَقاصِيرِى فأسْكُنى عندى ولا نَفْتَرِق حتّى يُفَرِّقَ بيننا الموتُ فقامت وطافت واختارتْ أوْسَعَها وأنْزَهَها فحُوِّل اليها جميعُ ما تحتاجُ اليه من الفَرْش والكَساوِى والحرير والرقيق ثم تَرَكْناها وخرجْنا من عندها فقالت الخيزران هذه امراةٌ قد مَسَّها من الضرّ ما لا مَزيدٌ عليه ولا يَغْسِل ما فى قلْبها الا المالُ احْملوا اليها خمسَمائةِ الفِ دِرْهَم فحُمِلت اليها لوقْتها ودخلَ المهدى اليها فى آخِرِ الامرِ فقال ما بالكم فنهضت اليه زينبُ فاعلمَتْه بجميع ما جرَى وما قالت لها حين دخلت عليها فغضب غَضَبا شديدًا وقال ما هذا بجودك لله تعالى على ما أنْعَمَ عليكِ والله لو لا لكِ علَيَّ حُرْمةٌ لأحْلِفَنَّ انّى ما أُكلّمك ابدًا

قالت يا اميرَ المومنين قد طاب قلبُها واعتذرتُ اليها وفعلتُ معها الخيزران كذا وكذا فسَرَّه ذلك وقال آحْملوا اليها مَن عندى مائة الف درهم وقال لخادم كان على راسه بَلِّغْها منّى السلامَ وقُلْ لها انّنى ما سررتُ بشىء مُنْذُ دَهْرِى كسُرورى اليومَ بمقامك عندنا فلا تَدَعى فى نفسِكِ حاجةً الّا ذَكَرْتيها لنا ولَوْ لا اكرَهُ أَنْ أُحْشِمَكِ لَسِرْتُ اليك مسلِّمًا عليكِ وقاضيًا بحَقِّك فمضى الخادمُ بالرّسالة فجاءتْ الى المهدى وسلّمت عليه وقالت ما علىَّ من اميرِ المؤمنين من حِشْمة فانى عُدتُ (عددت) من بعض جَوارِيهِ فقال لا والله بَلْ أَعَزّ من ولَدى ولم تَزَلْ عند الخيزران حَتّى ماتت

١٣

ولمّا حجّ المَنْصور اميرُ المومنين أُعْرِضَ عليه جوهرٌ نفيسٌ له قيمةٌ للبَيْع فعرَفه وقال هذا كان لِهشام بن عبد الملك بن مروانَ فانْتَقل الى ابْنه محمّد بن هِشام وما بَقِىَ من بنى أُمَيَّةَ غيرُهُ ولا بُدَّ لى منه ثم التفت الى حاجِبه الربيع وقال اذا كان غدا وصَلّيتَ بالنّاسِ فى المَسْجد الحَرام وحصَل الناسُ كلّهم أَغْلِق الأَبوابَ كُلّها ووكِّلْ بها جماعةً من الثقاتِ وآفْتَحْ بابا واحدًا وقِفْ عليه ولا تُخْرِجْ احَدا حتّى تَعْرِفَه فاذا ظَفِرتَ بمحمّد بن هشام فأْتِنى به فلمّا كان

من غدٍ ففعل الربيعُ ما امره به المنصورُ وكان محمّد بن هِشام فى المَسْجد فعرف انه المطلوبُ وأيقنَ انه ماخوذٌ مقتول فتحيّر وآرتاب واضطرب فبينا هو على تلك الحالة اذ أقبل محمّد بن زيد بن على ابن الحُسَين بن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه فراه متحيّرا وكان لا يعرفه فتقدّم اليه وقال يا هذا ما بالك فقال لا شىء فقال أخبرنى ولك الامانُ إنْ شا الله على نفسك قال محمد بن هشام بن عبد الملك فمن انتَ قال انا محمد بن زيد بن على بن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وتحقق الموتَ فقال له لا تجزعْ فلستَ قاتلَ ابى وجدّى وليس لى عليك ثارٌ وانا اجتهدُ فى خَلاصك إنْ شاء اللهُ تعالى ولكنْ تعذِرُنى فيما انا صانعٌ بك من مكروهٍ وقبيحِ خِطابٍ ويكونُ سببَ خَلاصك فقال له افعلْ ما شئتَ فطرح رِداءه على وجهه وغطى به راسه وجذبه وسحبه الى أنْ قرب من الرّبيع حاجبِ المنصور وهو على البابِ فلمّا وقعت عينُ الربيع عليهما لطمه محمّد بن زيد لطماتٍ فى راسه وجاء به الى الرّبيع وقال يا ابا الفضل إنّ هذا الخبيثَ جمّال من أهل الكوفة أكرانى جمالا له فلمّا دفعتُ له الكرَى هرب منّى وذهب فأكرى جِمالَه لبعضِ اهل خُراسانَ ولى عليه شهودٌ وأُريد منك من يوصلُه معى للقاضى ويمسك جمالَهُ عن الذهاب مع الخراسانيّين فرسم الربيعُ عليه اثنين وقال لا تفارقاه الى القاضى

٥٣

ومحمّد قابضٌ على الرِداء وقد اسْتَتَرَ وَجْهُهُ به فخرجُوا جميعًا من المَسْجد فلمّا بَعُدُوا عَن الرّبيع قال له محمّد اذْهَبْ الى حالِ سَبيلك فقبّل محمد بن هشام يدَه وراسَه وقال الله اعلَمُ حَيْثُ يَجْعَل رِسالاته ثمّ أَخْرَجَ له جواهِرَ قِيمتُها عظيمةٌ وقال لله تعالى يا ابنَ بِنْتِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم شرِّفْنى بِقَبُولِ هذا فقال له اذهَبْ بِمَتاعِك فنحنُ اهلُ بيتٍ لا نَقْبَل على اصْطناع المَعْروف مكافاةً واحترِزْ على نَفْسِك من هذا الرجل الى ان يَخْرُج فانه مُجِدّ فى طَلَبِك

١٤

قِيل للأَحْنَف بن قَيْس مِمَّنْ تَعلّمتَ الحِلْمَ قال من قيس ابن عاصم رايتُه يوما قاعِدا بفِناء دارِه مُحْتَبِيًا بحمايل سَيْفه يحادِث قومَه فاذا هو برَجُل مكتوف ورجلٍ مقتول قد أُتى بهما فقيل له هذا ابنُ أَخيك قد قَتَل ابنَك قال فوالله ما قطع كلامَهُ ثم التفتَ الى ابنِ أَخيه وقال له يا ابنَ اخى أَثِمْتَ بَرِبّك ورَمَيْتَ نفسَك بسَهْمِك وقتلتَ ابنَ عَمّك ثم قال لِوَلَده الاخَر أَخى المقتول قُمْ يا بُنَىَّ فَادْفِنْ أَخاك وحِلّ كِتافَ ابن عمك وسُقْ الى أُمّك مايةَ ناقةٍ حُمْرًا دِيَةَ وَلدِها فانها غَرِيبةٌ ورُوِىَ انه جلَس يوما فى

داره على المايدة ومعه وَلَدٌ صغيرٌ فجات الجارية اليه بسفود عليه شوآء حارٌ فسقط من يدها على ابنه فلم يُخطِ قلبه فمات لوقته فدهشت الجارية وانقطع لونها فقال لها لا باس عليك انت حُرّةٌ لوجه الله تعالى

١٥

ولمّا حجّ مُعاوِيةُ بن ابى سُفيانَ لم يَترُك شيا الآ قدِمَ به الى مَكّة والمدينة من دَراهِمَ ودَنانيرَ وطِيبٍ ودَواء فلمّا وصل المدينةَ قسّم على أهْلِها من ذلك وأكثرَ ثمّ بعث الى رَجُلٍ من الأنصار بالفَىْ دِرهم وعَشَرة أثواب والرّجُل الأنصارىّ من اهل بَدْر فاتاه الرسول بذلك العَطاء فغضب وقال أمَا وَجَدَ مُعاويةُ من يرسِل اليه بمثل هذا العطاء غيرى أرُدّه عليه فقال الرسول لا اقدِرُ فدَعا الانصارىُّ ابنًا له وقال يا بنىّ أسْألك بحَقّى عليك الا رَددتّ هذا العَطاء على مُعاويةَ وضربتَ به وَجْهَه فاخذها ولد الأنصارىّ وأتى الى معاويةَ فعرَف معاويةُ الشرَّ فى وَجْهه فقال ما تُريدُ قال إنّ أبى يُقرِئك السّلامَ ويقول لك أمِثْلى تُرسل اليه بمثل هذا العَطاء قال معاويةُ مَن الرسولُ الى ابيك قال فلانٌ قال قاتله اللهُ انما هو خَطاء ودفع لابيك عطاء رَجُلٍ غيْرِه ثمّ قال يا غلام علىّ بعَشَرة آلافِ دِرْهَم وثلاثينَ حُلّة وثَوبًا ووصيفًا فعجّل بذلك واحضر الجميعَ فقال

يا ابنَ اخى خُذْ هذا الجميعَ واعتذِرْ لابيك وعرِّفه بانخطاء الرسول فقال يا اميرَ المومنين ان للوالد حقًّا وله امرٌ مطاعٌ وقد امرنى بشى فقال معاويةُ وما هُوَ يا ابنَ اخى قال انه لما دفع الىّ الثيابَ قال بحقّى عليك إلا ضربتَ بها وجهَهُ قال يا ابنَ اخى أَطِعْ اباكَ وارفُقْ بعَمّك فتقدَّم الغلامُ وضرَب بها وجهَ معاوية

١٦

ونزل بعضُ الشُطّارِ الى دار خلف بن ايّوب وهو واقفٌ يصلّى بالليل فجمَع اللصُّ جميعَ ما فى بيته من قماشٍ وغيْره ثم شدّه كارةً وحملها على راسه وخلف ينظُر اليه ولا يكلّمه فخرج الشاطر فاتى للحائط فلم يقدر على النُهوض فقال له خلف يا ابنَ اخى خُذ المِفْتاح وافتح البابَ فلعلّك محتاجٌ فقال اللصُّ إنّ مِثْلك لا يُؤذَى وترك القُماشَ وتابَ الى الله تعالى

١٧

فكتَب عبْدُ الله بن الزُبَيْر الى معاويةَ امّا بعْدُ يا معاوية فانّ عندك عبيدا قد اغْتَصَبوا أَرضى فمُرْهُمْ بالكفّ عنهم والا كان لى ولكُمْ شانٌ فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير

دفعه الى وَلَـــدِهِ يزيد فلمّـــا قرأه قال ما تَقول يا يَزيد قال أَرَى أن تَبْعث له جَيْشا اوّله عِنْدَه وآخِرُه عِنْدك يأتيك برأسه وتَسْتريح منه قال عندى خَيْرٌ من ذلك يا بُنَىّ قال ما هـــو يا أَبَتِ قال علىّ بدَواةٍ وقرطاسٍ فكتب فيه وقفتُ على كِتـــاب حَوَارِيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى واللهِ ما ســـاءه والدُنْيا وما فيهـــا هَيِّنةٌ فى جَنْب رِضاك وقد كتبتُ على نَفْسى مُسْطورًا اشهدتُ فيه اللهَ وجمـــاعةً من المسلمين انّ الارضَ والعبيدَ الذى فيها مِلْكك دونى وضُمّها الى ارضك والعبيدَ الى عَبيدك والسّلامُ فلمّا قراها عبد الله بن الزبير كتب اليه وَقَفْتُ على كِتاب امير المومنين لا أَعْدَمَنى الله بَقاءه ولا اعْدَمَه هذا الراىَ الذى أَحَلَّهُ هذا المحَلّ والسَّلامُ فلمـــا وَقـف معاوية على الكتاب ناوَله لِولده يَزيد فلما قراه تَهَلَّل وجهه فَرَحـــا فقال له يا بُنَىّ اذا بُليتَ بشىء من هذا الداء فداوِه بمثلِ ذلك وإنّا لَقومٌ لم نَرَ فى الحِلْم الّا خَيْرا

١٨

قيل أَنَّ المهلّب بن ابى صُفْرَة مرّ بحىّ من هَمْـدانَ فَرآه شابٌّ من اهل الحىّ فقال هذا المهلّبَ قالوا نَعَمْ قال واللهِ ما يساوِى خَمْسَ مِائةِ دِرْهمٍ وكان المهلّب رجلا اعْوَرَ فسَمِعه المهلّب فلمّا كان الليل

أَخذ المهلّب فى كُمّه خمسَ مايْة درهم واتى السى لحىّ فارْتقب الشابَّ الى أَنْ راءه فأتَى اليه وقال افتَحْ حُجْرك ففتح الشابُّ حجره فسكَب فيه ذلك القَدْرَ وهو لخمس مايْة درهم وقال خُذْ قيمةَ عمّك المهلب ووالله يا ابن اخى لو قرّضْتَنى بخمسةِ آلافِ دينار لأَتيتُك بها فسَمِعه شيخٌ من اهل لحىّ فقال والله ما أَخْطا من جعلك سَيّدا

١٩

وحكى سليمانُ الورّاقُ قال ما رايتُ أَعْظَمَ حِلْما من المامون ابن الرشيد وذلك أَنّنى دخلتُ عليه يومًا وفى يده فَصٌّ مُسْتَطِيل من ياقوتٍ احْمَرَ له شعاعٌ قد اضاء له المجلسُ وهو يقلّبه بيده ويَسْتَحْسِنه ثم دَعا برجلٍ صايغٍ فقال اصنعْ هذا الفصَّ كذا وكذا وحدَّ له فيه وعرَّفه كيف يَصْنَع به فأَخَذه الصايغُ وانْصَرَف ثم عُدت الى المامونِ بعد ثلاثة ايّامٍ فذكَر الفصّ فاستَدْعى بالصايغ فأُتى به وهو يَرْعَد وقد انتقع لونُه فقال المامونُ ما فعَل بالفصّ فتلجْلَج الرَّجل ولم يُطِق الكلامَ ففهِم المامونُ عنه شيا فولّى بوجهه عنه وكاشر حتى سَكن رَوْعه ثم التفت اليه واعاد القول فقال الامان يا امير المومنين قال لك ذلك فاخرج الفصّ على اربع قِطَع وقال يا امير المومنين انه سَقط من يدى على السنْدان فهو كما ترى فقال المامون

لا باسَ عليك اصنعْ منه اربعَ خواتمَ ولطّف له الكلامَ حتّى ظننّا انه كان يشتهى الفصّ على اربع قِطَع فلمّا خرج الرجلُ من عنده قال تَدْرون كم قيمةُ الفصّ قُلنا لا قال اشتراه اميرُ المومنين الرشيد بماية الف وعشرين الف درهم

٢٠

وخرَج رَجُل على سُليمانَ بن عبد الملك فسَلِمَ منه ثم ظَفِر به سليمان ايضا فى وقتٍ آخَرَ فعفَى عنه ثم خرَج على سليمان ايضا فنَجَى منه ثمّ ظَفِر به ايضا فعفَى عنه ثلاثَ مَرّاتٍ ثم امر بضَرْب عُنْقِه فقال الرجل اللهَ اللهَ يا اميرَ المومنين فقال سليمان اليس قد عفَوْتُ عنك ثم عفوت ثم عفوت فقال الرجل اليس قد اظفرك بى ثم اظفرك ثم اظفرك قال له نعَمْ والحمدُ للهِ ثمّ خَلّى سبيلَهُ

٢١

ولمّا وُلّى الحجّاج بن يوسف الخلافةَ قال علىّ بالمراة الحَرُوريّة فلمّا وَقَفت بين يدَيْهِ قال لهما انتِ بالأَمْسِ فى وَقْعَة ابن الزبير تحرِضينَ الناسَ على قَتْل رِجالى ونَهْب أَمْوالى قالت قد كان ذلك

فالتفت الحجاج الى وُزَرايه وقال ما تَرَوْنَ فيها قالوا عَجِّلْ قَتْلَها فضحكت المراةُ فَاْغتاظ لذلك الحجّاج وقال ما أَضحكك قالت كان وُزَرآءُ فِرْعونَ خيرٌ من وُزَرآيك فالتفت الحجاج الى وزرايه فراءهُمْ قد خجلوا فقال لها كَيْفَ ذلك قالت لانه اسْتَشارهم فى قتل موسى فقالوا أَرْجِيه واخاه يَقُولوا أَنْظِرْه الى وقتٍ آخرَ وهولاء يَسْأَلُونك تَعْجِيلَ قَتْلى فضحك الحجاج وامر لها بعَطَآء واطلقها

٢٢

وحضر الهرمُزان الفارسىّ بين يدى عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه ماسوراً فدعاه عُمَرُ الى الاسْلام فأَبَى فامر بقتله فقال يا اميرَ المؤمنين قَبْلَ انِ تَقْتُلَنى أَسْقِنى شُرْبَةً من المآء ولا تقتلنى ظَمْآنًا فامر عمر بقَدَحٍ مَمْلُوًّ مآء فلمّا صار القَدَح فى يد الهرمزان قال انـا آمِنٌ حتّى أَشْرَبَه يا امير المومنين قال نَعَمْ لك الامان حتّى تشرب هذا المآء فالقى المآء من يده فاراقه ثم قال الوفا الوفا يا امير المومنين فقال عمر دَعُوه حتّى نَنْظُرَ فى أَمْره فلما رُفِعَ عنه السيفُ قال اشهَدُ ان لا الهَ الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال له عمر لقد اسلمتَ خيرَ اسلام فما أَخّرك قال خَشِيتُ انْ يقالَ عَنّى اننى اسلمتُ خوفا من السَّيْف فقال عمرُ رضى الله عنه ان لفارسَ لحُلُومًا استحقّتْ ما

كان فيه من المُلك ثم إنّ عمر بعد ذلك كان يُشاوره فى إخراج الجُيوش الى ارض فارس ويعمل برايه

٢٣

وخرج على الرّشيد رجلٌ خارجيٌّ فأنهض اليه الرشيد جيْشا فظفر به فاحضره بين يدَيْه فقال له الرشيد ما تُريد أنْ اصنع بك قال الذى تريد ان يصنع اللهُ بك اذا أوقفك بين يدَيْه فاطرق الرشيدُ ساعةً وقال خلُّوا سبيلَه فلمّا خرج من بين يدَيْه قال له من حضره يا اميرَ المومنين أنفقتَ اموالَك وأتعبتَ رِجالَك واطلقتَه بكلمةٍ واحدةٍ لا نأمَنُ اميرَ المومنين ان يتجرّأ عليه اهلُ الشّرّ قال ردُّوه فلمّا مَثَل بين يدَيْه عَلِمَ انّهم تحدّثوا فيه عِنْدَه فقال يا اميرَ المومنين لا تُطِعْ فيّ أسيرك احدًا فإنّ الله تعالى لو اطاع فيك غيرَك ما استخلفك ساعةً واحدةً فقال خلّوا سبيله ولا يُعاودْنى احدٌ فيه

٢٤

ودخل عُمارة بن حَمْزَة على المَنْصور فأجلسه فى صدر المَجْلس فقام رجل وقال مظلومٌ يا اميرَ المؤمنين قال مَنْ ظلَمك قال عمارة بن حمزة الذى اجلستَه فى صدر المجلس غصَبَ لى ضَيْعة فقال المنصورُ

٦٠

قُمْ يا عمارة فَاسْتَوِ معه فى المحاكمة واقعُدْ عند خَصْمك قال عمارة ما هو خَصْمى يا امير المؤمنين قال وكَيْفَ ذلك قال ان كانت الضَيْعة له فلست أُنازِعه فيها وان كانت لى فقد وَهَبْتُها له وهى مِلْكه دونى ولا اقومُ من مجلس شرَّفنى به اميرُ المؤمنين قال فاستحسن المنصور فِعْلَه وَاسْتَجْود عَقْلَه

٢٥

وحدث احمد بْنُ موسى قال ما رايتُ رجلا أَثْبَت جَنانًا من رجل رُفع فيه عِنْد المنصور وقالوا ان عندَه ودايعَ واموالا وسِلاحًا لِبنى أُمَيَّة فامَر المنصورُ صاحبَه الربيعَ بإحْضارِه فأُحضِر بين يدَيْهِ فقال له المنصور قد رُفع الينا أَنَّ عندك ودايعَ واموالا وسِلاحًا لبنى امية فاخرِجْ لنا منها واحمِلْ جميعَ ذلك الى بَيْتِ المال فقال الرجلُ يا اميرَ المومنين انتَ وارِثُ بنى امية قال لا فوَصِيٌّ انت قال لا قال فلِمَ تَسْأَل عن ذلك فاطرَق المنصورُ ساعةً ثم قال إِنَّ بنى امية ظلموا الناسَ وغصَبوا أَموالَ المسلمين وانا آخذُها فارُدُّها الى بيتِ المالِ للمسلمين قال الرجل يحتاج اميرُ المومنين الى بَيِّنة يَقْبَلها الحاكمُ انَّ المال الذى لِبنى أُمَيَّة هو الذى فى يَدى وانّه هو الذى اغتصَبُوه من النّاسِ واميرُ المومنين يَعْلَمُ انّ بنى امية

كانت معهم أموالا لأنفسهم غيرَ اموالِ الناس التى اغتصبوها
على ما يزعم اميرُ المومنين قال فسكت المنصور ساعة ثم قال
يا ربيع صدق الرجلُ ما يجب لنا عليه شىء ثم قال للرجلِ ألك
حاجة قال نعم قال ما هى قال ان تجمع بينى وبين من سعى بى
اليك فوالله يا اميرَ المومنين ما لبنى امية عندى ودايع ولا مال ولا
سلاح وانما لما حضرت بين يدى امير المومنين وعلمت ما هو عليه
من العدل والانصاف واتباع الحق واجتناب الباطل وانه لا يجوز ذلك
ايقنتُ ان هذا الكلامَ الذى صدر منى انجح واصلح لما سألنى
عنه واقرب الى الخلاص فقال المنصور للربيع اجمع بينه وبين الرجل
الذى اتهمه فمسكه وقال هذا اخذ لى خمسماية دينار وهرب ولى
عليه مسطور بها فاحضرهما بين يدى امير المومنين فاستنطق
الرجل فاقرّ بالمال فى ذمته فقال الرجل يا امير المومنين قد وهبتها
له لاجلك وادفع له خمسماية اخرى لاجل حضورى فى مجلس
امير المومنين فاستحسن المنصور فعله وكان كل وقت يقول يا ربيع
ما رايت من جنى مثله

٢٦

ووفدت أسما بنت يزيد على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقالت بأبى انتَ وأمّى يا رسولَ الله صلّى الله عليك وسلم انه ليس فى شرق البلاد وغربها امرأة الّا وهى مثل رايى إن الله بعثك الى الرجال و النساء فآمنّا بك وبالذى أرسلك وإنّا معاشرَ النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومواضع شهواتكم وحاملات أولادكم وانتم معاشر الرجال فضّلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المريض وتشييع الجنايز والحجّ بعد الحج ثم أفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله وانكم اذا خرجتم حجّاجا ومجاهدين وتجارا ومسافرين حفظنا لكم اموالكم وربّينا لكم اولادكم أفنشارككم فى الأجر يا رسول الله فالتفت النبىّ صلّى الله عليه وسلم بوجهه الى أصحابه وقال هل سمعتم مقالة امرء احسن من مسألتها عن أمر دينها من هذه المرأة فقالوا يا رسولَ الله ما ظننّا انّ امرأة تهدى فى دينها الى مثل مقالتها فقال النبى صلى الله عليه وسلم انصرفى ايتها المراة وأعلمى من خلفك من النسآء انّ حسن تبعّل احداكنّ لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك ان شاء الله فانصرفت وهى تهلّل وتكبّر استبشارا

٢٧

وسال رجل فقيهًا عن الخمر احَلالٌ هو أَمْ حَرامٌ فقال له حَرامٌ قال الرجُل ما تقول فى العِنَب والزّبيب والتَمْر احَلال هو ام حَرام فقال له حَلال قال فما تقول فى السُكّر والقند والعسل قال حَلال قال فاىُّ شَىء حلّل هذا وحرّم هذا فقال الفقيه ارايتَ لَوْ أَخذتَ كَفًّا من تُرابٍ ولطمْتَ به وجهَك او صَدْرَك أَكان يُؤلِمك قال لا قال فلو اخذتَ كفًّا من تِبْنٍ فلطَمْتَ به وجهك أَكانَ يؤلمك قال لا قال فلو اخذتَ التُرابَ والتِبْنَ والماء وجمَعْتَهم وجبَلْتَهم ووضعتَهم فى الشَمْس أيّامًا ثمّ ضربتَ بهم وَجْهَك اكان يُؤلِمك قال نعم قال وهكذا اذا جُمع هذا وعُتِق حَرُم واذا جُمع هذا وعُتِق آلَم

٢٨

لمّا تَزَوَّجَ الحارث بن عَوْف الكِنْدىّ الخَنْساءَ بِنْتَ مُلْحِم وكانتْ ذاتَ حُسْنٍ وكَمالٍ فايِقٍ فلمّا زُفّتْ اليه مَسَكتها أُمُّها على بابِ المَحْمِل وقالت اىْ بُنَيّة انّ الوَصيّة لَوْ تُرِكتْ لفَضْل ادبٍ او جُودة حَسَبٍ لترَكتُها عنك لِما اعلَمُ مِن حُسْن أَدَبك وفَضْل حَسَبك وجُوْدة عَقْلك اى بنيّة لو استَغْنَتِ آمْراةٌ عن زوج لِحاجةِ ابيها اليها لكنتِ أَغْنَى الناس عنه ولكنّهنّ للرِجال خُلِقْن كما

ووفدت أسما بنت يزيد

فقالت بأبي انت وأمي يا

في شرق البلاد وغربها امراة إ

الرجال و النساء فآمنا بك وبالذى

محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومواضع

أولادكم وانتم معاشر الرجال فضلتم علينا

وعيادة المريض وتشييع الجنايز والحج بعد الحج ثم أفضل

الجهاد في سبيل الله وانكم اذا خرجتم حجاجا ومجاهدين وتجـ

ومسافرين حفظنا لكم اموالكم وربينا لكم اولادكم أفنشارككم

في الأجر يا رسول الله فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم

بوجهه الى أصحابه وقال هل سمعتم مقالة امرء احسن من مسألتها

عن أمر دينها من هذه المرأة فقالوا يا رسول الله ما ظننا ان امرأة

تهدى في دينها الى مثل مقالتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم

انصرفي ايتها المرأة وأعلمي من خلفك من النسآء ان حسن تبعل

احداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك ان

شاء الله فانصرفت وهي تهلل وتكبر استبشارا

٢٩

و جل اشيبُ اللحية يسيرًا فبينا هو يمشى

حرامٌ قال الـ سن وجمال فقال لها يا هذه ان كنتِ

حرام فقال له حـ لـكِ ما تختارين وان كنتِ متزوجةً

قال فاىُّ شىء حلّل هـ ن لى زوجٌ لكننى فى راسى يسيرٌ

كفًّا من ترابٍ ولطمْتَ به و وتركها فقالت على رِسْلك

فلو اخذتَ كفًّا من تِبْنٍ فلطمْتَ بـ نةً ولا براسى بياض وانما

فلو اخذتَ التُّرابَ والتِبْنَ والماء وجمع

فى الشَّمْس أيّامًا ثمّ ضربتَ بهم وَجْهَك اكان يؤلمك

اذا جُمع هذا وعِتقُ حَرِم واذا جُمع هذا وعتق كريما جوادا

لا يقدر

٢٨

لمّا تزوّج الحارث بن عوف الكنانى ذلك

بِنْتَ مُلْحِم وكانتْ ذاتَ حُسْنٍ وكمالٍ فايقٍ فلمّا ع

مسكتها أمّها على بابِ المحمِل وقالت اىْ بُنَيّة انّ الوصيّة لو تركت

لفضلِ ادبٍ او جُودة حَسَبٍ لتركتُها عنك لِما اعلمُ مِن حُسْن أدبك

وفضل حَسَبك وجُودة عقلك اى بنيّة لو استغنتِ آمراةٌ عن زوجٍ

لِحاجةِ ابيها اليها لكنتِ أغنى الناس عنه ولكنّهنّ للرجال خُلِقن كما

انّ الرِجــال لهــن خُلقوا وانّكِ خرجتِ من العُشّ الذى كُنْتِ فيه درَجْتِ ومن البيت الذى فيه نَشَـأْتِ الى رجل لَمْ تَعْرِفيه وقرينٍ لم تَـأْلَفيه فكُـونى له أَمَةً يكون لكِ عبدًا وٱحْفظى خِصــالًا منى لِتَبْلَغى بهـا امرًا وتُنْشَرى بها ذِكرًا يا بنيةَ عليكِ بحُسْنِ الصُحْبة بالقناعة والعشارة بالسَمْع والطاعة ففى الطاعةِ راحة للقَلْب وفى السَمْع والطاعةِ رِضَى الزَوْج والرَبّ والتَفَقُّد لمَوْضع عَيْنه وأَنْفه ولا تقعْ عينُه منه على قبيحٍ ولا يَشَمّ منكِ الا طَيِّبَ رِيحٍ واعلَمى يا بنيةَ ان الكحل هو الحُسْنُ الموجودُ والمآء هو أَطْيَبُ الطيب المَفْقود والرِعايةِ لعيــالهِ والحفْظِ لماله ورِعايةِ مالهِ وعيــاله حُسْنُ التَدْبير وحَفْظ ماله حُسْن التقدير والتفقُّد لوقتْ طَعــامه والهدوّ وقتَ مَنــامه فإنّ حَرَّ الجوع مُلْهِب وتَنْغيصَ النــوم مُعْــجب ولا تُفْشِينّ له سِرًا ولا تَعْصِينّ له امرًا لانّكِ ان افشيتِ له سرًا لم تامَنى غَدْرَه وان عَصَيْتَ امرَه اخْرجتِ صَدْرَه ولا تُظْهِرى الفَرَح اذا كان تَرِحا ولا الاكتيابَ اذا كان فَرِحًــا ولئنْ زِدْتيه إعظاما زادكِ إكراما وٱاثِرى هَواه على هَواكِ فى وقت يحب ذلك واثرى هواكِ على هواه فى اكثر الاوقات وزُفــت اليه وحُظِيت عنده وولَــدت منــه اربــعَ مُلوك وهُمْ شُرَحْبــيل وحُــجر ومَسْلَمة ومَعْدى كَرِبَ

٢٩

قال بعضهم كان رجل اشْيَبُ اللحْية يَسيرًا فبينا هو يمْشى اذْ راى آمْراةً تَمْشى ذاتَ حُسْن وجَمال فقال لها يا هٰذه ان كنتِ عازبةً فانا اتزوّج بكِ وادفع لكِ ما تَخْتارين وان كنتِ متزوجةً فبارك الله لزوجك فيك فقالت ليس لى زوجٌ لكننى فى راسى يسيرٌ من بياضٍ واظُنّك تَكْرَه ذلك فقال نعم وَتَركها فقالت على رِسْلك يا هذا واللهِ ما بلغتُ من العُمْر عِشرين سَنَةً ولا براسى بَياض وانما أَعلمتك انى اكرَهُ ما تكرِه منّى

٣٠

قيل كان معنُ بن زايدة رجلا حليما سخيّا كريما جوادا كثيرَ العقل سديد الراى فشجر بين جماعة من العرب انه لا يقدر احد من خلق الله تعالى على اغضابه فقالوا له ان فعلت ذلك كان لك علينا ماية ناقة حمرا فدخل عليه فى وقت جلوسه وامتنع بان يسلم عليه ثم انشده الاعرابى هذه الابيات

اتذكُرُ اذ لِباسُك جلدُ شاة　　وانْ نَعْلاك من جلد البعير

فقال معنٌ اذكر ذلك ولا انساه فقال الاعرابى ثانيا

فسبحانَ الذى اعطاك مُلْكا　　وعلّمك الجُلوسَ على السرير

فقال معنٌ ذلك من فضل الله لا من فضلك يا اخا العرب

فقال الاعرابى ثالثا

فلا والله ما ان عشتُ يوما على معن اسلّم بالامير

فقال معْن يا اخا العرب السلامُ سُنّة من سنن الاسلام ان اتيتَ بها اجرتَ وان تركتها اثمْتَ فقال الاعرابى

ولا اسكن بلادًا انت فيها ولو جزتُ الشام مع الثغور

فقال معن يا اخا العرب ان سكنتَ لم تَلْقَ منّا الّا خيرا وان رحلتَ فمصحوبًا بالسلامة فقال الاعرابى فجُدْ لى يا ابن زايدة بشي فانى قد عزمتُ على المسير فقال معن يا غلام اعطه الف دينار يستعين بها على بُعده منا ورحيله من ارضنا فقال الاعرابى قليل ما مَنَنْتَ به وانّى لاطمعُ منك بالشى الكثير فقال معن يا غلام أعْطِه الفَ دينار اخرى فقال الاعرابى

فقلت اذا ملكتَ الارضَ طرّا بلا عقل ولا لبٍّ خطير

فقال معن يا غلام اعطِه الفَ دينار اخرى فقال الاعرابى يا ايها الامير انى لمختبر لحلمك بما سمعتَه منى اما والله لقد جمع الله فيك من الحلم والجود ما لو قُسّم على الارض لكفاهم قال معن يا غلام كم اعطيتَه على نظمه قال ثلاثة الاف دينار قال

واعطه على نثره ثلاثة الاف دينار ايضا فاعطاه ذلك فاخذه ثم انصرف الاعرابيُّ بالمال شاكرا وهو يقول هذا البيت بأَعْلَى صوته

فانتَ الجودُ والاحسانُ طرًا وفي الاعْطاءِ كالبحرِ الغزيرِ

٣١

قال احمد بن ابى داود ما رايتُ رجلا عُرِض على الموتِ ورأَى النطعَ مَفْروشا والسيفَ مَسْلولا ولم يَكْترِثْ لذلك ولا عُدل به عمّا أَرادَ الاَّ تميمَ بن جَميل وقد كان خَرج على المعتصم فى أَيام دَوْلته ونَزع يده عن الطاعة وانَقطع الى بعض النواحى وكان قد عظم امرُه على المعتصم ولقد رايتُه وقد جِئَ به مكتوفا اسيرا وكان قد اجتمع الناسُ من الآفاق والنواحى ينظرون كيف يقتله المعتصم وكان المعتصم قد جلس له مجلسا منكرًا وامر الناسَ بالدخول ودخَل تميم وحضر السيّافُ وفُرِّش النطعُ وكان تميمٌ جميلَ الوجه تامّ الخلقة عذب المنطق فراه المعتصم غير دَهِش ولا مكترِث لِما نزل به فاراد ان يستنطقه ليعلم اين عقله فى ذلك الوقت فقال له تميم إن كان لك عذرٌ فاتِ به فقال اما اذا اذن امير المومنين فالحمدُ لله الذى جَبَّر بك صدعَ الدين والمّ بك شعث المسلمين واثار بك سبيل الحق واخمد بك شهاب

الباطل انّ الذنوب يا امير المومنين لتخرس الالسنة الفصيحة ولتصدع الافيدة الصحيحة ووالله لقد كبر الذنب وعظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظنّ ولم يبق الا عفوك او انتقامك وانت الى العفو اقرب وهو بك اشبه واليق ثم انشد هذه الابيات شعر

ارى الموتَ بين السيف والنطع كامنًا
يلاحظني من حيث لا اتلفّت
واكثر ظنّي انك اليومَ قاتلي
واىّ امرىء ممّا قضى الله يفلت
ومن ذا الذى ياتى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين يديه يُصلت
وما جزعى من ان اموت واننى
لأعلم ان الموتَ شى موقّتٌ
ولكنّ خلفى صبيةٌ قد تركتُهم
واكبادهم من حسرة تتفتتُ
كانّى اراهم حين انعى اليهم
وقد لطموا تلك الخدود وصوّتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة
اذود الردى عنهم وان متّ موّتوا

قال فبكى المعتصم حتى ابتلّت لحيته وقال ان من البيان لسحْرًا ثم قال والله يا تميم كاد السيف يسبق العفو وقد وهبتك لله تعالى ولصبيتك وعفوت عن زلّتك ثم امر بقناه فعقد له الولاية على موضعه الذى كان خرج فيه ووصله بشى كثير

٣٢

وأُتِي للمتوكل بمحمّدِ بن البَعيث ووزيره ابن الدَّبَرانىّ وكان قد خرَج على المتوكل واستوْزر ابن الدَبَرانى فلما مثل بين يَدَيْه قال له المتوكّل ما حَمَلَك على ما فعلتَ يا محمّدُ قال الشَقْوَة يا اميرَ المومنين وإنّي بك لَظنينٌ ثم قال هٰذه الأَبياتَ شِعْر

أَبَى النّاسُ الّا أَنَّكَ اليومَ قاتِلِي
إمامَ الهُدَى وَالْعفْوُ بِٱلْحُرِّ أَجْمَلُ
تَطاوُلُ ذَنْبِي عِنْدَ عَفْوِك قِلَّةٌ
فجُدْ لى بِعَفْوٍ مِنْكَ فَالعَفْوُ أفْضَلُ
فَاِنَّكَ خَيرُ السّابِقينَ اِلَى ٱلتُّقَى
ولا شَكَّ أَنّ الجُودَ لِلمَرْءِ أَكْمَلُ

فقال المتوكّل خَلُّوه ثمّ قُدِّمَ ابنُ الدَبَرانى فقال اضْرِبوا

عُنْقَه فقال سبْحانَ اللهِ يا اميرَ المومنين تَعْفُوعن الراس وتَقْطَع الذَنْبَ قال دَعُوا الآخَرَ فخلّاهما جميعًا

٣٣

وقيل ان المامونَ رَضِيَ اللهُ عنه أَشْرَفَ يوما من قَصْرِه فرأى رَجُلًا قايمًا وبيدِه فَحْمَةٌ وهو يَكْتُب بها على حايط القَصْر فقال المامونُ لِأَحَدِ غِلْمانِه انزِلْ الى ذلك الرجل فأَمْسِكْ بيَدِه واقرأْ ما كتَب وآتِنى به فنزل الغلامُ فادرك الرجلَ فقبَض على يده وقرا ما كتَبه على الحايط فوجده قد كتب هذَيْن البَيْتَيْن شعر

يا قَصْرُ جُمِّعَ فيك الشُومُ واللُومُ
مَتَى يُعَشْعِشُ فى أَرْكانك البُومُ
يوما يُعَشعِشُ فِيكَ البُومُ مِنْ فَرَحِى
اكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْعاك مَرْغُومُ

فقال له أَجِبْ اميرَ المومنين فقال له الرجل سالتُك بالله تعالى اتذْهَب بى اليه قال انه يَراك فقبَض عليه حتى مثّله بين يَدَيْه ثم قال انى وَجَدْتُه قد كتَب كذا وكذا وذكر البيتين فقال المامون وَيْلكَ ما حمَلك على هذا فقال الرجلُ يا اميرَ انه لم يَخْفَ عنك ما حَواهُ قَصْرُك هذا من خَزاين الأَموالِ والحُلِىّ

والحُلَلِ والشَراب والفُرش والجَوارى والخَدَم فمررتُ عليه وانا فى غاية من سُوء الحالِ من الجُوع والعطَش ولى يومانِ ما استطعمتُ فيها بطعامٍ فوقفتُ ساعةً وفكرتُ فى نفسى وقلت هذا القَصْرُ عامِرٌ وانا جايعٌ فلا فايدةَ له فلو كان خَرابًا ومررتُ به على تلك الحالة لم أَعْدَمْ رُخامةً او خشَبةً او مِسْمارًا أَبيعه وأَتقوّتُ به أَوَما عَلِم اميرُ المومنين انه قد قيل مِنْ كَلام الفُضَلآء هذَيْن البيتين

اذَا لَمْ يَكُنْ للمَرْء فى دَوْلَةِ آمْرِىءٍ
نَصيبٌ ولا حَظٌّ دَعَا بِزَوالِهَا
وَلَا ذاك عَنْ بُغْضٍ ولا عَنْ مَحَبَّةٍ
وَلٰكِنْ يُرَجِّى نَفْعَهُ فِى آنْتِقالِها

فقال المامون يا غلامُ أَعْطِه الفَ دِينارٍ ثم قال يا هذا هى لك فى كُلِّ سَنَةٍ ما دامَ قَصْرُنا عامِرًا بنا

٣٤

قال احمد بن عمر الكوفى انّ جبلةَ بن الأَيْهَمِ كتَب الى عُمَرَ بن الخطّاب رَضِىَ الله عنه مِنَ الشّعْرِ يَطلُب اِذْنَه فى القُدوم عليه مُسْلِمًا فسُرَّ عُمَرُ بذلك وكتَب عمر اليه ان يَقْدَمَ ويُسْلِمَ وله ما لنا وعليه ما علينا فخرج جبلة فى جَمْعٍ كثير من سايِرِ

العَرَب فلمّا قَرُبَ مِنَ المَدينةِ أَلْبَسَ القومَ حُلَلاً من الذَهَب ومَطارِقا موشّاةً وحُلَلُ الخيل بجَلاجِل الأَطْلس ولَبِسَ جبلةُ تاجًا نفيسا ولم يَبْقَ فى المَدينة احدٌ حتّى خرَج النِساء والصِبْيانُ وفرِح المسلمون باسْلامه وقدُومِه وكان يوما مَشْهودًا فدخَل المدينة واسلم واقام بالمدينة وتَعلَّم شرايعَ الاِسْلام فلما كان أَوانُ المَوْسم خرَج عُمَرُ رضى الله عنه الى الحاجّ وخرَج جبلة معه يُريد مَكّةَ والوُقوفَ بعرَفَةَ فبَيْنَما جبلة بن الاهيم يَطوف بالبيتِ اذْ وَطِئَ على اِزارِه رَجُل من فَزارة فحَلّه فالتفَت جبلة الى الرجل فلطَمه لَطْمةً هشم بها أَنْفَه فاستَعْدَى الفزارىُّ الى عمرَ بن الخَطّاب رَضِى الله عنه فأَرسل عمرُ الى جبلة فأَحْضَره فحضَر اليه فقال له ما دَعاك الى ما صنَعْتَ بهذا الرجل الفزارىّ قال لانّه وَطِئَ على اِزارِى فحَلّه ولو لا حُرْمة هذا البيت لأَرْمِيَنَّ براسِه قال له عمر قد اقررتَ بفِعْلك فامّا أَنْ ترضِيَه واِمّا القِصاص قال اوتَقْتَصّ له مِنّى وهو سُوقةٌ وانا جبلة بن الاهيم ملِك غَسّانَ قال له عُمَر رضى الله عنه قد جَمعك واِيّاه الاسْلامُ فلا فَضْلَ لك عليه فى القِصاص قال جبلة لقد رجَوْتُ ان اكون فى الاِسْلام اعزَّ منّى فى الجاهليّة هَيْهاتِ أَنْ فعلتَ يا عُمَرُ فانا أَتَنَصَّرُ فقال له عمر ان تنصّرتَ ضرَبْتُ عُنُقَك قال جبلة أَخِّرْنى الى غد يا اميرَ المومنين قال لك ذلك فلمّا كان الليلُ خرَج

جبلة وأصحابهُ من مكّةَ والمدينةِ فلم يزالوا حتّى دخلوا قسطنطينيّةَ على هرقل فتنصّروا جميعًا فأقطعه من الأراضى وأوقف عليه من الرباع ما أعرضتُ عن ذكره مخافةَ التطويل قال وبعث عمر رضى الله عنه الى هرقل يدعوه الى الاسلام فأجابهُ الى المصالحة على غير الإسلام فلمّا أرادَ ان يكتبَ الى عمرَ جوابَه قال للرّسول اذهبْ الى جبلة بن الايهم الذى اتانا من عندكم وتنصّر قال فذهب اليه الرسولُ فإذا على راسه من القهارمة والحُجّاب والحفدة ما لا يُوصَف فاستأذنَ عليه ودخل عليه فاذا هو على سرير من بلّور قوايمه من ذهب فلمّا راءنى عرّفنى وأدناني وأجلسنى على السرير الى جانبه يسألنى عن المسلمين واحدًا بعد واحدٍ ورجُلا رجلا فاقول له بخيرٍ تركتُهم قال وكيف تركتَ عُمَرَ قلت بخير ثم نزلتُ عن السرير فلما نزلتُ قال لى لِمَ تابى الكرامةَ الّتى اكرمتُك بها فقلتُ إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم نهى عن مثل ذلك قال نعم صلّى الله عليه وسلم ولكنْ نَقِّ بنيّتك واجلسْ على ما شئتَ قال الرسول فلما سمعتُه يصلّى على النبى صلى الله عليه وسلم طمعتُ فى إسلامِه وقلتُ له يا جبلة هل لك فى الإسلام والرجوعِ اليه قال ابعْدَ ما كان منّى قلتُ نعمْ قد فعل رجل قبلك مثل فعلِك وضرّر وجوهَ المسلمين بالسّيف وعاد الى

الاسْلام وقبل منه وهو فلان وفلان قال جبلة لا أَعودُ الّا ان زوّجنى عمرُ آبْنتَه وولّانى العَهْدَ قال الرسول فضمِنْتُ له التزويج ولم اضمَنْ له الخلافةَ قال ثُمّ دَعا بمَوايد طَعام فأُحضِرت أَطباقٌ من فِضّة عليها صِحافٌ من ذهَب فيها الطّعامُ فقال لى كُلْ فقبضَتُ يَدى وقلتُ انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نَهى عن الأَكل فى مِثْل ذلك فقال نَعَمْ صلّى الله عليه وسلّم ودعا بقَصْعَة من خَلَنْج فاكلتُ فيها وكان بحضرته جَوارٍ يُغَنّين الشعرَ وبأَيديهنّ العُودُ والأَراغل فقال لى أتعرِفُ قايلَ هذا الشِعر قلتُ لا قال هذا شِعرُ ثابت بن حَسّان الأَنصارىّ كيف حالهُ يا نزى (بنى) قلتُ له قد كُفّ بَصَرُه قال فأَمَرَ لى بكِسْوة ومالٍ ونُوقٍ مَوفورة ثمّ قال لى خُذْ هذه فانْ وجدتَ حَسّانا حيًّا فسلّمْها اليه وان وجدتَه مَيّتا فادفَعِ المالَ لأَهْله وانحَرْ النوقَ على قَبْره سُرْعَةً وانشد هذه الابيات

قد سُرّت الأَشْرافُ من أَجْل لَطْمَةٍ
وما كان فيها لو صَبَرْتُ لَها ضَرَرْ
فيا ليت أُمّى لم تَلِدْنى وليتنى
رجعتُ الى القول الذى قاله عُمَرْ
ويا لَيْتَنى ارْعى المَخاضَ بقَفْرةٍ
وكنتُ أَسيرًا فى رَبيعَةَ او مُضَرْ

٧٥

قال الرسول فاخذتُ الهَدِيَّةَ ورجعتُ الى عمر بن الخطّاب رضى الله عنه فاخبرته بصُورةِ الأَمْر فقال هَلّا ضمِنْتَ له ذلك فاذا فاءَ الى الإسلام وتأنّس به قضى الله بحُكْمِه فينا وفيه ثم ذكرتُ له هَدِيَّة حسّان فأنفذ عُمَرُ الى حسّان فأقبل وَقايدٌ يَقودُه فلمّا دخَل حسّان قال يا امير المومنين إنّى لأَجِدُ رِيحَ غسّانَ قال نَعَمْ هذا رَجُل قَدِمَ علينا من عِنْدَهم فقال هاتِ يا ابنَ اخى ما مَعَك فقال الرسولُ ومن أَعْلَمك انّ معى هديّةً قال يا ابن اخى إنّ جبلة كريمٌ من عَصَبة كرام مدَحتُهم فى الجاهلية فأَعْطانى وحلَف انّه لا يَلْقى احدًا يَعْرِف بمكانى إلّا سيَّر لى معه هديّةً قال فدفعتُ له المالَ والابلَ ثمّ أَعادنى عمرُ الى القسطنطينية لِاضْمَنَ لجبلةَ التزويجَ والأَمْرَ فلمّا قدمتُ القسطنطينية وجدتُ النّاسَ منصرِفين من جنازته فعلِمتُ ان الشقاء قد غلَب عليه فى أُمِّ الكتاب

٣٥

واخْبرنا سهل التَيْمىّ قال حَجّ مُعاوِيَةُ فسال عن آمْراةٍ من بنى كِنانةَ كانت مُقيمةً بارض الحِجاز يقال لها دارميّة الحَجونيّة فاخبَروه بسَلامتها وانّها حَيَّةٌ ترزق فامَر بها فلما حضَرت وكانت

سوداء قال لها كيف انت يا بنت حام قالت لست بابنة حام
انا امراة من كنانة قال اتدرين لم ارسلت اليك وفيم
استدعيتك قالت لا يعلم الغيب الا الله تعالى قال اردت ان اسالك
لم احببت على ابن ابى طالب رضى الله عنه وابغضتينى
وواليتيه وعاديتينى قالت اوتعفينى من ذلك قال لا بد ان تقولى
قالت احببت عليا على عدله فى الرعية وقسمته بالسوية وابغضتك
على قتالك لمن هو اولى بالخلافة منك وطلبك ما ليس لك بحق
وواليت عليا على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الالوية وعلى حبه للمساكين واعظامه لاهل الدين وعاديتك على
سفكك الدماء وجورك فى القضاء وحكمك بالهوى قال لها معاوية
هل رايت عليا قالت نعم قال فكيف رايتيه قالت رايته ما
فتنه الملك الذى فتنك ولم تشغله النعمة التى شغلتك قال فهل
سمعت من كلامه شيا قالت نعم كان كلامه يجلى القلوب
العمى كما يجلى الزيت الصداء قال فهل لك من حاجة قالت
نعم اعطنى مائة ناقة حمرا فيها فحولها ورعاتها قال فما تصنعين
بها قالت اغذى بلبنها الصغار واستحيى بها الكبار واكتسب بها

المَكارِم وأُصْلِح بها بين العشاير قال فاذا دفعْتُها لك اكونْ عِنْدك فى مَنْزِلة عليّ قالت لا والله فقال معاوية متمثلا

اِذَا لم أَجُدْ بالحِلْمِ مِنّى عليكمْ
فَمَنْ ذا الذى بَعْدِى يؤمّل للحِلْمِ
خُذِيها هنيًا واذْكُرِى فِعْلَ ماجِدٍ
جَزاك على حَرْبِ العَداوة بالسِلْمِ

ثم قال لها والله لو كان علىّ حيًّا ما أَعْطاك منها ناقة فقالت لا والله ولا وَبَرَةً لِأَنَّها من مالِ المُسْلمين فقال لها خُذِيها وانصرفى

٣٥

قيل جِلَس معاوية ابن ابى سُفْيانَ فى مَجْلس كان له بدِمَشْقَ وكان ذلك الموضعُ مُفتَّح الجوانب يدخُل منه النسيمُ فبينما هو جالِسٌ يَنْظر الى بعض الجهاتِ وكان يوما شديدَ الحرِّ لا نسيمَ فيه وكان وَسْطَ النَّهار وقد نفح الهجيرُ اذ نَظر الى رجلٍ يَمْشى نَحْوَه وهو يتلظّى بالنارِ من حرِّ التُراب ويَحْجُل فى مشيه حافيا راجلا فتأمَّله معاوية وقال لجُلَسايه هَلْ خلَق اللهُ أشْقى ممّن يَحْتاج الى الحَركة فى مِثْلِ هذه الساعة فقال بعضهم لعلّه يَقْصد

اميرَ المومنـــين فقـــال والـلهِ لَيِنْ كـان قاصـدى سايلًا لَأُعْطِيَنّه او مُسْتاجيرًا لَأُجيرَنّه اوْ مظلوما لَأَنْصُرَنّه يا غلامر قِفْ بالبابِ فإن طلَبنى هذا الاعرابىُّ فلا تَمْنَعْه من الدخول على فخرج الغـلامُ فوافق الاعرابىُّ فقـــال ما تُريد قال اميرَ المومنين قال ادخُلْ فدخَـــل وسلّم على معاوية فقال له ممّن الرجُل قال من تمـــيم قال ما الذى جاء بك فى مِثْل هذا الوقت قال جيئتك مُشْتكيًا وبك مستاجيرًا قال ممّن قال من مروان بن الحكم عاملِك ثمّ أَنْشد هذه الابيات شعر

مُعَاوِىَ يا ذا الجُود والفَضْل والحِلْمِ
ويا ذا النَدَى والعِلْم والرُشْد والنُبْلِ
اتيتُك لمّا ضاق فى الأَرض مَذْهَبى
فيا غوث لا تَقْطَعْ رَجَائى مِنَ العَدْلِ
وجُدْ لى بإنْصـافٍ من الجايرِ الذى
بَلانى بِشَىْءٍ كَانَ أَيْسَرُه قَتْـلى
سَبَـانِىَ سُعْدَى وانْبَـرَا لِخُصومَتى
وجارَ ولمر يَعْدِلْ وغـاصَبَنى أَهْلى
وهَـمَّ بِقَتْـلى غَـيْرَ أَنَّ منِـيَّتى
تَأَنَّتْ ولَمْ أَسْتَكْمِلِ الرِزْقَ مِنْ أَجْلِى

فلما سَمِع معاوية إنْشادَه والنارُ تتوقّدُ من فيه قال مَهْلا يا اخا العَرَب انكُرْ قِصّتك وأَفصِحْ عن أَمْرك قال يا امير المومنين كانتْ لى زوجةٌ وهى آبنةُ عَمّى وكنتُ لها مُحِبّا وبها كَلِفا وكنتُ بها قريرَ العين طَيِّبَ العَيْش وكانتْ لى صِرْمةٌ من الابل وكنتُ أَستعينُ بها على قِيامِ حالى وكَفاف أَوَدى فأَصابَنا سَنَةٌ ذاتُ قَحْط شديدٌ أَذْهَب الخُفّ والظِلْف وبقِيْتُ لا أَملك شيئا فلمّا قَلّ ما بيَدِى وذهب حالى ومالى بَقيتُ مُهانا ثقيلا على وجه الأَرْض قد أَبْعَدَنى من كان يَشْتهِى القربَ منّى وآزورّ عنّى من كان يرغَبُ فى زِيارتى فلمّا علم أَبُوها ما بى من سُوء الحال وشَرّ المال اخَذها منّى وسأَلنى الفِراقَ وجَحَدنى وطَردنى وأَغْلظ علىّ فأَتَيْتُ الى عامِلِك مروان بن الحكم مُسْتصرِخا وبه راجِيًا لِيَنْصُرَنى فاحضر اباها وسأَله عن حالى قال لا أَعْرِفه قبلَ اليومِ فقلتُ أَصْلَح الله الاميرَ إن راى ان يُحْضِرها ويسأَلها عن قول ابيها فَلْيَفْعَلْ فبعث اليها مروان واحضرها مجلسَه فلمّا وقَفت بين يدَيْه وقَعت منه موقعَ الإعجاب فصار لى خَصْمًا وعلىّ مُنْكِرا وانْتَهَرنى وأَظْهَر لى الغَضَب وبعَث بى الى السِّجْن فبقيتُ كانّما خَرَرْتُ من السَمآء فى مكانٍ سحيقٍ ثم قال لابيها هل لك ان تزوِّجها منّى على أَلْفِ دِينار وعَشَرةِ آلاف دِرْهَم لك وانا ضامِنٌ لك خِلاصَها من هذا الأَعرابىّ

فرغب ابوها فى البَذْل وأجابَه لِذلك فلمّا كان من الغدِ بعث الىّ وأَخْرَجنى من السِّجْن وأَوْقفنى بين يدَيْه ونظر الىّ كالاسَد الغضْبان وقال يا أعْرابىُّ طَلِّقْ سُعْدى قلتُ لا أَقْدِر على هذا فسلَّط علىّ جماعةً من غِلمانه فاخَذوا يُعذّبونى بأَنْواعِ العَذاب فلمْ أَجِدْ بُدّا من ذلك ففعلتُ فأَعادُونى الى السِّجْن فمكثتُ فيه الى ان انقضَتْ عِدتُها فتزوَّجها ودخَل بها وقد اتيتُك راجيا وبك مُسْتجيرا واليك ملتجيًا ثم أَنْشد شِعْر

فى القَلْب مِنّى نارْ والنارُ مِنْها آسْتَعارْ
والجِسْمُ مِنّى سَقيمْ فيهِ الطَّبيبُ يَحارْ
وَفى فُؤادىَ جَمْر وَالْجَمْرُ فيهِ شَرارْ
والعينُ تهْطُل دَمْعًا فدَمْعُها مِدْرارْ
ولَيْسَ إلّا بِربّى ثمّ الاميرِ آنْتِصارْ

ثمّ آضْطَرب وآصْطَكّت لَهاهُ وخَرّ مَغْشيًّا عليه واخذ يَتلَوّى كالحيّة المقتولة فلمّا سَمِع كلامَه وإنْشادَه قال تَعَدّى وظلَم ابنُ الحكم فى حُدودِ الدينِ وآجْتَرى على حُرَم المُسْلمين ثمّ قال واللهِ يا اعرابىُّ لقدْ أَتيْتَنى بحديثٍ لمْ اسمَعْ بمِثْله قطّ ثمّ دعا بدَواةٍ وقِرْطاس وكتَب الى مرْوان بن الحكم قد بلغنى أنّك اعتديْتَ على رَعيّتك وانتهكتَ حُرْمةً من المسلمين وتعَدّيتَ فى

حُدودَ الدين ويَنْبغى لِمَنْ كان واليًا ان يُغضّ بَصَره عن شَهَواتِه ويزجُر نفْسَه عن لذّاته ثم كتَب اليه بعدَ كلامٍ اختصرتُه هُنا يهدّده به نَظمًا وهو هذا الشعر

وَلِيتَ وَيْحَكَ أَمْرًا لَسْتَ تُدْرِكُه فَاسْتَغْفِرِ اللّهَ مِنْ فِعْلِ آمْرِئٍ زَانِى
وَقَدْ أَتَانَا الفَتَى المِسْكِينُ مُنْتَحِبًا يَشْكُو الينا ببَثٍّ ثُمَّ إِحْزانِ
أُعْطِى الإلٰهَ يَمِينًا لا أُكَفِّرُها نَعَمْ وَأَبْرَاءُ مِنْ دِينِى وَدُنْيَانِ
انْ انت خَالَفْتَنى فيها كتَبْتُ به لَأَجْعَلَنَّكَ لَحْمًا بَيْنَ عقبانِ
طَلِّقْ سُعادَ وَعَجِّلْها مجهّزةً مع الكُمَيْتِ وَمَعْ نَصْرِبْنِ ديبانِ

ثم طَوَى الكتابَ وطَبعه بخاتمه واستدعى الكُمَيتَ ونَصْرَبن ديبان وكان يَسْتَنْهِضهما فى قضاء الحوايج لأمانتهما قال فاخذاه وسارا حتّى قدما المَدينةَ فدخلوا على مروان بن الحكم فسلّما اليه الكتابَ ففضّه وقراه فارتعدت فَرايِصُه فطلّقها فى الحال وبعَث بها الى أَمير المُؤمنين وكتَب كِتابا فقَرَاه مُعاويةُ فقال لقد أَحْسَن فى الطاعةِ وأَطْنَب فى حُسْن الجارية فلمّا راى معاوية الجارية رأَى صُورةً لم يَرَ مِثْلها فى الحُسْن والقدِّ والجَمال فخاطَبها فوجَدها أَفْصحَ النِساء بعُذوبةِ مَنْطق فقال علىَّ بالاعرابىّ فأُتى اليه وهو على غايةٍ من سوء الحالِ فقال يا اعرابىُّ هل لك عنها من سَلْوة وأُعَوضك ثلاثَ جوارٍ بِكْرٍ مَع كلّ جاريةٍ أَلْفُ دِينار وأُقْسِم لك من بيتِ المال ما يَكْفِيك

ويُعينك على محبّتهنّ فلمّا سمع الاعرابى كلامَ معاوية شهق شهقةً ظنّ معاويةُ انّه قد مات فقال له معاويةُ ما بالُك فقال شرُّ بال واسوأ حالٍ استجرْت بعدلك من جوْر ابن الحكم فبمَنْ أستجيرُ من جوْرك ثم أنشد هذه الأبياتَ شِعرٌ

لا تجْعَلَنّى فداكَ اللهُ من ملكٍ   كالمُستجيرِ من الرَّمضاء بالنارِ
ارْدُدْ سُعادَ على حيْران مُكْتئبٍ   يُمْسى ويُصبِحُ فى هَمٍّ وتذكارِ
أطْلِقْ وَثاقى ولا تبْخَلْ علىَّ بها   فإنْ فعلْتَ فإنّى غيرُ كفّارِ

ثم قال واللهِ يا اميرَ المومنين لو اعطيتَنى ما حوَتْه الخلافةُ ما اعتَضْتُه دُونَ سُعدى ثم انشد هذا البيتَ

أبَى القلْبُ الّا حُبَّ سُعْدى وبُغِّضتْ   الىَّ نِساءٌ ما لهُنَّ ذُنُوبُ

قال معاوية يا اعرابىّ انتَ مُقِرٌّ انّك طلّقْتها ومروان مُقِرٌّ انّه طلّقها ونحن نخيِّرها فإنْ اختارت سواك زوّجْناها منه وان اختارت رجعْنا بها إليْك قال افعَلْ فلا حولَ ولا قوّة إلّا باللهِ العليّ فقال لها معاويةُ ما تقولينَ يا سُعْدى ايُّما احبُّ اليك اميرُ المومنين فى عِزّه وشَرفه وسُلْطانه وقُصوره وما تصيرين عِنْده او مروان بن الحكم فى عَسْفه وجَوْره او هذا الاعرابىّ مع جُوعِه وفقْره وسُوء حالهِ فانشدت هذين البيتين شعر

هذا وان كان فى جُوعٍ واِضْرارِ أعزّ عِنْدِىَ من قَوْمى ومِنْ جارِ
وصاحِب التـاجِ اومرْوان عـامِلِهِ وكلِّ ذى دِرْهمٍ عِنْدى ودينارِ

ثم قالت واللهِ يا اميرَ المؤمنين ما انا بخاذِلَتهِ لحـادِثةِ الزمان ولا لِغدَراتِ الايّامِ وإنّ لى مَعَهُ صُحْبةً قديمةً لا تُنْسَى ومحبّةً لا تُبْلَى وانا احـقُّ من صَبَرَ معه عـلى الضَرّاء كمـا تعمّمتُ معه فى السّـرّاء فتعجّب معاوية من عَقْلها ومُروّتِهـا وامَر لها بعَشَرة الافِ دِرْهمٍ وردّها بعَقْدٍ صحيح

للفخر الرازى

الفصل الاول فى الامور السلطانية والسياسات الملكية

أَمَّا الكَلامُ على أَصْلِ المُلْكِ وحَقِيقَتِهِ وانْقِسَامِهِ الى رِيَاسَاتٍ دِينِيَّةٍ وَدُنْيَاوِيَّةٍ من خِلافَةٍ وسَلْطَنَةٍ وإِمَارَةٍ ووِلَايَةٍ وما كان مِنْ ذلك على وَجْهِ الشَّرْعِ وما لم يَكن ومَذاهِبِ أَصْحَابِ الآرآء فى الإِمامَةِ فليس هذا الكتابُ مَوْضُوعًا للبَحْثِ عنه وانما هو مَوْضُوعٌ للسياسَةِ والآداب التى يُنْتَفَعُ بها فى الحوادث الواقعةِ والوقايعِ الحادِثَةِ وفى سِيَاسَةِ الرعِيَّةِ وتحْصِينِ المملكة وفى إِصْلاحِ الأَخْلاقِ والسِيرَةِ فأَوَّلُ ما يقال أَنَّ المَلِكَ الفاضِلَ هو الذى اجتمعت فيه خِصَالٌ وعدِمَتْ فيه خِصَال فامّا الخصال التى تُسْتَحَبُّ ان تُوجَدَ فيهِ فمنها العَقْل وهو أَصْلُهَا وأَفْضَلُهَا وبه تُسَاسُ الدُوَلُ بل المِلَل وفى هذا الوَصْفِ كِفَايَةٌ ومنها العَدْلُ وهو الذى تَسْتَغْزِرُ به الأَمْوَالُ وتَعْمُرُ به الأَعْمَالُ وتُسْتَصْلَحُ به الرِّجَالُ ولما فتَحِ السلطانُ هُولاكُو بَغْدَادَ فى سَنَةِ سِتٍّ وخَمْسِينَ وسِتِّمِئَةٍ أَمَرَ ان يُسْتَفْتَى العُلَماء أَيُّمَا أَفْضَلُ السلطانُ الكافِرُ العَادِلُ او السلطانُ المُسْلِم الجَايِرُ ثم جَمَعَ العُلَمَاءَ بِالمُسْتَنْصِرِيَّةِ لذلك فلما وَقَفُوا على الفُتْيَا

أَحْجَمُوا عن الجَوَاب وكان رَضِيُّ الدين عليّ بن طاوس حاضِرًا هَذا المَجْلس وكان مُقدَّمًا مُحْتَرَمًا فلما رأى إِحْجَامَهُمْ تَنَاوَلَ الفُتْيا وضع خطّه فيها بتَفْضِيلِ العَادِلِ الكافِرِ على المُسْلِمِ الجائِرِ فوضَعَ الناسُ خُطوطَهُمْ بَعْدَهُ ومنها العِلْمُ وهو ثَمَرَةُ العَقْلِ وبه يَسْتَبْصِرُ الملك فيما يَأْتِيهِ ويَذَرُهُ ويأمَنُ الزلل في قَضَاياهُ وأَحْكامِهِ وبه يتزيّنُ الملك في عُيُون العامّةِ والخاصّةِ ويَصِيرُ بِهِ مَعْدُودًا في خَواصّ المُلُوك قال بَعضُ الحكماء المِلْكُ إذا كانَ خِلْوًا من العِلْمِ كان كالفِيلِ الهائِجِ لا يَمُرّ بشيء الا خَبَطَهُ ليس له زَاجِرٌ مِن عَقْلٍ ولا رَادِعٌ من عِلْمٍ واعْلَمْ انه ليس المُرَادُ بالعلم في المُلوكِ هو تَصَوُّر المَسَايِلِ المُشْكِلَةِ والتَبَحُّرِ في غَوامِضِ العلومِ والاغتراق في طَلَبِهَا قال مُعَوِيَةُ ما أَقْبَحَ بالملكِ أنْ يبالِغَ في تَحْصِيلِ عِلْمٍ مِن العُلُومِ وانما المرادُ من العِلْمِ في المَلِكِ هو أَنْ لا يكونَ له أُنْسٌ بها بحَيْثُ يُمْكِنه ان يُفَاوِضَ اربابَهَا فيها مُفَاوَضَةً يَنْدَفِعُ بها الحَالُ الحَاصِرُ ولا ضَرُورَةَ في ذلكَ الى التَدْقِيق كان مؤيّدُ الدينِ مُحَمَّدُ بن العَلْقَمِيّ وَزِيرَ المُسْتَعْصِم وهو آخِرُ وُزَرَآءِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ يُفَاوِضُ كل من يَدْخل عليه من العُلَمَاء مُفَاوَضَةَ عَاقِلٍ لَبِيبٍ مُحَصِّلٍ ولم يكن له بالعُلوم مَلَكَة ولا كانَ مُرْتَاضًا بها رِيَاضَةً طَايِلَةً وكان بَدْرُ الدِّين لُولُو صاحِبُ المَوْصِلِ لِكَثْرَةِ مجالَسَة الافاضِلِ وخَوْضِهِ في الأَشْعَار والحكاياتِ يَسْتَنْبِطُ المَعَانِيَ

الحسنة ويتنبّه على النكت اللطيفة مع انّه كان أُمّيًّا لا يكتب ولا يقرأ وكان عزّ الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري رحمه الله لمجالسة أهل الفضل ولكثرة معاشرتهم له صار يتنبّه على معانٍ حسنة ويحلّ الالغاز المشكلة اسرع منهم ولم يكن له حظّ من علم وما كان يظهر للناس الا انه رجل فاضل وخفي ذلك حتّى على الصاحب علاء الدين فإنّ ابن الكبوش الشاعر البصري عمل بيتين في الصاحب ونسبهما الى عبد العزيز وهما

عطا ملكٍ عطاؤك ملك مصرٍ　　وبعض عبيد دولتك العزيز
تجازي كلّ ذي ذنب بعفوٍ　　ومثلك من يجازي أو يجيز

فأنشدهما عبد العزيز بحضرة الصاحب وادّعاهما وخفي الامر على الصاحب وما أدري من ايهما اعجب أمن الصاحب كيف خفي عنه حال عبد العزيز مع انّه السنين الطويلة يعاشره في سفرٍ وحضرٍ وجدّ وهزل أو من عبد العزيز كيف رضي لنفسه هذه الرذيلة واقدم على مثل هذا مع الصاحب وما خاف من تنبّه الصاحب واسترذاله لفعله وتختلف علوم الملوك باختلاف آرائهم فامّا ملوك الفرس فكانت علومهم حكما ووصايا وادابا وتواريخ وهندسة وما أشبه ذلك وامّا علوم ملوك الاسلام فكانت علوم اللسان كالنحو واللغة والشعر والتواريخ حتّى ان اللحن كان عندهم

من أفحش عيوب الملك وكانت منزلة الإنسان تعلو عندهم بالحكاية الواحدة والبيت الواحد من الشعر بل باللفظة الواحدة من اللغة واما فى الدولة المغولية فرفضت تلك العلوم كلها ونفقت فيها علوم أخر وهى علم السياقة والحساب لضبط المملكة وحصر الدخل والخرج والطب لحفظ الأبدان والأمزجة والنجوم لاختيار الأوقات وما عدا ذلك من العلوم والآداب فكاسد عندهم وما رايته نافقا الا بالموصل فى ايام مليكها المشار اليه مد الله ظله ونشر فضله ومنها الخوف من الله تعالى وهذه الخصلة هي اصل كل خير ومفتاح كل بركة فان الملك متى خاف الله أمنه عباد الله روى ان عليا أمير المومنين عليه السلم استدعى بصوته بعض عبيده فلم يجبه فدعاه مرارا فلم يجبه فدخل عليه رجل وقال يا امير المومنين انه بالباب واقف وهو يسمع صوتك ولا يكلمك فلما حضر العبد عنده قال اما سمعت صوتي قال بلي قال فما منعك من اجابتي قال أمنت عقوبتك قال عليه السلم الحمد لله الذى جعلني ممن يأمنه خلقه وما احسن قول ابى نواس لهرون الرشيد

قد كنت خفتك ثم أمنني   من أن أخافك خوفك الله

ولم يكن الرشيد يخاف الله وافعاله باعيان آل على عليه السلم وهم اولاد بيت نبيه لغير جرم يدل على عدم خوفه

مِنْ اللّهِ تَعالى ولكنّ ابا نُوَّاسٍ جَرَى فى قَوْلِهِ عَلى عادةِ الشُعَراء ومنها العفو عن الذُنُوبِ وحُسْنُ الصَّفْحِ عن الهَفَواتِ وهذه أَكْبَرُ خِصالِ الخَيْرِ وبها تُسْتَمالُ القُلُوبُ وتَصْلُحِ النيات فَمِمَّا جاء فى التَّنْزِيلِ من الحَثّ على ذلك قولهُ تعالى شَانُهُ وليَعْفُوا او ليَصْفَحُوا الا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لكم وكان المامُونُ حَلِيمًا حَسَنَ الصَفْحِ مَعْرُوفًا بذلك هَجَاه دِعْبِل الشَاعِرُ بأَشْعار كثيرة من جُمْلَتِها

إِنّى مِنَ القَوْمِ الذِينَ سُيُوفُهم قَتَلَتْ أَبَاكَ وشَرَّفَتْكَ بِمَقْعَدِ
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طُولِ خُمولِهِ وَٱسْتَنْقَذُوكَ من الحَضِيضِ الأَوْهَدِ

فلما بلَغه هذا القَوْلُ لَمْ يَزِدْ على أَنْ قَالَ قَاتَلَهُ اللهُ ما أَغَدَّ بُهْتَانَهُ كُنْتُ خَامِلاً وفى حَجْرِ الخِلافَةِ نَشَأْتُ وبَدَرِّها أُرْضِعْتُ ولما بَلَغَهُ أَنَّ دِعْبِلًا قد هَجَاهُ قال مَنْ أَقْدَمَ على هجاء وَزِيرى ابى عَبَّادٍ كَيْفَ لا يُقْدِمُ على هِجَاى وهذا الكلامُ ظَاهِرُه غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ وهو يَحْتَاجُ الى تاويل فانّه عَكْسُ المَعْهُودِ قَدْ كَانَ يَنْبَغِى ان يَقُولَ الوَزِيرُ مَنْ أَقْدَمَ على هجاء الخَلِيفة كَيْفَ لا يُقْدِمُ على هِجَاى ومَعْنَى قَوْلِ المامُون أنّ مَنْ أَقْدَمَ على هجاء ابى عَبَّادٍ مع حِدَّتِهِ وهَوَجِهِ وتسرُّعِهِ وكان ابو عَبَّادٍ كذلكَ كيف لا يُقْدِمُ علىّ فى حِلْمِى وصَفْحِى ولو لا خَوْفُ الاطالةِ لذكَرْتُ جماعةً من حُلَمَاء المُلوكِ فى هذا المَوْضِع ولكنْ ليس هذا الفَصْل مَوْضِعًا

للسَّمِ وسَيَرِدُ من ذلك ما يُمتع ان شآء الله في الفصل الثاني ومنهم
من كان يَــرى ان الحِقْدَ خصلةٌ محمودةٌ في الملك قال بزرجمهر
يَجبُ ان يكونَ المَلِكُ احقدَ مِنْ جَملٍ وانا أُناقشهُ في هذا القولِ
فاقول كَيْفَ يُقال كذلك والملك متى كــان حَقُودًا فسدَتْ
نيّته لرعيّتهِ فَقتَهُمْ وقلّــل الالتفــات اليهــم والشفقة عليهم ومتى
أَحسّوا بذلك تغيّرتْ نيّاتهُمْ له وفسدت بَواطنهُمْ وهل يتمكّنُ
الملكُ ممّا يُريدُه من مُهمّــاتِ مملكته وبلوغ اغراضهِ كما في نفسهِ
الّا بصفاء قلوبِ رعيّتهِ وايّ حكمةٍ في ذلك وهل فيهِ سوى تنغيص
عيشِ الملك وتبغيض رعيّتهِ اليه وايحــاشهم منه قال شاعرُ العرب
وَلا أَحمِلُ الحِقْدَ القديمَ عليهمِ وليس رئيس القومِ مَنْ يحملُ الحِقدا
خُصوصًا والناسُ مركّبون على الخطاء مجبولون على تشميم الطباع
فما اكثرَ ما تصْدُرُ منهم مُوجبَاتُ الحِقْدِ فلا يزالُ الملــك طولَ دهرِ
يُعاني من الغيْظِ والحِقْدِ عليهِمْ ما يُنغِّص عليه لذّته ويشغلُه عن
كثيرٍ من مهامِّ مملكته وما اكثرَ ما رأينا الرّعيّة والجُنْدَ قد وثبوا
على مُلوكهِمْ فسلبوهــم ردآء المملكة بل رداء الحيـــاة فابتدئ من
عُمَرَ بنِ الخطّاب وقد وثبَ عليه ابــو لؤلؤة عبدُ المغيرة بن شعبة
فقتلهُ ثم ثنّ بعثمانَ بنِ عفّانَ رضى اللهُ عنه وانظرْ كيف اجتمع
عليه رعيّتهُ مِنْ كلّ جــانبٍ فحاصَرُوه في داره ايّامًا ثم دخلوا عليه

12

فَقَتَلوهُ والمصحف فى حِجْرِه حَتّى قَطَرَتْ قَطَرَاتٌ من دَمِهِ على المُصْحَفِ ثمّ ثَلَّثَتْ بِعَلِيِّ بن ابى طالِبٍ عليه السَّلمُ وقد ضَرَبَهُ عَبْدُ الرَّحْمانِ ابن مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللهُ بِسَيْفِهِ على أُمِّ رَاسِهِ بِالكُوفَةِ فَقَتَلَهُ وكانَ ابْنُ مُلْجَمٍ مِن الخَوارِجِ هذا فى الصَّدْرِ الأَوَّلِ وَالنّــاسُ ناسٌ والدِينُ دِينٌ ثمّ تَنَقَّلُ دَوْلَةً دَوْلَةً وايَّامًا فايّـامًا الى اواسط دَوْلَةِ بنى العَبّـاس فانْظُرْ مُنْذُ عَهْدِ المتوكـل الى عَهْدِ المُقْتَــفى ما جَرَى على وَاحِدٍ مِن الخُلَفاءِ مِنَ القَتْلِ والخَلْعِ والنَهْبِ بِسَبَبِ تَغَيُّرِ نيّاتِ جُنْدِهِ ورَعِيَّتِه فهذا سُمِلَ وذاك قُتِلَ والآخَرُ عُزِلَ ثم اسرح طَرْفَكَ فى الدولتَين البُوَيْهيّةِ والسَلْجوقيّةِ تَرَ مِنْ هَذا الباب عَجَبًا ثم أَرْجِعِ البَصَرَ الى اونك خان ملك الترك كيف لمّا تنكّرت نيّـتُه على جنكزخـان وحَقَدَ عليه أَشْيَاءَ عَرَضَها عليه عِنْدَه حُسّادُهُ وأَرادَ الوَقِيعَةَ به واعْلَمَهُ به الصِبْيان رَحَل من لَيْلَتِـهِ ثم حَشَدَ وجَمَعَ ووثب على اونك خـان فقتله وملك مَمَـالِكَهُ فتعـلم أَنَّ الحِقْدَ مِنْ اضَرِّ الأَشْيـاءِ للملكِ وانّ اوْفَقَ الاشياءِ له الصَّفْحُ والعَفْوُ والغُفْرانُ والتَنَاسى وما احْسَنَ قولَ القـايلِ

اقبَلْ من النّاسِ ما تَيَسَّرْ وَدَعْ مِنَ النّاسِ ما تَعَسَّرْ
فإِنّما النّـاسُ مِنْ زُجاجٍ إِنْ لـم ترفّقْ به تَكَسَّرْ

وقد مَدَحَ بَعْضُ الشعراءِ الحِقْدَ ولم يُسْمَع بِمَنْ مَدَحَ الحِقْدَ غيرُ هَذا

وما الحِقْدُ الاّ تَوأَمُ الشُّكْرِ في الفَتى
وبَعْضُ السَّجايا يَنْتَسِبْنَ الى بَعْضِ
وحَيْثُ تَرى حِقْدًا على ذِي اِسَاءةٍ
فَثَمَّ تَرى شُكْرًا على سَالِفِ القَرضِ
اِذا الارضُ أَدّتْ رَيْعَ ما أَنْتَ زارِعٌ
مِنَ البَذْرِ فيها فهي ناهيكَ من أَرْضِ

وهذا قَوْلٌ لا يُعَرَّجُ عليه وإِنْ عَرَّجَ عليه احَدٌ فَلْيُعَرِّجْ عليه غَيْرُ المَلِكِ فإِنَّ المَلِكَ احْوَجُ الخَلْقِ الى استِصْلاحِ النِّيّاتِ واستِصْفاءِ القُلُوبِ ومن الخِصالِ التي يُسْتَحَبُّ انْ يكونَ في المَلِكِ الكَرَمُ وهو الأَصْلُ في اسْتِمالَةِ القُلُوبِ وتَحْصِيلِ النَّصائِحِ مِنَ العَالَمِ والاستِخْدامِ الأَشْرافِ قال الشاعر

اذا مَلِكٌ لم يَكُنْ ذا هِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذاهِبَهْ

ومِمّا جاء في الحديثِ النبويِّ صلواتُ اللهِ على صاحبِهِ تَجاوَزُوا عن ذَنْبِ السَّخِيِّ فإِنَّ اللهَ آخِذٌ بِيَدِهِ كُلَّما عَثَرَ وفاتِحٌ عليه كُلَّما افْتَقَرَ وقال عليٌّ عليه السلامُ الجُودُ حارِسُ الأَعْراضِ واعْلَمْ أَنَّهُ لم يَتَضَمَّنْ سِيرَةٌ من حكاياتِ الجُودِ مِثْلَ ما نُقِلَ عن قآنِ العادِلِ وهو اوكتاي بن جنكزخان فانّه غَبَّرَ في وُجُوهِ جميعِ كِرامِ المُلُوكِ مَناقِبُ تَفْتَنُّ ما رَقَعْتُمْ مِنْ جُودِ كَعْبٍ وسَماحِ حاتِمٍ

ومن الاتفاقات الحسنة وجوده فى عصر المستنصر بالله وكان المستنصر اكرم من الريح ولكن اين يقع جوده من جود قآن ومن اين للمستنصر مالٌ يفى بعطايا قآن ومنها الهيبة وبها يحفظ نظام المملكة ويحرس من أطماع الرعية وقد كان الملوك يبالغون فى اقامة الهيبة والناموس بارتباط الأسود والفيلة والنمور وضرب البوقات الكبار كبوق النفير والدبادب ورفع . . . . لاثبات الهيبة فى صدور الرعية ولاقامة ناموس المملكة كان عضد الدولة اذا جلس على سريره أحضرت الاسود والفيلة والنمور فى السلاسل وجعلت فى حواشى مجلسه تهويلًا بذلك على الناس وترويعًا لهم ومنها السياسة وهى رأس مال الملك وعليها التعويل فى حقن الدماء وحفظ الأموال وتحصين الفروج ومنع الشرور وقمع الدعار والمفسدين والمنع من التظالم المؤدى الى الفتنة والاضطراب ومنها الوفاء بالعهد قال تعالى سلطانه وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولًا وهو الأصل فى تسكين القلوب وطمانينة النفوس ووثوق الرعية بالملك اذا طلب الامان منه خايف او اراد المعاهدة منه معاهد ومنها الاطلاع على غوامض أحوال المملكة ودقايق امور الرعية ومجازاة المحسن على احسانه والمسئ على اساته كان اردشير الملك يقول لمن شاء من أشراف رعيته وأوضاعهم كان البارحة من حالك كيت وكيت حتى صار يقال

إنّ اردشيرَ ياتيهِ مَلَكٌ من السمــاء يُخْبِرُه بالأُمُورِ وما ذاكَ إلّا لتَيقُّظِهِ وتَصفُّحِهِ فهذه عَــشْرُ خِصَــال من خِصــالِ الخَــيْرِ مَنْ كــانَ فــيه استَحقَّ الرِّياسَةَ الكُبْرى ولوْ نَظرَ اصْحابُ الآراء والمَذاهِبِ حقّ النَّظرِ وتَركوا الهَوى لكانَتْ هٰذه الشَّرايِطُ هى المُعْتبَرةَ فى استِحقاقِ الإمامةِ وما عدَاها فَغيرُ طايلٍ وقال بُزُرْجِمِــهْر يَنْبَغِى ان يكونَ الملكُ كالارضِ فى كتْمانِ سِرِّهِ وصَبْرِهِ وكالنَّارِ على أهْلِ الفَسَادِ وكالماء فى لِينِهِ لِمَنْ لايَنَهُ ويَنْبَغى أنْ يكونَ اسْمَعَ من فَرسٍ وابْصَرَ مِنْ عُقَابٍ واهْدَى مِنْ قَطَاةٍ واشَدّ حَــذرًا من غُــرَابٍ واعظَمَ اقْداما من الأسَد وأقْــوى واسْرَعَ وُثُوبًا مِنَ الفَهْدِ ويَنْبَغِى للملكِ انْ لا يَسْتَبِدَّ برأيِهِ وأنْ يُشَــاوِرَ فى المُلِمّاتِ خَوَاصَّ النــاس وعُقَلاءَهُــمْ وَمَنْ يَتفرَّس فيه الذَّكاءَ والعَقْلَ وَجَوْدَةَ الرّاي وَصِحَّةَ التَّمْييزِ وَمَــعْرِفَة الأُمُورِ ولا يَنْبغى أنْ يمنَعَهُ عِزَّةُ المُلْكِ مِنْ إيناسِ المُسْتَشار وبَسْطِهِ واسْتِمالَةِ قَلْبِهِ حَتّى يَمْحَضَهُ النَّصيحَةَ فَإنَّ أَحَدًا لا يَنْصَحُ بالقَسْرِ ولا يُعطِى نَصيحَتَهُ الا بالرَّغبَةِ وما احْسَنَ قَوْلَ الشَّاعِرِ فى هٰذا المَعْنى

أُهَانُ وأُقْصَى ثُمّ يَسْتَنْصِحُونَنِي وَمَنْ ذا الّذِى يُعْطِى نَصيحَتَهُ قَسْرًا

قال الله تعالى وشَــاوِرْهُمْ فى الأمرِ وكان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يُشاوِرُ أصْحَــابَهُ دايِمًا لَمّــا كانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ خَرَجَ عليه السلامُ من المدينةِ فى جَماعَةِ المسلمِينَ فلمّا وَصلوا بَدْرًا نَزلوا على

غير ماء فقام اليه رجل من اصحابه وقال يا رسول الله نزولك هاهنا شيء امرك الله به او هو من عند نفسك قال بل هو من عند نفسي قال يا رسول الله ان الصواب ان ترحل وتنزل على الماء فيكون الماء عندنا فلا نخاف العطش واذا جاء المشركون لا يجدون ماء فيكون ذلك معينا لنا عليهم فقال رسول الله صدقت ثم امر بالرحيل ونزل على الماء واختلف المتكلمون في كون الله تعالى امر رسوله بالاستشارة مع انه ايده ووفقه وفي ذلك اربعة وجوه احدها انه عليه السلم امره بمشاورة الصحابة استمالة لقلوبهم وتطييبا لنفوسهم الثاني انه امر بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الراي الصحيح فيعمل عليه الثالث انه امر بمشاورتهم لما فيها من النفع والمصلحة الرابع انه انما امر بمشاورتهم ليقتدي به الناس وهذا عندي احسن الوجوه واصلحها قالوا الخطاء مع المشورة اصلح من الصواب مع الانفراد والاستبداد وقال صاحب كليلة ودمنة لا بد للملك من مستشار مامون يفضي اليه بسره ويعاونه على رأيه فان المستجير وان كان افضل من المستشار واكمل عقلا واصح رأيا فقد يزداد برأي المشير رأيا كما تزداد النار بالدهن ضوءا ونورا قال الشاعر

اذا اعوز الرأى المشورة فاستشر برأي نصيح او مشورة حازم

واعلم ان للملك امورا تخصه بها عن السوقة فمنها اذا

أَحَبَّ شيأً أَحَبَّهُ الناسُ واذا أَبْغَضَ شيأً ابْغَضَهُ النَّاسُ واذا لَهِجَ بشَيْءٍ لَهِجَ به الناسُ امّا طَبْعًا او تَطَبُّعًا لِيَتقرّبوا بذلك الى قَلْبِهِ ولذلك قِيلَ الناسُ على دِينِ مُلُوكِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ زِيُّ النَّاس في زَمنِ الخُلَفاء فلمّا ملَكَتْ هذه الدولةُ اسْبَغَ اللهُ احْسَانَا وأَعْلى شَانَها غَيَّرَ الناسُ زِيَّهُمْ في جميعِ الأَشْيَاءِ وَدَخَلُوا في زِيِّ مُلُوكِهِمْ بالنُطْقِ واللِباسِ والآلاتِ والرُسومِ والآداب من غَيْرِ أَنْ يُكَلِّفُوهُمْ ذلك او يامُرُوهم به او يَنْهَوْهُم عنه ولكِنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ زِيَّهم الاوّل مستَهْجَنٌ في نَظَرِهِمْ مُنافٍ لاخْتِيَارِهِمْ فَتَقَرَّبُوا اليهم بزِيِّهم وما زال الملوك في كل زمانٍ يَخْتَارُونَ زِيًّا وَفَنًّا فَيَميل الناسُ اليه ويَلْهَجُونَ به وهذا من خَواصِّ الدَّوْلَة وأَسْرارِ المُلْكِ ومن خَوَاصِّ المَلِكِ ان مَحَبَّتَه تُورِثُ التِيهَ والكِبرَ وتُقَوِّي القَلْبَ وتكبِّر النَّفْسَ ولَيْسَتْ مَحَبَّةُ غَيْرِ المَلِكِ تَفْعَل ذلك ومن خواصّه انه اذا اعْرَضَ عن انسان وَجَدَ ذلك الانسانُ في نَفْسِهِ ضَعْفًا وإِنْ لم يَنَلْهُ بمكْرُوه واذا اقْبَلَ على انسانٍ وَجَدَ ذلك الانسانُ في نَفْسِه قُوَّةً وَإِنْ لم يُصِبْهُ منه خَيْرٌ بَلْ مُجَرَّدُ الإعْرَاضِ والإقْبالِ يَفْعَلُ ذلك وليس أَحَدٌ من الناس بهذه المنزلة غَيْرُ السُّلْطانِ واما الخِصالُ التي تُسْتَحَبُّ ان تكون مَعْلومَةً فيه فقد ذكرها ابن المقفَّع في كلام له قال ليس للملك ان يَغْضَبَ لأَنَّ القُدْرَةَ مِنْ وَرَاء حَاجَتِهِ وليس له ان يَكْذِبَ لانه لا يَقْدِرُ احدٌ على

الزامه بغير ما يريد وليس له ان يتخل لانه اقل الناس عذرا فى خوف الفقر وليس له ان يكون حقودا لان قدره قد عظم عن المجازاة لاحد على اساءة صدرت منه وليس له ان يحلف اذا حدث لأنّ الذى يحمل الانسان على اليمين فى حديثه خلال اما مهانة يجدها فى نفسه واحتياج الى ان يصدّقه الناس واما عىّ وحصر وعجز عن الكلام فيريد أن يجعل اليمين تتمّة لكلامه أو حشوا فيه واما أن يكون قد عرف انه مشهور عند الناس بالكذب فهو يجعل نفسه بمنزلة من لا يصدّق ولا يقبل قوله الّا باليمين وحينئذ كلّما ازداد ايمانا ازداد الناس له تكذيبا والملك بمعزل عن هذه الدنايا كلها وقدره اكبر من ذلك ومن الخصال التى يستحب ان تكون معدومة فى الملك الحدّة فانها ربّما اصدرت عنه فعلا يندم عليه حين لا ينفع الندم واكثر ما ترى الحداد من الرجال سريعى الرجوع ولذلك قال عليه السلم خير امّتى حدادها ومن الخصال الله يستحب عدمها فى الملك الضجر والسأم والملل فذلك من أضرّ الأمور وافسدها لحاله

من الكتاب المسمى
بزبدة الحلب فى تاريخ حلب للشيخ كمال الدين ابى حفص عمر بن احمد بن هبة الله

فمرض (الملك الصالح) بالقولنج واشتدّ مرضه فدخل اليه طبيبه ابن سُكّرة اليهوديّ وقال له سرًّا يا مولانا شفاوك فى الخمر فان رايت ان تأذن لى فى حمله فى كمّى بحيث لا يطّلع اللالا ولا شادبخت ولا احدٌ من خلق الله على ذلك فقال يا حكيم كنتُ والله اظنّك عاقلا ونبيّنا صلّى الله عليه وسلّم يقول ان الله لم يجعل شفاء امّتى فيما حرم عليها وما يُومّننى ان اموت عقيب شربها فالقى اللهَ والخمرُ فى بطنى والله لو قال لى ملكٌ من الملايكة ان شفاوك فى الخمر لما استعملته حكى لى ذلك والدى عن ابن سُكّرة الطبيب ولما ايس من نفسه احضر الامرآء والمستحفظين واوصاهم بتسليم البلد الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى واستحلفهم على ذلك فقال له بعضهم ان عماد الدين ابن عمّك ايضا وهو زوج اختك وكان والدك يحبّه ويوثره وهو تولّى تربيته وليس له غير سنجار فلو اعطيته البلد لكان اصلح وعز الدين له من البلاد من الفرات الى همذان ولا حاجة له الى بلدك فقال له ان هذا لم يغب عنّى ولكن قد علمتم ان صلاح الدين قد تغلّب على البلاد الشامية سوى ما بيدى ومتى سلّمت الى عماد الدين يعجز عن حفظها وانْ ملكها صلاح الدين لم يبق لاهلنا معه مقامٌ وان

سلّمتها الى عز الدين امكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده فاستحسنوا هذا القول منه وعجبوا من حسن رايه مع شدة مرضه وصغر سنّه ثم مات يوم الجمعة خامس وعشرين شهر رجب من سنة سبع وسبعين وخمسماية ودُفن بقلعة حلب الى ان ابتنت والدته الخانكاه تجاه القلعة ونقل اليها فى ايام . . . . فسيّر الامراء جورديك والبصيرى وبزغش وجمال الدين شادبخت النوريون مع جماعة المماليك النورية الى عز الدين يستدعونه وجددوا الايمان فيما بينهم له واما علم الدين سليمان بن حيدر وحسام الدين طُمان بن غازى واهل الحاضر فانهم راسلوا صاحب سنجار وكتموا امرهم وشادبخت هو الوالى بالقلعة والحافظ لخزائنها والمدبّر للامور مع النورية فسير الى علم الدين سليمان وحُسام الدين طُمان وطلّب منهما الموافقة فى اليمين لعزّ الدين فماطلا ودافعا فلما تاخّر وُصول عماد الدين عليهما وافقا على اليمين لعزّ الدين ولما وصل رسول الامير الى عز الدين سار هو ومجاهد الدين قايماز الى الفرات فنزل على البيرة ووصل شهاب الدين اخو عماد الدين مختفيا واجتمع بطُمان وابن حيدر واعلمهما ان عماد الدين فى بعض الطريق فاخبروه باخذ اليمين عليهم وان تربّصه بالحركة احوَجهم الى ذلك فعاد اليه اخوه وعرّفه فعاد الى بلاده واما عزّ الدين فحين وصل الى البيرة ارسل الى الامراء الذين بحلب واستدعاهم اليه فخرجوا والتقوه بالبيرة وساروا معه الى حلب ودخلها فى العشرين من شعبان واستقبله مقدّموها ورؤساؤها وصعد الى القلعة وكان تقى الدين عمر بن اخى الملك الناصر بمنبج فعزم على ان يحُول بين عز الدين وحلب حين وصل الى البيرة لانه وصل جريدة وتخلّف عنهم الغلمان والحُشد ثم انه تثاقل هو واصحابه عن ذلك ولما وصل عز

الدين الى حلب سار تقى الدين من منبج الى حماة وثار اهل
حماة ونادوا بشعار عز الدين فاشار عسكر حلب على عز الدين
بقصدها وقصد دمشق واطمعوه فيها وفى غيرها من الشام واعلموه
محبة اهل الشام لاهل بيته وكان الملك الناصر بالديار المصرية
فلم يفعل وقال بيننا يمين ولا نغدر به ولما بلغ الملك الناصر
اخْذ عز الدين حلب قال خرجت حلب عن ايدينا ولم يبق
لنا فيها طمع واقام عز الدين بحلب فسير اليه اخوه عماد الدين
زنكى بن مودود وقال كيف تختصّ انت ببلاد عمى وابنه وباموالة
دونى وهذا الامر لا صبر لى عنه وطلب منه تسليم حلب اليه وان
ياخذ منه سنجار عوضا عنها فامتنع عز الدين ولم يُجبه الى ما
اراد فارسل اليه وهدده بان يسلّم سنجار الى الملك الناصر فيضايق
الموصل بها فاشار عليه طايفة من الامراء باخذ سنجار منه واعطايه
حلب وكان اشدّ الناس فى ذلك مجاهد الدين وهو الذى كان
يتولى تدبيره وكان امراء حلب لا يلتفتون الى مجاهد الدين ولا
يسلكون معه ما يسلكه عسكر الموصل فلذلك ميّل عز الدين
الى ذلك وشرع عز الدين فى الميل الى الامراء الذين حلفوا له
اولا والاعراض عن الذين مالوا الى اخيه عماد الدين واحسن الى
اهل حلب وخلع عليهم واجراهم على عاداتهم فى ايام عمه نور
الدين وابنه الملك الصالح وابقى قاضيها والدى وخطيبها عمى
ورئيسها صفى الدين طارق بن الطريرة على ولايتهم وولّى بقلعة
حلب شهاب الدين اسحق بن اميرك الجاندار صاحب الرقّة وابقى
شادبخت فى القلعة ناظرا معه وولى مدينة حلب والديوان مظفر
الدين بن زين الدين وكان الصلح قد انفسخ بموت الملك الصالح
بين الفرنج والمسلمين وكانت شبه الحديد مناصفة بين المسلمين

والفرنج فاضافها عسكر حلب قبل وصول عز الدين الى الدربساك
واختصّوا بها دون الفرنج وحصر اهلها الى طُمان فاعطاهم الامان
فلما وصل عز الدين سيّر العساكر الى ناحية حارم وحاولوا نهب
عمق فانحاز اهله كلهم الى شيح لعلمهم بانّ طمانا امنهم فاراد
عسكر الموصل ان نهبوها فقال لهم ان شيح لحلب وانهم في امانى
فلم يلتفتوا الى قوله وسار واليها ليلا فسبقهم الى المخاض ووقف
فى وجوههم يردّهم فقتل منهم جماعة ثم تكاثروا وعبروا
فسبقهم طمان الى شيح وامرهم ان يجعلوا النسآء فى المغاير ودرّبها
فوصل عسكر الموصل فراوا ذلك فعزموا على القتال فصاح طمان اذا
كنتم تخفرون ذمتى فانا ارحل الى الفرنج وسار فى اصحابه الى ان
قرب من يغرا فوصله من اخبره بانهم عادوا عنها ولم ينالوا منها
طايلا وخادوا من ملامة عز الدين فعاد طمان ونزل كل منهم فى
خيامه بحارم وكانت المواصلة عز الدين يطعنون على طمان وانه
وافق اهل شيح فى العصيان واراد اللحاق بالفرنج فاحضر طمان
والمواصلة وتقاتلوا بين يديه فقال عز الدين الحقّ مع حسام
الدين ولا يجوز نقض العهد لواحد من المسلمين وكان ذلك فى
شهر رمضان من السنة وبقيت المواحشة بين امرآء حلب والمواصلة
والحلبيّون لا يرون التغاضى لمجاهد الدين ومجاهد الدين يحاول
ان يكونوا معه كامراء الموصل والامراء الحلبيون يمنّون عليه بانهم
اختاروه لهذا الامر ويطلبون منه الزيادة ويختلق المواصلة عليهم
الاكاذيب فهرب الامير علم الدين سليمان بن حيدر قاصدا الملك
الناصر الى مصر فقالوا لعز الدين ان طمانا سيهرب بعده فامر عز
الدين مظفر الدين بن زين الدين وبنى الغراف (والجوارحى)
وغيرهم ان يمتدّوا من السعدى الى المباركة فى طريقه وان يقف

جماعة حول دار طمان وكان يسكن خارج المدينة فلما لم يجر
من طمان شى من ذلك جاوا اليه نصف الليل وطلبوه فخرج اليهم
فوجد ابن زين الدين وبنى الغرّاف فسالهم عن ما يريدون
فقالوا انه انهى الى عز الدين بانك تريد الهرب وقد امرنا بان
نعوقك فقال والله ما لهذا صحة ولو اردت المسير عن حلب لمضيت
لا على وجه الخفية ولا اخاف من احد فجعلوا لهم طريقا آخر الى
نيل غرضهم واصبحوا وعز الدين منتظر ما يكون فقالوا له كان
قد عزم على الهرب فلما علم ان الطريق قد اخذ عليه وان
الدار قد احيط بها اخّر ذلك الى وقت ينتهز فيه الفرصة والمصلحة
قبضه قبل هربه فامرهم بان يقبضوه محترما ويُحضروه اليه فجآوه ليلا
من اعلى الدار واسفلها وازعجوه وكان نايما فخرج الى الباب فوجد
مظفر الدين بن زين الدين مع بنى الغراف فقالوا له ان المولى عز
الدين قد امرنا بالقبض عليك فقال لهم السمع والطاعة فشانكم
وما امرتم به فاركبوه وحملوه والرجال محيطة به وفتحوا بالليل باب
القلعة واعتقلوه بها غير مضيّق عليه واحضره عز الدين وانسه وقال
لم افعل ما فعلت الا لشدّة رغبتى فيك وافتقارى الى مثلك
نعرّفه ما ينطوى عليه (وان) ما نقل عنه لم يخطر بباله فقال ان
وقيعة اعدايك فيك لم تزدك عندى الا حظوة وبقى معتقلا فى
القلعة اسبوعا ثم خلع عليه واطلقه وزاد فى اقطاعه الاحتربون واقام
عز الدين حتى انقضت مدة الشتاء ثم تزوّج ام الملك الصالح
فى خامس شوال من السنة ثم سيّرها الى الموصل واستولى على
جميع الخزاين التى كانت لنور الدين وولده بقلعة حلب وكان
فيها من السلاح والزّرد والقسىّ والخوذ والبركسطوانات والنُشّاب
والالات ولم يترك فيها الا شيا يسيرا من السلاح العتيق وسيّر

ذلك كله الى الرقة وترك فى قلعة حلب ولده نور الدين محمودا طفلا صغيرا وردّ امره الى الوالى بالقلعة شهاب الدين اسحق وسلّم البلد والعسكر الى مظفر الدين بن زين الدين وسار الى الرقة فى سادس عشر شوال فاقام بها فصل الربيع وراسل اخاه عماد الدين فى المقايضة بسنجار لينتوفر على حفظ بلاده ويضم بعضها الى بعض ولعلمه انه يحتاج الى الاقامة بالشام لتعلق اطماع الملك الناصر بحلب وقدم عليه اخوه واستقرت المقايضة على ذلك وتحالفا على ان يكون حلب واعمالها لعماد الدين وسنجار واعمالها لعز الدين وان كل واحد منهما ينجد صاحبه وان يكون طمان مع عماد الدين فسير طمان وصعد الى قلعة حلب وكان معهم علامة من عز الدين فتسلمها وسير عز الدين من تسلم سنجار وفى حال طلوع طمان ونقل الوالى متاعه طمع مظفر الدين بن زين الدين بان يملك القلعة ووافقه جماعة من الحلبيين كانوا بقربه فى الدار المعروفة بشمس الدين على بن الداية وجماعة من الاجناد ولبس هو زرديّة تحت قباه والبس جماعة من اصحابه الزرد تحت الثياب ومع كل واحد منهم سيف وارسل الى شهاب الدين وقال له انه وصلنى كتاب من اتابك عز الدين وامرنى ان اطلع فى جماعة اليك فامره بالصعود وكان جمال الدين شادبخت فى حوش القلعة الشرقى الذى هدمه الملك العادل وكان بين الجسرين الذين جدّدهما السلطان الملك الظاهر رحمه الله وعمل مكان ذلك الحوش بغلة فراى الجند مجتمعين تحت القلعة فسير شادبخت واحضر بوابا كان للقلعة يقال له على بن منيفة وكان جلدا يقظا وامره بالاحتراز فلما اراد ان يدخل من باب القلعة تقدم اليه وقال له لا تدخل الا انت وحدك وكان فى ركابه جماعة فمنعوهم فلم

يتمّ له ما اراد وعاد ابن زين الدين الى داره وقيل ان ابن مقبل الاسباسلار قال له انت تصعد الى القلعة فما هذا الزرد عليك فعاد وجعل يعتذر عمّا شاع فى الناس من فعله وكتب شهاب الدين الوالى وجمال الدين شادبخت الى عز الدين كتابا بخطّ حسين ابن بلدك امام المقام واخذ تحته خطوط الاجناد والنقيب والاسباسلار فلم يمكن عز الدين مكاشفته فى ذلك لقرب الملك الناصر من البلاد وبعث مظفر الدين الى عز الدين يعتذر ويقول ان الاسماعيلية اوعدونى القتل وما امكننى الا الاحتراز بالسلاح انا ومن معى وانكر لحفظة بالقلعة ذلك علىّ ولم يكن ذلك لامر غير ما ذكرته فلم يقاتله على ذلك واما طمان فانه قبض على الجاعة الذين كانوا معه وحبسهم فى القلعة واطّلع على ما كانوا اضمروه واطلقهم فى اليوم الثانى وستر هذا الامر ثم وصل قطب الدين بن عماد الدين الى حلب ثم ورد ابوه عماد الدين فوصل باهله وماله واجناده وزوجته بنت نور الدين ووصل على البريّة من جهة الاحصّ والتقاه الاكابر من الحلبيين وصعد الى قلعة حلب فى ثالث عشر المحرم من سنة ثمان وسبعين وخمسماية وقيل فى مستهلّه وولى القلعة عبد الصمد بن الحكاك الموصلى والعسكر والخزاين والنظر فى احوال القلعة (الى مجاهد الدين برغش وانزل شادبخت من القلعة) والقضاء والخطابة والرياسة على ما كان عليه فى ايام اخيه وابن عمه وولى الوزارة بها الدين ابا الفتح نصر بن محمد بن القيسرانى اخا موفق الدين خالد وزير نور الدين واستمرّ الشيعة فى ايامه وايام اخيه على قاعدتهم التى اقرّهم عليها الملك الصالح من اقامة شعارهم بالشرقيّة بالمسجد الجامع وابقى سرخاك فى حارم على ما كان عليه وحكم شادبخت فى عزاز وقلعتها وهو وكيل

عن ابنة نور الدين التى اطلقها الملك الناصر لها وصالح الفرنج وجرى فى الاحسان حلب على قاعدة عمه وابن عمه واخيه ولما بلغ الملك الناصر حديث حلب واخذ عماد الدين اياها قال اخذنا والله حلب فقيل له كيف قلت فى عز الدين لما اخذها خرجت حلب عن ايدينا وقلت حين اخذها عماد الدين اخذنا حلب فقال لان عز الدين ملك صاحب رجال ومال وعماد الدين لا مال ولا رجال وخرج الملك الناصر من مصر فى خامس المحرم من هذه السنة وخرج الناس يودّعونه ويسيرون معه ويتاسفون على فراقه وكان معه معلم لبعض اولاده فالتفت الى بعض الحاضرين وانشد

تمتّعْ من شميم عرار نجْد فما بعد العشيّة من عَرار

فانقبض السلطان وتطيّر فقدّر انه لم يعد الى مصر الى ان مات مع طول مدته واتّساع ملكه فى غيرها وسار على ايلة واغار على بلاد الفرنج فى طريقه ووصل دمشق فى صفر ثم خرج منها الى ناحية الغور فاغار على ناحية طبرية وبيسان وعاد الى دمشق ثم خرج الى بيروت ونازلها واجتمع الفرنج فرحّلوه عنها فدخل الى دمشق وبلغه ان المواصلة كاتبوا الفرنج على قتاله فجعل ذلك حجة عليهم وسار حتى نزل على حلب فى ثامن عشر من جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمس ماية ونزل على عين اشمونيث وامتدّ عسكره حولها شرقا واقام ثلثة ايام فقال له عماد الدين امض الى سنجار وخذها وادفعها الىّ وانا اعطيك حلب وكان عماد الدين قد ندم على مقايضة اخيه بحلب وسنجار حيث وصل ووجد خزاينها صفرا من المال وقلعتها خالية من العدد والسلاح والالات وانه يجاور مثل الملك الناصر فيها فعند ذلك سار الملك الناصر الى عبر البيرة وكان صاحبها شهاب الدين بن ارتق قد صار

فى طاعته فعبر اليه مظفر الدين بن زين الدين الى الناحية الشامية وحران انذاك فى يده كان اقطعه اياها عز الدين صاحب الموصل وحصلت بينه وبينه وحشة من الوقت الذى عزم فيه على اخذ قلعة حلب فكانت رسله تتردد الى الملك الناصر يطعمه فى البلاد ويحثّه على الوصول وعاد ابن زين الدين معه حتى عبر الفرات فى جسر البيرة وكان عز الدين قد وصل بعساكر الموصل الى دارا ليمنع الملك الناصر من حلب فلما عبر الفرات عاد الى الموصل وعاد الملك الناصر فاخذ الرها من ابن الزعفرانى وسلّمها الى ابن زين الدين واخذ الرقة من ابن حسان ودفعها الى ابن الزعفرانى وكاتب ملوك الشرق فاطاعوه وقصد نصيبين فاخذها وسار الى الموصل وفيها عسكر قوىّ فقوتل قتالا شديدا ولم يظفر منها بطايل فرحل عنها الى سنجار فانفذ مجاهد الدين اليها عسكرا فمنعه الملك الناصر من الوصول وحاصر سنجار فسلّمها اليه امير من الاكراد الزرزاريّة وكان فى برج من ابراجها فسلم اليه تلك الناحية وصارت الباشورة معه فضعفت نفس واليها امير اميران اخى عز الدين فسلمها بالامان فى ثانى شهر رمضان من السنة وقرّر الملك الناصر امورها وعاد الى حرّان ولما قصد الملك الناصر البلاد الشرقية راى عماد الدين ان يخرّب المعاقل المطيفة ببلد حلب فشنّ الغارات على شاطى الفرات وهدم حصن بالس وحصر قليعة بادر ففتحها ثم هدمها بعد ذلك واغار على قرى الشطّ فاخربها واستاق مواشيها واحرق جسر قلعة جعبر ثم وصل الى منبج وقاتلها واغار على بلدها ووصلت الغارة الى قلعة نجم وعبر الفرات فاغار على سروج ثم عاد الى حلب ثم خرج وهدم حصن الكرزين وخرب حصن براعا وقلعة عزاز فى جمدى الاخرة

وخرّب حصن كفرلاثا بعد اخذه من صاحبه بكمش وكان قد
استامن الى الملك الناصر وضاق الحال عليه فشرع فى قطع جامكيّة
اجناد من القلعة وقتّر على نفسه فى النفقات واما الملك الناصر
فرحل من حرّان فنزل بحرزم تحت قلعة ماردين فلم ير له فيها
طمعا فسار الى امد فى ذى الحجة وكان قد وعد نور الدين
محمد بن قرا ارسلان باخذها من ابن بيسان وتسليمها اليه وحلف
له على ذلك فتسلمها فى العشر الاول من المحرم من سنة تسع
وسبعين وخمسماية وكان فيها من المال شى عظيم فسلم
ذلك كله مع البلد الى نور الدين وقيل له فى اخذ الاموال
وتسليم البلد فقال ما كنت لاعطيه الاصل وابخل بالفرع ثم ان
الملك الناصر عبر الى الشام فمرّ بتل خالد فحصرها فسلمها اهلها
بالامان فى المحرم ثم سار منها الى عين تاب وبها ناصر الدين
محمد اخو الشيخ اسمعيل الخزندار فدخل فى طاعته فابقاها عليه
ولما علم عماد الدين ذلك وتحقّق قصده لحلب اخذ رهاين
الحلبيين واصعد جماعة من اولادهم واقاربهم خوفا من تسليم
البلد وقسم الابراج والابواب على جماعة من الامراء وكان الامراء
الياروقيّة بها فى شوكتهم وجاء الملك الناصر ونزل على حلب فى
السادس والعشرين من محرم سنة تسع وسبعين وخمس ماية وامتدّ
عسكره من بابلى الى النهر ممتدّا الى باسلين ونزل هو على الخناقيّة
وقاتل عسكر حلب قتالا شديدا فى ذلك اليوم واسر حُسام الدين
محمود ابن الختلو بالقرب من بانقوسا وهو الذى تولى شحنكيّة
حلب فيما بعد وهجم تاج الملوك بورى بن ايّوب اخو الملك
الناصر على عسكر حلب فضرب بمشاب زنبورك فاصاب ركبته فوقع
فى الاكحل فبقى اياما ومات بعد فتح حلب ودُفن بتربة شهاب

الدين الخارمى بالمقام ثم نقل الى دمشق وجد الملك الناصر بسبب اخيه على محاصرة حلب اياما فاجتمع اليه الاجناد من العسكر والرجالة وطلبوا منه قرارهم فمطلهم فقالوا قد ذهبت اخبازنا ونحتاج لغلاء الاسعار الى ما لا بد منه وشح بماله فقال لهم انتم تعلموا حالى وقلة مالى واننى تسلمت حلب صفرا من الاموال وضياعهم فى اقطاعكم فقال له بعضهم من يريد حلب يحتاج الى ان يخرج الاموال ولو باع حُلى نسايه فاحضر اوانى من الذهب والفضة وغيرها وباع ذلك وانفقه فيهم وكان الحلبيون يخرجون على جارى عادتهم ويقاتلون اشد قتال بغير جامكية ولا قرار نخوة على البلد ومحبة لملكهم فافكر عماد الدين وراى انه لا قبل له بالملك الناصر وان ماله ينفد ولا يُفيده شيا فخلا ليلة بطمان وقال له ما عندك فى امرنا هذا الملك الناصر قد نزل محاصرا لنا وهو ملك قوى ذو مال والظاهر انه يطيل الحصار وتعلم اننى اخذتُ حلب خالية من الخزاين والجند فيطالبوننى وليس لى من المال ما يكفينى لمصابرته ولا ادرى عاقبة هذا الامر الى ما ينتهى فاحسّ طمان عند ذلك بما قد حصل فى نفسه فقال له انا اذكر لك ما عندى على شريطة الكتمان والاحتياط بالمواثيق والايمان على ان لا يطّلع احد ما يدور بيننا فان هولآء الامراء ان اطّلعوا على شى مما نحن فيه افسدوه وانعكس الغرض فتحالفا على كتمان ذلك فقال له طمان ارى من الراى فى حلب ان تُسلّمها الى الملك الناصر بجاهها وحرمتها قبل ان تهتك حرمتها ويضعف امرها وتفنى الاموال وتضجر الرجال ويستغل بلدها فيتقوى هو وعسكره به ونحن لا نزداد الا ضعفا والآن فنحن عندنا قوة وناخذ منه ما نريد من الاموال والبلاد ونستريح من الاجناد والحاحهم فى الطلب ثم قد اصبح ملكا

عظيما وهو صاحب مصر واكثر الشام وملوك الشرق قد اطاعوه ومعظم الجزيرة فى يده فقال له والله هذا الذى قلته كله رأيى وهو الذى وقع لى فاخرج اليه وتحدّث معه على ان يعطينى الخابور وسنجار واى شىء قدرت على ان تزداده فافعل واطلب الرقة لنفسك ثم ان طمان كتم ذلك الامر وباكر القتال واظهر ان بداره واصطبله بالحاضر خشبا عظيما وانه يريد نقضها كيلا يحرقها العسكر فكان يبيت كل ليلة فى داره خارج المدينة ويجتمع بالسلطان الملك الناصر خاليًا ويُرتّب الامور معه ويجى الى عماد الدين ويُقرر الحال معه ويَنْزل ويَصْعَد الى القلعة من برج المنشار وكان عند باب الجبل الآن متصلًا بالمنشار الى ان قرر مع الملك الناصر ان ياخذ حلب وعملها ولا ياخذ شيا من اموالها وذخايرها وجميع ما فيها من الالات والسلاح وان يُعطى عماد الدين عوضًا عنها سنجار والخابور ونصيبين وسُروج وان يكون لطُمان الرقة ويكون مع عماد الدين وشرط عليه ان يكون الخطابة والقضاء للحنيفة بحلب فى بنى العديم على ما هى عليه كما كان فى دولة الملك الصالح وان لا ينقل الى الشافعيّة هذا كله يتقرّر والقتال فى كل يوم بين العسكرين على حاله وليس عند الطايفتين علم بما يجرى ويخرج من الحلبيين فى كل يوم عشرة الف مقاتل او اكثر يقاتلون اشد قتال ولم يعلم احد من الامراء ولا من اهل البلد حتى صعدت اعلام الملك الناصر على القلعة بعد ان توثّق كلّ واحد من الملكين من صاحبه بالايمان فاسقط فى ايدى (اهل) حلب والامراء من الياروقية وغيرهم وخاف الياروقية على اخبازهم والحلبيون على انفسهم لما تكرر منهم من قتال الملك الناصر مرة بعد اخرى فى ايام الملك الصالح وصرّح العوام

تسبّه وحمل رجل من الحلبيين يقال له سيف بن المؤذن اجّانة الغسّال وصار بها الى تحت الطيّارة بالقلعة وعماد الدين جالس بها يشير اليه ان يغسل فيها كالمخانيث ونادى اليه يا عماد الدين نحن كنّا نقاتل بلا جامكيّة ولا جراية فما حملك على ان تعلت ما فعلتَ وقيل ان بعضهم رماه بالنُشّاب فوقع فى وسط الطيارة وعمل عوامّ حلب اشعارا عامية كانوا يُغَنّون بها وَيَدُقّون على طبيلاتهم بها منها

احباب قلبى لا تلُومُونى هذا عماد الدين مجنون
قايض بسنجار لقَلْعَة حلبْ وزادهْ المولى نصيبين

ودقّ اخر على طبله وقال مُشيرًا الى عماد الدين

وبعت بسنجار قَلْعَة حلب عَدِمتُك من بايع مُشْترى
خَريتَ على حلب خَريةً نسختَ بها خريةَ الأشعرى

وصَعِدَ اليه صفى الدين ريسُ البلد ووبّخه على ما فعل وهو فى قلعة حلب لم يخرج منها بعد فقال له عماد الدين قَدْ فات فاستهزأ به وانفذ عسكر حلب واهلها الى السلطان الملك الناصر عز الدين جورديك وزين الدين بلك فاستحلفوه للعسكر ولاهل البلد فى سابع عشر صفر من سنة تسع وسبعين وخمس مائة وخرجت العساكر ومقدّموا حلب اليه الى الميدان الاخضر وخلع عليهم وطيّب قلوبهم ولمّا استقرّ امر الصلح حضر الملك الناصر صلاح الدين عند اخيه تاج الملوك بالخناقية يعوده وقال له هذه حلب قد اخذناها وهى لك فقال لو كان وأنا حى وواللّه لَقد اخذتها غالية حيثُ تفقد مثلى فبكى الملك الناصر والحاضرون واقام عماد الدين بالقلعة يقضى اشغاله وينْقل اقمشته وخزاينه والسلطان الملك الناصر مقيم بالميدان الاخضر الى يوم الخميس

ثالث وعشرين من صفر فنزل عماد الدين من القلعة ورتّب فيها طُمان مُقيمًا بها الى ان يتحصّل نُوّاب عماد الدين ما اعتاض به عن حلب واستنابهُ فى بيع جميع ما كان فى قلعة حلب حتى الاغلاق والخَوابى واشترى الملك الناصر منها شيًا كثيرًا ونزل عماد الدين فى ذلك اليوم الى السلطان الملك الناصر وعمل له السلطان وليمة واحتفل وقدّم لعماد الدين اشياء فاخرة من الخيل والعُدَد والمتاع الفاخر وهم فى ذلك اذ جآه بعض اصحابه واسرّ اليه بموت اخيه تاج الملوك فلم يُظْهر جَزَعًا ولا قلقًا وكتم ذلك عن عماد الدين الى ان انقضى المجلس وامرهم بتجهيزه فلما انقضى امر الدّعوة وعلم عماد الدين بعد ذلك عزّاهُ عن اخيه وسار السلطان الملك الناصر معه مُشَيّعًا فى ذلك اليوم فسار حتى نزل مرج قرا حصار فنزل به والسلطان فى خيمته الى ان وصل الى عماد الدين رُسل اصحابه يخبرونه بانهم تسلّموا سنجار والمواضع التى تقرّرت له معها فرفعت اعلام الملك الناصر عند ذلك على القلعة وصعد اليها فى يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر من سنة تسع وسبعين وخمس ماية وامتنع سَرخك والى حارم من تسليمها الى السلطان الملك الناصر فبذل له ما يحبّ من الاقطاع فاشتطّ فى الطلب وراسل الفرنج ليستنجد بهم فسمع بعض الاجناد بقلعة حارم ذلك فخافوا ان يُسلّمها الى الفرنج فوثبوا عليه وحبسوه وارسلوا الى السلطان يعلمونه بذلك ويطلبون منه الامان والانعام فاجابهم الى ذلك وتسلّمها واقر عين تاب بيد صاحبها وسلم تل خالد الى بدر الدين دلدرم صاحب تل باشر وكان من كبار اليارُوقيّة واقطع عزاز الامير علم الدين سليمن بن حيدر وولى الملك الناصر قلعة حلب سيف الدين باركج الاسرى وولى شحنكيّة حلب حُسام

الدين تُمَيرك بن يونس وولى ديوان حلب ناصح الدين بن العميد الدمشقى وابقى الرئيس صفى الدين طارق بن ابى غانم بن الطريرة فى منصبه على حاله وزاد اقطاعه وكان الفقيه عيسى كثير التعصّب فما زال به حتى نقل الخطابة عن الحنفيّة الى الشافعيّة وعزل عنها عمّى ابو المعالى ووليها ابو البركات سعيد بن هاشم وفعل فى القضآء كذلك فسيّر الى القاضى محيى الدين محمد بن زكى الدين على الى دمشق بسفارة القاضى الفاضل فاحضر الى حلب وولى قضآءها وعُزل والدى عن القضآء وامتدحه محيى الدين بن الزكى بقصيدة بابية قال فيها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صَفَرٍ مُبشّر بفتوح القُدس فى رَجَب

فاتفق من احسن الاتفاقات واعجبها فتح القُدس فى شهر رجب من سنة ثلث وثمانين وخمس ماية واقام محيى الدين فى القضآء بحلب مدة ثم استناب القاضى زين الدين ابا البيان بنان البانياسى فى قضآء حلب وسار الى بلده دمشق ثم ان السلطان الملك الناصر اقام بحلب ورحل منها فى الثانى والعشرين من ربيع الاخر من سنة تسع وسبعين وخمسماية وجعل فيها ولده الملك الظاهر غازى وكان صبيّا وجعل تدبير امره الى سيف الدين بازكج وسار الى دمشق ثم خرج الى الغزاة فى جمدى الاخرة وسار الى بيسان وقد هرب اهلها فخربها ونهبها وخرب حصنها ثم سار الى عفربلا فخرّبها وجرد قطعة من العسكر فخربوا الناصرة والفولة وما حولها من الضياع وجآء الفرنج فنزلوا عين الجالُوت ودار المسلمون بهم وبثوا السرايا فى ديارهم للغارة والنهب ووقع جورديك وجاولى الاسدىّ وجماعة من النورية على عسكر الكرك والشوبك سايرين فى نجدة الفرنج فقتلوا منهم مقتلة عظيمة واسروا

ماية نفر وعادوا وجرى للمسلمين مع الفرنج وقعات ولم يتجاسروا على الخروج للمصاف وعاد السلطان الى الطور فى سابع عشر جمادى الاخرة فنزل تحت الجبل مترقبا رحيلهم ليجد فرصة فاصبحوا ورحلوا راجعين على اعقابهم ورحل نحوهم وناوشهم العسكر الاسلامى فلم يخرجوا اليهم والمسلمون حولهم حتى نزلوا الفولة راجعين وفرغت ازواد المسلمين فعادوا الى دمشق ودخل السلطان دمشق فى رابع وعشرين من جمدى الآخرة ثم عزم على غزو الكرك فخرج اليها فى رجب وكتب الى اخيه الملك العادل وامره ان يلتقيه الى الكرك وسار السلطان الى الكرك وحاصرها ونهب اعمالها وهجم ربضها فى رابع شعبان وهدم سورها بالمنجنيقات واعجزه طمّ خندقها ووصلت الفرنج لنجدتها فلما اجتمعوا بالحليل رحل عنها ونزل بازايها ووصل اخوه الملك العادل من مصر وعقد لابن اخيه تقى الدين عمر على ولايتها فسار اليها فى نصف شعبان وعاد السلطان الملك الناصر الى دمشق والملك العادل اخوه معه فعقد له على ولاية حلب وسار اليها فى ثانى شهر رمضان فوصلها وصعد قلعتها فى يوم الجمعة ثانى وعشرين من شهر رمضان وخرج السلطان الملك الظاهر منها ومعه يازكج فوصل الى والده فى شوال ويقال ان الملك العادل دفع الى السلطان لاجل حلب ثلثماية الف دينار مصرية وقيل دون ذلك وكان السلطان محتاجًا اليها لاجل الغزاة فلذلك سلّم اليه حلب واخذها من ولده ولما دخلها الملك العادل ولى بقلعتها صارم الدين بزغش وولى الديوان والاقطاع والجند وامر الاموال وشحنكية البلد شجاع الدين محمد بن بزغش البصراوى واستكتب الصنيعة بن النحال وكان نصرانيًا فاسلم على يديه وولى وقوف الجامع فخر الدين احمد بن عبد الله بن القصّبرى وامره

بتجديد المساجد الدائرة بحلب والقيام بمصالحها وتوفير اوقافها عليها وان لا يتعرّض بوقف المسجد الجامع بل يُوفر وقفه على مَصالحه ولا يرفع الى الزردخاناه الّا ما فَضَل عن ذلك كله وجدّد فى ايامه مساجد متعددة كانت قد تهدّمت ووقع فى ايامه وقعة بين الحنفية والشافعية وصار بينهم جراحٌ فصنع لهم الملك العادل دعوةً فى الميدان الاخضر واصلح بين الفريقين وخلع على الاكابر من الفقهاء والمدرّسين وهدم الحوش القبلى الشرقى الذى كان للقلعة وهو ما بين الجسرَيْن تحت المركز وراى ان يُسقّفه فسقفه السلطان الملك الظاهر بعده وكتب عليه اسمه بالسواد الى ان غاب فى ايام ابنه الملك العزيز فجُدّد وزالت الكتابة وبقى بعضُها ووصل رسول الخليفة شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسمعيل الى السلطان الملك الناصر فى الاصلاح بينه وبين عز الدين صاحب الموصل وورد معه من الموصل القاضى محيى الدين ابو حامد بن الشهرزورى الذى كان قاضى حلب ثم تولى قضاء الموصل والقاضى بهاء الدين ابو المحاسن بن شدّاد الذى صار قاضى عسكر السلطان الملك الناصر وولى قضاء حلب فى ايام ابنه الملك الظاهر ولم يتفق الصلح بينهما وحضرنى حكاية جرت لشيخ الشيوخ مع محيى الدين فى هذه السفرة وذلك ان شيخ الشيوخ كان قد وصل الى السلطان الملك الناصر وهو محاصر للموصل ليُصلح بينه وبين عز الدين فى المحاصرة الاولى فلم يتفق الصلح واتهم اهل الموصل شيخ الشيوخ بالميل مع الملك الناصر فعمل محيى الدين (فيه) ابياتًا منها

بُعثت رسولًا ام بعثت محرضًا على القتل تستنجلى القتالَ وتستنجلى

وقال فيها مخاطبًا للامام الناصر

فلا تغترر منه بفضلٍ تنمس فما هكذا كان الجُنيد ولا الشبلى

فبلغت الابيات شيخ الشيوخ فلما اجتمعا فى هذه السفرة وتباسطا
قال له شيخ الشيوخ كيف تلك الابيات لله عملتها فى فغالطه
عنها فاقسم عليه بالله ان ينشده اياها فذكرها له حتى انشده
البيت الذى ذكرناه اولًا فقال والله لقد ظلمتنى واننى والله
اجتهدتُ فى الاصلاح فما اتفق فانشده تمامها حتى بلغ الى قوله
فما هكذا كان الجُنيد ولا الشبلى فقال والله لقد صَدَقْتَ فما
هكذا كان الجُنيد ولا الشبلى أدور على ابواب الملوك من باب هذا
الى باب هذا ثم ان الرُسل ساروا عن غير زُبدة وتوجه الملك
العادل من حلب فى ذى الحجة وعيّد عند اخيه بدمشق ثم عاد
الى حلب واهتمّ السلطان الملك الناصر فى سنة ثمانين وخمس
ماية لغزاة الكرك فوصل اليه نور الدين بن قرا ارسلان واجتاز بحلب
فاكرمه الملك العادل واطلعه الى قلعتها فى صفر ثم رحل معه الى
دمشق لمخرج السلطان والتقاه على جسر الجسر بالقاع ثم تقدّم الى
دمشق ولحقاه وتأهب للغزاة وخرج الى الكرك واستحضر العساكر
المصرية فوصل تقى الدين ابن اخيه ومعه بنت الملك العادل
وخزاينه فسيرهم الى حلب ثم نازل الكرك واحدقت العساكر
بها وهجموا الربض وبينه وبين القلعة خندق وهما جميعًا على
وسط جبل وسدّوا اكثر الخندق وقاربوا فتح الحصن وكانت للبرنس
ارناط فكاتب من فيها الفرنج فوصلوا فى جموعهم الى موضع
يُعرف بالوالة فسيّر الملك الناصر الاثقال ورحل بعد ان هدم الحصن
بالمنجنيقات ورحل عنها فى جمادى الاخرة وامر بعض العسكر
فدخلوا الى بلاد الفرنج فهجموا انابُلس ونهبوها وخربوها واستنقذوا
منها اسرى من المسلمين ففعلوا فى سبسطية وجينين مثل ذلك
وعادوا ودخلوا دمشق مع السلطان ووصل اليه شيخ الشيوخ

بالخلع من الخليفة الناصر لهُ ولاخيه الملك العادل ولابن عمه ناصر الدين فلبسوها ثم خلع السلطان بعد ايام خلعته الواردة من الخليفة على نور الدين بن قرا ارسلان وورد اليه رسول مظفّر الدين ابن زين الدين يخبره ان عسكر الموصل وعسكر قرد نزلوا على اربل وانهم نهبوا واخربوا وانه انتصر عليهم ويشير عليه بقصد الموصل ويقوى طمعه وبذل له اذا سار اليها خمسين الف دينار فعند ذلك عادن الفرنج مدة ورحل من دمشق من ذى القعدة من سنة ثمانين واقام بها الى ان خرجت السنة وسار منها الى حرّان والتقاه مظفر الدين بالبيرة فى المحرم سنة احدى وثمانين وعاد معه الى حرّان وطالبه بما بذل له من المال فانكر ذلك فاحضر رسوله العَلم بن ماهان فقابله على ذلك فانكر فقبض عليه ووكل به ثم اخذ منه مدينتى حران والرُّهَا واقام فى الاعتقال الى مستهل شهر ربيع الاول ثم اطلقه خوفًا من انحراف الناس عنه لانهم علموا انه الذى ملكه البلاد الجزرية واعاد عليه حرّان ووعده باعادة الرها اذا عاد من سفرته فاعادها عليه وسار الملك الناصر الى الموصل فوصل بلد فنزلَت اليه والدة عز الدين ومعها ابنة نور الدين وغيرها من نسآء بنى اتابك يطلُبن منه المصالحة والموافقة فردّهن خايبات ظنّا منه ان عز الدين ارسلهنّ تجزاً عن حفظ الموصل واعتذر باعذار ندّم عليها بعد ذلك ورحل حتى صار بينه وبين الموصل مقدار فرسخ فكان يجرى القتال بين العسكرين وبذل اهل الموصل نفوسهم فى القتال لردّه النسآء وندم السلطان على ردّهن وافتتح تل عفر فاعطاها عماد الدين صاحب سنجار واقام على حصار الموصل شهرين ثم رحل عنها وجآءه الخبر بموت شاه ارمن وكاتبه جماعة من اهل خلاط فتركه الموصل طمعًا فى خلاط

فاصطلح اهل خلاط مع البهلوان صاحب اذربيجان فنزل السلطان على ميافارقين وكان صاحبها قطب الدين ايلغازى بن البتى بن تمرتاش وملك بعده حسام الدين سولق ارسلان وهو طفل فطمع فى اخذها ونازلها فتسلّمها من والييها وزوج بعض بنيه ببنت لخاتون بنت قرا ارسلان ثم عاد الى الموصل عند اياسه من خلاط فوصل الى كفرزمّار فى شعبان من سنة احدى وثمانين فاقام بها مدة والرسل تتردد بينه وبين عز الدين فمرض السلطان بكفرزمّار فسار عايدًا الى حرّان واتبعه عز الدين بالقاضى بهاء الدين بن شدّاد وبهآء الدين الربيب رسولين اليه فى موافقته على الخطبة والسكة وان يكون معه عسكر من جهته وان يسلّم اليه شهرزور واعمالها وما وراء الزاب واشتدّ مرض السلطان بحرّان فى شوال وايس منه وارجف بموته ووصل اليه الملك العادل من حلب ومعه اطباؤها واستدعى المقدمين من الامرآء من البلاد فوصلوا اليه وعزم الملك العادل على استحلاف الناس لنفسه وسار ناصر الدين صاحب حمص طمعًا فى ملك الشام وقيل انه اجتاز بحلب ففرق على احداثها مالاً وسار الى حمص وجرى من تقى الدين بمصر حركات من يريد ان يستبدّ بالملك وتماثل السلطان وبلغه ذلك كله واركب فراه الناس وفرحوا وابتنى دارًا ظاهر حران فجلس فيها حين عُوفى فسميت دار العافية ولما عُوفى ردّ على مظفر الدين الرها واعطاه سنجقًا واحضر رسولَى الموصل وحلف لهما على ما تقرّر فى يوم عرفة وبلغه موت ابن عمه ناصر الدين صاحب حمص ورحل عن حرّان الى حلب وصعد قلعتها يوم الاحد رابع عشر محرم سنة اثنتين وثمانين وخمس ماية واقام بها اربعة ايام ثم رحل الى دمشق فلقيه اسد الدين شيركوه بن صاحب حمص فاعطاه حمص وسار

الى دمشق وسير الى الملك العادل وطلبه اليه الى دمشق فخرج من
حلب جريدةً ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول من
سنة اثنتين فوصل اليه الى دمشق وجرت بينهما احاديث ومراجعات
استقرّت على ان الملك العادل يطلع الى مصر ومعه الملك العزيز
ويكون اتابكهُ ويسلم حلب الى الملك الظاهر غازى وينزل الافضل
الى دمشق من مصر ونزل تقى الدين ايضا منها وكان الذى حمله
على اخراج الملك العادل من حلب ان علم الدين سليمان بن
حيدر كان بينه وبين الملك الناصر محبة قديمة قبل الملك
ومعاشرة وانبساط وكان الملك العادل وهو بحلب لا يوفيه ما يجب
له ويقدّم عليه غيره فلما عُوفى الملك الناصر سايره يومًا سليمان
وجرى حديث مرضه وكان قد اوصى لكل واحد من اولاده بشى
من البلاد فقال له سليمان بن حيدر باىّ راى كنت تظنّ ان
وصيّتك تمضى كانك كنتَ خارجا الى الصيد وتَعُود فلا يُخالفونك
اما تستحيى ان يكون الطاير اهدى منك الى المصلحة قال وكيف
ذلك وهو يضْحك قال اذا اراد الطاير ان يعمل عُشًّا لفراخه قصد
اعالى الشجرة يحمى فراخه وانت سلمت الحصون الى اهلك وجعلتَ
اولادك على الارض هذه حلب وهى امّ البلاد بيد اخيك وحماة
بيد تقى الدين (وحمص بيد ابن اسد الدين وابنك الافضل مع
تقى الدين) بمصر يخرجه متى شآء وابنك الاخر مع اخيك فى خيمة
يفْعل به ما اراد فقال له صدقت واكتُم هذا الامر ثم اخذ
حلب من اخيه واعطاها ابنه الملك الظاهر واعطى الملك العادل
بعد ذلك حرّان والرُها وميافارقين ليخرجه من الشام ويتوفّر الشام
على اولاده فكان ما كان واخرج تقى الدين من مصر فسبق عليه
ذلك وامتنع من القدوم ثم خاف فقدم عليه وسير الملك العادل

الصنيعة لاحضار اهله من حلب وسار الملك الظاهر قدّس الله روحه
الى حلب وسير فى خدمته شُجاع الدين عيسى بن بلاشوا وولاه
قلعة حلب واوصاه بتربية الملك الظاهر واخيه الملك الزاهر وحُسام
الدين بشارة صاحب بانياس وولاه المدينة وجعل الديوان بينهما
وجعل قرار الملك الظاهر فى السنة ثمانية واربعين الف دينار بيضا
فى كل شهر اربعة الف دينار وكل يوم قبا وكمّة وعليق دوابه
من الامراء وَخبزهُ من الامرآء واستمرّت هذه الوظيفة الى سنة ست
وثمانين الى رَجَب فورد كتاب الملك الناصر الى ولده الملك الظاهر
يامره ان يامر وينهى ويقطع الاقطاعات وان البلد بلده وكان
القاضى الزبدانى يكتب له فلم يُعجبه فانصرف على حال غير
محمودة وعلى ذكر علم الدين سليمان بن خندر تذكرتُ
حكاية مُستَملحة عنه فاثبتُّها اخبرنى الزكى احمد بن مسعود
الموصلى المقرى قال كنتُ أوُمّ بعلم الدين سليمان بن خندر
فاتفق ان خرجتُ معه الى حارم فى سنة سبع وسبعين وخمس
ماية وجلستُ معه تحت شَجرة هناك فقال كنت ومجد الدين
ابو بكر بن الداية والملك الناصر صلاح الدين تحت هذه
الشجرة ونور الدين انذاك محاصر حارم وهى فى ايدى الفرنج
فقال مجد الدين كنتُ أتمنّى ان نور الدين يفتح حارم
ويُعْطينى ايّاها فقال صلاح الدين اتمنّى على الله مصر ثم قالا لى
تمنّ انت شيأ فقلت اذا كان مجد الدين صاحب حارم وصلاح
الدين صاحب مصر ما اضيع بينهما فقالا لا بدّ من ان تمنّى شيّا
فقلت اذا كان ولا بُدّ من ذلك فاريد عمّ فقدّر الله ان نور
الدين كسر الفرنج وفتح حارم واعطاها مجد الدين واعطانى
عمّ فقال صلاح الدين اخذتُ انا مصر والله فاننا كنّا ثلثة وتمنّى

مجد الدين حارم واخذها وتمنّى علم الدين غمر واخذها وقد
بقيتْ أُمنيّتى فقدّر الله تعالى ان فتح اسد الدين مصر ثم آل
الامر الى ان ملكها صلاح الدين وهذا من اغرب من الاتّفاقات وزوج
السلطان الملك الناصر ولده الملك الظاهر فى هذه السنة بابنة
اخيه غازية خاتون بنت الملك العادل ودخل بها يوم الاربعا
سادس وعشرين من شهر رمضان ثم ان السلطان عزم على القصد
الكرك مرة اخرى فبرز من دمشق فى النصف من محرم سنة ثلاث
وثمانين وخمسماية وسيّر الى حلب يستدعى عسكرها فاعتاق
عنه لاشتغاله بالفرنج بارض انطاكية وبلاد ابن لاون وذلك انه كان
قد مات واوصى لابن اخيه الملك وكان الملك المظفر تقى الدين
بحماة فسير اليه السلطان وامره بالدخول الى بلاد العدو فوصل
الى حلب فى سابع عشرى محرم ونزل فى دار عفيف الدين بن
زُريق واقام بها الى ثالث صفر وانتقل الى (دار ابى) الآن وكانت
انذاك فى مُلْك الامير طُمان ثم خرج الى حارم واقام بها الى
ان صالحهم فى العشر الاواخر من شهر ربيع الاول ثم سار حتى
لحق السلطان واما السلطان فانه سار الى راس المآ واجتمعت
اليه العساكر الاسلامية من الموصل والشرق ومصر والشام بعشترا
بعد ان اتته الاخبار ان البرنس ارناط يريد الخروج الى الحاجّ فاقام
قريبًا من الكرك مُشْغلا خاطره ليلزم مكانه الى ان وصل الحاج
وتقدم الى الكرك وبثّ سراياه فنهبوا بلدها وبلد الشوبك
وخربوه وارسل الى ولده الملك الافضل فاخذ قطعة من العسكر
فدخل الى بلد عكّا فاخربوا ونهبوا وخرج اليهم جمعٌ من
الداويّة والاسبتاريّة فظفروا بهم وقتل منهم جماعة واسر الباقون
وقتل مقدم الاسبتار وعاد السلطان الى العسكر وعرض العسكر

قلبا وجناحين وميمنة وميسرة وجاليشيّة وساقة وعرف كُلّا منهم موضعه وسار على تعبية فنزل بالاقحوانة بالقرب من طبرية وكان القمّص صاحبها قد انتمى الى السلطان لخُلْف جرى بينه وبين الفرنج وارسل الفرنج اليه البطرك والقُسوس والرُهبان ويهددوه بفسخ نكاح زوجته وتحريمه فاعتذر وتنصّل ورجع عن السلطان اليهم ثم ساروا كلهم بجموعهم الى صَفُورية فرحل السلطان يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر وخلّف طبرية ورآء ظهره وصعد جَبلَها وتقدّم الى الفرنج فلم يخرجوا من خيمهم فنزل وامر العسكر بالنزول فلما جنّه الليل جعل فى مقابل الفرنج من يمنعهم من القتال ونزل الى طبرية جريدة وقاتلها واخذها فى ساعة من نهار ونهبوا المدينة واحرقوها فلما سمع الفرنج بذلك تقدموا الى عساكر المسلمين فعاد السلطان الى عسكره والتقا الفريقان وجرى بينهما قتال وفرّق بينهما الليلُ وطمع المسلمون فيهم وباتوا يحرص بعضهم بعضًا فلما كان صباح السبت لخمس بقين من الشهر طلب كل من الفريقين موضعه وعلم المسلمون ان الاردن من ورايهم وبلاد القوم بين ايديهم فحملت العساكر الاسلامية من الجوانب وحمل القلبُ وصاحوا صَيْحة واحدة فهرب القُمص فى اوايل الامر نحو صور وتبعه جماعة من المسلمين فنجى وحده فلم يزل سقيمًا حتى مات فى رجب واحاط المسلمون بالباقين من كل جانب فانهزمت منهم طايفة فتبعها المسلمون فلم ينجُ منهم احدٌ واعتصمت الطايفة الاخرى بتل حطّين قرية عندها قبر شُعَيب عليه السلام فضايقهم المسلمون على التل واقدوا النيران حولهم فقتلهم العطش وضاق الامر بهم حتى استسلموا الاسر فاسر مقدموهم وهم الملك جفرى والبرنس ارناط صاحب الكرك واخو الملك وابن

الهنفرى واولاد الستّ وصاحب جُبَيل ومقدم الداويّة ومقدم الاسبتار وامر لا يقع عليها الاحصاء حتى كان الرجل المسلم اقتاد منهم عشرين فرنجيا فى حَلْقهم حبل واسروا من المَصاف ومن بلاد الفرنج اكثر من ثلثين الفا من الفرنج ما بين رجل وامراة وصبى وقتل من المقدمين وغيرهم خلق لا يحصى ولم يجر على الفرنج منذ خرجوا الى الساحل مثل هذه الوقعة وكان من جملة الغنيمة فى يوم المصاف صليب الصَلبُوت وهو قطعة خشب مُغَلّفة بالذهب مرصّعة بالجوهر يزعمون ان ربّهم صُلب عليها وضُربت فى يدَيْه المسامير احضروه معهم المصاف تبرّكا به ورفعوه على رمح عال فاما مقدم الداوية والاسبتار فاختار السلطان قَتلَهم فقُتلوا واما الملك جُفرى فانه اكرمه وجلس له فى دهليز الخيمة واستحضره واحضر معه البرنس ارناط وناول الملك جفرى شربة من جُلّاب بثلج فشرب منها وكان على اشدّ حال من العطش ثم ناول الملك بعضها لبرنس ارناط فقال السلطان للترجمان قُل للملك انت الذى سقيته والا ما سقيتهُ انا واراد بذاك عادة العرب ان الاسير اذا اكل او شرب ممن اسره أُمن وكان السلطان قد نذر مرتين ان اظفره الله به ان يقتله احداهما لما اراد المسير الى مكة والمدينة وبعثرة قبر النبى صلى الله عليه وسلّم والمرة الاخرى ان السلطان كان قد هادنه وتحالفا على امن القوافل المترددة من الشام الى مصر فاجتاز به قافلة عظيمة غزيرة الاموال كثيرة الرجال ومعها جماعة من الاجناد فغدر بهم الملعون واخذهم واموالهم وقال لهم قولوا لمحمد (يجى بنصركم) فبلغ ذلك السلطان وسيّر اليه وهدده ولامه وطلب منه ردّها فلم يُجب فنذر ان يقتله متى ظفر به فالتفت السلطان الى ارناط وواقعه على ما قال وقال

ها انا انتصر لمحمد ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل فسل السيف وضربه به فحل كتفه وتمم عليه من حضر واخذ ورمى على باب الخيمة فلما رآه الملك على تلك الصورة لم يشك في انه يثني به فاستحضره وطيب قلبه وقال لم تجر عادة الملوك انهم يقتلون الملوك ولكن هذا طغى وتجاوز حده فجرى ما جرى ثم ان السلطان اصبح يوم الاحد الخامس والعشرين فنزل على طبرية وتسلم قلعتها بالأمان من صاحبتها ثم رحل منها يوم الثلثآ الى عكا فنزل عليها يوم الاربعآ سلخ الشهر وقاتلها يوم الخميس مستهل جمادى الأولى فاخذها واستنقذ منها اربعة الف اسير من المسلمين واخذ جميع ما فيها وتفرق العسكر وفتح بعدها قيسارية ونابلس وحيفا وصفورية والناصرية والشقيف والفولة فاخذوها واستولوا على سكانها واموالها ورحل السلطان من عكا الى تبنين وقاتلها وفتحها يوم الاحد ثامن عشر جمادى الاولى ثم رحل منها الى صيدا فتسلمها يوم الاربعا العشرين منه ثم سار الى بيروت ففتحها في التاسع والعشرين منه ثم سلمت جبيل الى اصحابه وهو على بيروت ثم سار الى عسقلان ونازلها يوم الاحد السادس عشر من جمادى الاخرة (وتسلمها يوم السبت سلخ جمدى الاخرة) بعد ان تسلم في طريقه مواضع كالرملة ويبنا والداروم واقام على عسقلان وتسلم اصحابه غزة وبيت جبرين والنطرون وبيت لحم ومسجد الخليل عليه السلم وسار الى بيت المقدس فنزل عليه يوم الاحد الخامس عشر من شهر رجب من سنة ثلث وثمانين فنزل بالجانب الغربي وكان مشحونا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة وكان فيه من المقاتلة ما يزيد على ستين الفا غير النسآء والصبيان ثم انتقل الى الجانب الشمالي

يوم الجمعة العشرين من شهر رجب ونصب عليه المنجنيقات وضايقه بالزحف والقتال وكثرة الرماة حتى اخذ النقب فى السور ممّا يلى وادى جهنّم فى قرنة شمالية ولما راوا ذلك وعلموا ان لا ناصرَ لهم وان جميع البلاد التى افتتحها السلطان صار مَن بَقى من اهلها الى القُدس خرج عند ذلك اليه ابن بارزان ملقيًا بيده ومتوسطا لامر قومه حتى استقرّ مع السلطان خروج الفرنج (عنها) باموالهم وعيالهم وان يؤدّوا عن كل رجل منهم عشرة دنانير وعن كل امراة خمسة دنانير وعن كل طفل لم يبلُغ الحُلم دينارين ومَن عجز عن ذلك استرقّ فبلغ الحاصل من ذلك عَن مَن خرج منهم مائتين وستّين الف دينار صورية واسترقّ بعد ذلك منهم نحو ستّة عشر الفا وكان السلطان قد رتّب فى كل باب اميرًا امينًا لاخذ ما استقر عليهم فخانوا ولم يؤدّو الامانة فانه كان (فيه) على التحقيق العدة التى ذكرناها واطلق ابن بارزان ثمنية عشر الف رجل من الفقرآء وزن عنهم ثلثين الف دينار وتسلم القدس فى يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب واُقيمت صلوة الجمعة فيه فى الجمعة التى تلى هذه وهى رابع شعبان وخطب بالناس محيى الدين بن زكى الدين وهو يومئذ قاضى حلب (وازيلت) الصلبان من قبة الصخرة ومحراب داود وازيل ما كان بالمسجد الاقصى من حوانيت الخمارين وهدمت كنايسهم والمعابد وبُنيت المحاريب والمساجد واقام السلطان على القُدس ثم رحل عنه فى الخامس والعشرين من شعبان فنزل على صور بعد ان قدم عليه ولده الملك الظاهر من حلب فى ثامن عشر شهر رمضان قبل وصوله اليها وكان نزوله على صور فى ثانى عشرين شهر رمضان وضايقها وقاتلها واستدعى اسطول مصر فكانت منه

غرة فى بعض الليالى وظنّوا انه ليس فى البحر من يخافونه فما راعهم الا ومراكب الفرنج من صور قد كبستهم واخذوا منهم جماعة وقتلوا جماعة فانكسر نشاط السلطان ورحل عنها فى ثانى ذى القعدة واعطا العساكر دستورا وساروا الى بلادهم واقام هو بعكا الى ان دخلت سنة اربع وثمانين وخمس مائة وكان من بهوبين قد ارسلوا الى السلطان وهو بصور فامنهم وسيّر من تسلمها وسار السلطان فنزل على حصن كوكب فى اوايل المحرم من السنة وكان قد جعل حولها جماعة يحفظونها من دخول قوة فاخذ الفرنج غرّتهم ليلا وكبسوهم بعفربلا وقتلوا مقدّمهم سيف الدين اخا الجاولى فسار السلطان ونزل عليها بمن كان قد بقى من خواصّه بعكّا وكان ولده الملك الظاهر قد عاد عنه الى حلب وعاد اخوه الملك العادل الى مصر فحصره ثم راى انه حصن منيع فرحل عنه وجعل عليه قايماز النجمى محاصرا وسار الى دمشق ثم سار عن دمشق فى النصف من ربيع الاول الى حمص فنزل على بحيرة قدس ووصل اليه عماد الدين زنكى صاحب سنجار وتلاحقت به العساكر واجتمعت عنده فنزل على تل قبالة حصن الاكراد فى مستهل ربيع الآخر وسير الى الملك الظاهر الى حلب والى الملك المظفر بان يجتمعا وينزلا بتيزين قبالة انطاكية لحفظ ذلك الجانب فسارا حتى نزلا تيزين فى شهر ربيع الاخر وتواصلت اليه العساكر فى هذه المنزلة ثم رحل يوم الجمعة رابع جمادى الاولى على تعبية لقآء العدو ودخل الى بلاد العدو واغار على صافيثا والعُريمة وغير ذلك من ولاياتهم ووصل الى انطرسوس فى سادس جمادى الاولى فوقف قبالتها ونظر اليها وسير من ردّ الميمنة وامرها بالنزول على جانب البحر وامر الميسرة بالنزول على البحر من

الجانب الآخر ونزل فى موضعه واحدقت العساكر بهـا من الـبحر
الى البحر وزحف عليها فما استتمّ نصب الخيم حتى صعد الناس
السور واخذها بالسيف وغنم العسكر جميع ما بها وخرب سور
البلد وسار الى جبلة فوصل اليه ولده الملك الظاهر فى اثناء الطريق
بالعساكر التى كانت بتيزين ووصل الى جبلة فى ثامن عشر يوم
الجمعة فما استتم نزول العسكر حتى تسلّم البلد سلمها اليه
قاضيها واهلها وكانوا مسلمين تحت يد الفرنج فعملوا عليها
وسلموها وبقيت القلعة ممتنعة وقاتل القلعة فسلمت بالامان يوم
السبت تاسع عشر الشهر وسار عنها الى اللاذقية فنزل عليها يوم
الخميس رابع عشرى جمادى الاولى ولها قلعتان فقاتلها واخذ البلد
وغنموا منه غنيمة عظيمة وفرق الليل بين الناس واصبح المسلمون
يوم السبت واجتهدوا فى قتال القلعتين ونقبوا فى السور مقدار
ستين ذراعا فايقن الفرنج بالعطب فطلبوا الامان يوم الجمعة الخامس
والعشرين من جمادى الاولى وسلموها يوم السبت ورحل عن
اللاذقية يوم الاحد فنزل على صَهيُون ونزل عليها يوم الثلثآ تاسع
عشرى جمادى الاولى واستدار العسكر حولها واشتدّ القتال عليها من
جميع الجوانب فضربها منجنيق ولده الملك الظاهر حتى هدم
قطعة من سورها تمكن الصاعد الصعود منها وزحف عليها
السلطان بكرة الجمعة ثانى جمدى الاخرة فما كان الا ساعة
حتى ارتقى المسلمون على اسوار الربض فهجموه فانضم اهله الى
القلعة فقاتلهم المسلمون فصاحوا الامان وسلموها على صلح القدس
واقام السلطان بها حتى تسلّم عدة قلاع كالعَيدو وقلعة الجماهر بين
وحصن بلاطنس ثم رحل ونزل على بَكّاس وهى قلعة
حصينة من اعمال حلب على (جانبى) العاصى ولها نهر يخرج

من تحتها يوم الثلثآ سادس جمدى الاخرة على شاطى العاصى وصعد السلطان جريدة الى القلعة وهى على جبل مطل على العاصى فاحدق بها من كل جانب وقاتلها قتالاً شديدا بالمنجنيقات والزحف وفتحها يوم الجمعة تاسع جمادى الاخرة عنوةً واسر من كان بقى فيها وغنم جميع ما كان فيها وكان لها قليعة تسمى الشُغْر قريبا منها يعبر من احديهما الى الاخرى بجسر فضربها بالمنجنيقات الى ان طلبوا الامان ثم سلمها اهلها بعد ثلثة ايام يوم الجمعة سادس عشر الشهر ثم عاد السلطان الى الثقل وسير ولده الملك الظاهر الى قلعة تسمى سُرمانية يوم السبت فقاتلها قتالاً شديدا وتسلمها يوم الجمعة ثالث عشرى الشهر المذكور واتفق له هذه الفتوحات المتتابعة كلها فى ايام الجُمَع وكذلك القدس يوم الجمعة ثم سار السلطان جريدة الى حصن برزوية وهو الذى يُضرب به المثل فى الحصانة ويحيط به اودية من ساير جوانبه وعلوها خمس ماية ذراع ونيف وسبعون ذراعا فتأمّله وقوى عزمه على حصاره واستدعى الثقل وبقية العسكر يوم السبت رابع عشرى جمادى الاخرة فنزل الثقل تحت الجبل وفى بكرة الاحد صعد السلطان جريدة مع المقاتلة والمنجنيقات والات الحصار الى الجبل فاحدق بالقلعة وركب المنجنيقات عليها فقاتلها ليلاً ونهارًا ثم قسّم العسكر عليها ثلاثة اقسام يوم الثلثآ ورتّب كل قسم يقاتل شطرا من النهار بحيث لا يفتر القتال عليها وحضرت نوبة السلطان فتسلمها بنفسه وركب وصاح فى الناس فحملوا حملة الرجل الواحد وطلعوا الى الاسوار وهجموها عنده ونهبوا جميع ما فيها واسروا من كان فيها وعاد السلطان الى الثقل واحضر صاحبها ومعه من اهله سبعة عشر نَفَرًا فرقّ (له) السلطان واطلقه

مع جماعته والفذهم الى صاحب انطاكية استمالة له فانهم
كانوا من اهله ثم سار السلطان حتى نزل على درب ساك يوم
الجمعة ثامن شهر رجب من السنة فقاتلها قتالا شديدا بالمنجنيقات
وأُخذ النقب تحت برج منها فوقع وحماه الفرنج بالرجال ووقفوا
فيه يحمُونهُ عن كل من يروم الصعود فيه وجَعلوا كلما قتل
منهم واحد اقاموا غيره مقامه عوضًا عن السور ثم طلبوا الامان
على ان ينزلوا بانفسهم وثيابهم لا غير بعد مراجعتهم انطاكية
وتسلمها السلطان يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر رجب
واعطاها علم الدين سليمان بن حيدر وسار عنها بكرة السبت
ثالث عشرى الشهر ونزل فى مرج بغراس واحدق بعض العسكر
ببغراس واقام يزكا على باب انطاكية بحيث لا يشذّ عنه من
يخرج منها وقاتل البلد مقاتلة شديدة حتى طلبوا الامان وشرطوا
استيذان انطاكية وتسلمها فى ثانى شعبان من السنة وفى ذلك
اليوم عاد الى الخيم وراسله اهل انطاكية فى طلب الصلح
فصالحهم لشدة ضَجَرِ العسكر وقلَق عماد الدين صاحب سنجار
لطلبِ العَود الى بلاده واستقرّ الصلح بينه وبين صاحب انطاكية
على انطاكية لا غير دون غيرها من بلاد الفرنج على ان يطلقوا
جميع اسرى المسلمين الذين عندهم وان يكون ذلك الى سبعة
اشهر فان جآءهم مَن ينصرهم والاّ سلّموا البلد الى السلطان
وطلبه ولده الملك الظاهر ان يتوجه معه الى حلب فسار معه اليها
ودخلها فى حادى عشر شعبان واقام بقلعتها ثلثة ايام فى ضيافته
الملك الظاهر وانعم الملك الظاهر على جماعة كثيرة من عسكره
فاشفق السلطان عليه وسار من حلب فى رابع عشر شعبان فوصل
دمشق قبل دخول شهر رمضان فسار فى اوايل شهر رمضان حتى

نزل صفد ونصب عليها المناجيق وداومها بالقتال حتى تسلمها بالامان فى رابع عشر شوّال وكان اصحابه الذين جعلهم على حصار الكرك لازموا الحصار هذه المدة العظيمة وصابرهم من بها من الفرنج حتى فنيت ازوادهم وذخايرهم واكلوا دوابهم فراسلوا اخا السلطان الملك العادل وكان قريبًا منهم منازلاً بعض القلاع فطلبوا منه الامان فامنهم وتسلمها وتسلم ايضا الشوبك وغيرها من القلاع التى تجاورها ثم سار السلطان من صفد الى كوكب فنزل على سطح الجبل واحدق العسكر بالقلعة وضايقها بالقتال حتى تمكن النقب من سورها فطلب اهلها الامان فتسلمها فى النصف من ذى القعدة وسار بعد ذلك بمدة الى البيت المقدس فدخله يوم الجمعة ثامن ذى الحجة وسار الى عسقلان مودعًا اخاه الملك العادل وكان متوجهًا الى مصر فاخذ من اخيه عسقلان واعطاه الكرك وتوجه لتفقد البلاد الساحليّة ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسماية وهو بعكا وتوجه الى دمشق فدخلها مستهل صفر ثم توجه فى الثالث من شهر ربيع الاول الى مرج فلوس محاصرا لشقيف ارنون ورحل من مرج فلوس فاتى مرج عيون وهو قريب من شقيف ارنون فى سابع عشر ربيع الاول وضاق على الفرنج المجال وقلت ازوادهم فنزل ارناط صاحب الشقيف اليه وكان عظيمًا فيهم ذا راى ودهآء فاظهر الطاعة والمودة للسلطان ووعده بتسليم المكان وقال أُريد ان تمهلنى حتّى اخلّص اولادى واهلى من الفرنج واسلّم اليك الحصن وتُعطينى موضعا اسكن فيه بدمشق واقطاعاً تقوم بى وباهلى وتمكننى الان من الاقامة بالشقيف حتى اخلّص اولادى فاجابه السلطان الى ذلك وجعل يتردد الى خدمته وكانت الهدنة بين انطاكية وبينه قد قرب وقتها وخاطره مشغول بذلك وقد سير

الى تقى الدين ان يجمع من يقارب تلك الناحية من العساكر ويكون بازآء انطاكية وبلغه ايضًا ان الفرنج قد تجمّعوا بصور فى جموع عظيمة وكان الامر قد استقر مع ارناط ان يسلّم اليه الشقيف فى جمادى الآخرة وهو مقيم بمرج عيون ينتظر الميعاد وارناط فى هذه المدّة يشترى الاقوات من سُوق المسلمين ويقوى الشقيف والسلطان يُحسن الظن به ولا يسمع فيه قول من يُعلمه بغدره ومكره فلما بقى من المدة ثلثة ايام وحضر عنده ارناط قال له فى معنى تسليم الشقيف فاعتذر باولاده واهله وان المركيس لم يمكنهم من المجى اليه وطلب التاخير مدة اخرى فعلم السلطان مكره فاخذه وحبسه فاجاب الى التسليم فسير مع جماعة من العسكر الى تحت الشقيف فامرهم بالتسليم فامتنعوا وطلب قسيسًا حدّثه بلسانه وعاد بما قال اليهم فاشتدّوا فى المنع فعلم (حينيذ) ان ذلك كان تأكيدًا مع القسيس فاعادوه الى السلطان وسيره الى بانياس وتقدّم الى الشقيف فحصره وضيّق عليه وجعل عليه من يحفظه الى ان سلمها من بها بعد ان عُذّب صاحبها اشدّ العذاب واشترطوا اطلاق صاحبها فى يوم الاحد خامس عشر شهر ربيع الاول من سنة ست وثمانين واما بقية الفرنج فانّ ملكهم كان وعده السلطان انه متى سَلّم عسقلان اطلقه فاتفق انه اطلقه بانطرسوس حين فتح تلك الناحية واشترط عليه ان لا يشهر فى وجهه سيفا ابدًا فنكث واتفق مع المركيس صاحب صور وعسكرا مع جموع الفرنج على باب صور واتفق بينهم وبين المسلمين حروب وغارات كانت النكاية فيها سجالا بين الفريقين بحيث تحاجز الفريقان فى اخر تلك الايام من جمدى الاخرة من هذه السنة وسار الفرنج الى حصار عكا فنزلوا عليها فى يوم

الاربعا ثامن شهر رجب وسار السلطان فنزل عليهم بظاهر عكا ومنعهم من الاحاطة بسورها فكان نازلاً على قطعة منها يلى الشمال ومعه الباب الشمالى على الجانب الجنوبى وقد اغلق فى وجوههم الباب المعروف بباب عين البقر وكان الفرنج يقومون بمحاربة المسلمين من جانب المدينة ومن جانب العسكر وجرت بينهم وبين الفرنج وقعات متعددة من اعظمها وقعة اتفقت يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان خرج الفرنج واصطفوا على تعبية القتال والملك فى القلب وبين يديه الانجيل فوقف المسلمون ايضا على تعبية وتحركت ميسرة الفرنج على ميمنة المسلمين وفيها الملك المظفر فراجع عنهم وامده السلطان باطلاب عدة من القلب فخف القلب وعادت ميسرة الفرنج فطمعت فيه فحملوا على القلب فانكسر وانكسر معه معظم الميمنة وبلغت هزيمتهم الى الفحوانه ومنهم من دخل دمشق ووصل الفرنج الى خيم السلطان فقتلوا ذلك اليوم ابا على الحسين بن عبد الله بن رواحة وكان قد مدح النبى صلى الله عليه وسلم ووقف بازآء قبره وانشد قصيدته وقال يا رسول الله ان لكل شاعر جايزة وقرى وانى اطلب جايزتى الشهادة فاستجاب الله دعاه وقتل ذلك اليوم ملبس السلطان وطشت داره وثبتت ميسرة المسلمين وصاح السلطان فيمن بقى من المسلمين يال الاسلام وعادت ميسرة الفرنج الى عسكره فتكاثر الناس وراهم وحملوا عليهم فانهزموا وتبعهم المسلمون فقتلوا منهم زها سبعة الف ولم يقتل من المسلمين غير ماية وخمسين نفرا ثم ان الحرب اتصلت بينهم ليلا ونهارًا وكثر القتل بينهم واقبل الشتاء فلقى المسلمون منه شدة وحضروا الى السلطان واشاروا عليه بالرحيل عن عكا الى الخروبة لينفسح ما بين العسكرين وكان ذلك للضجر من تلك

الموافقة وملازمة القتال حتى اوهم السلطان انّه قد ضيّقت على الفرنج مجال الهرب وخُلت بينهم وبين صور وطرابلس ولو افرجت لهم عن الطريق لَمَا وقفوا بين يديك فرحل السلطان الى الخرّوبية فاصبح الفرنج وقد انبسطوا على عكا واحاطوا بها من ساير جهاتها واتصل ما بينهم وبين صور وجات مراكبهم منها فحصرت عكا من جانب البحر وضعُفت قلوب المسلمين بعكا وعادوا يقتاتون من الحواصل المذخورة بعد ان كان من المير المجلوبة وتوفر الفرنج على قتال اهل عكا بعد ان كانوا مشغولين بالعسكر وشرع الفرنج فى ادارة خندق على عسكرهم كاستدارتهم بعكا وجعلوه شكلا هلاليا طرفاه متصلان بالبحر واقاموا عليه سورًا مما يليهم وشرفوه بالجنويات والطوارق والتراس واتصلت الامداد اليهم من البحر بالاقوات والرجال والاسلحة حتى كان يُنْقل اليهم البقول الرطبة والخضراوات من جزيرة قبرس فتُصبح عندهم فى اليوم الثانى وسيّر السلطانُ الى الخليفة وملوك الاسلام يستنْفر ويستصرخ واتصلت الاخبار بوصول ملك الالمان الى القسطنطينية فى ستماية الف رجل منهم ثلثماية الف مقاتل وثلثماية الف سُوقة واتباع وصُنّاع وحكى انه كان فى عسكره خمسة وعشرون الف عجلة تنقل الاسلحة والعلوفات فاسقط فى ايدى المسلمين واستولى البأس عليهم وتعلّقت امالهم انه ربما مانعه مَن فى طريقه من الاوج ومن قلج ارسلان فلم يتفق شى من ذلك بل سار وقطع البلاد حتى وصل الى المصيصة وارسل الله عليهم وبآء عظيما وحرًّا عظيمًا ومجاعة احوجتهم الى نحر دوابهم وذبح البقر الذى يجر العجل فكان يموت فى كل يوم الوف من الرجال ويسايقون الموتان الى ما معهم من الدواب الحاملة للاثقال حتى وصلوا الى انطاكية ولم

يبق منهم الّا دون العُشر وكان فى جملة مَن مات منهم ملكهم الذى غزا الشام فى سنة اربع واربعين وحاصر دمشق مات غريقا فى نهر بطرسُوس يقال له الغاتر نزل وسبح فيه فغرق وقيل بانه سبح فيه وكان المآء باردًا فمرض ومات واُخذ وسُلق فى خَلّ وجُمعت عظامهُ ليدفن فى البيت المقدس واوصى بالمُلك لابنه مكانه واتفقت الكلمة عليه فمرض بالتنبيات واقام بها وسير كنداكرا على عسكره ووصل الى انطاكية فمات ذلك الكند بها فخرج البرنس الى الملك واستدعاه الى انطاكية طمعا فى انه يموت وياخذ ماله وكان قد فرق عسكره ثلث فرق لكثرته فالفرقةُ الاولى اجتازت تحت بغراس مع الكند المذكور فوقع عليه عسكر حلب فاخذ منهم مايتى رجل ووقع ايضا على جمع عظيم خرجوا للعلوفة فقتلوا منهم جماعة كثيرة واسروا زُهآ خمسماية نفر ولما وصل ملك الالمان الى انطاكية (واخذها) من صاحبها واودع فيها خزاينها وسار منها يوم الاربعا خامس وعشرين من شهر رجب سنة ست وثمانين وخمس ماية متوجها الى عكا وفشا فيهم الوبا حتى لم يسلم من كل عشرة واحد ولم يخرجوا من انطاكية حتى ملاوها قبورًا ووصل الملك الى طرابلس فى نحو الفى فارس لو صادفهم ماية من المسلمين لاخذوهم ووصلوا الى عكا رجّالةً ضعفا لا ينفعون ومات ابن ملك الالمان على عكا فى ذى الحِجة من سنة ست ووصل الى المسلمين بعكا الاسُطول المصرى فى خمسين شينيا (غنم) فى طريقه اليها بطس ومراكب فرنجية اسر رجالها وغنم اموالها وجرى له مصادمات مع مراكب الفرنج المحاصرة لعكّا كانت الغلبة فيها للمسلمين فدخلوا الى عكّا وتماسكت بما دخل فيها من الاقوات والسلاح وكان دخولها فى يوم الاثنين رابع عشر شعبان من سنة

ست وثمانين وفي هذا الشهر جهّز الفرنج بُطسًا مُتعدّدة لمحاصرة برج الذّبان وهو على باب مينا عكا فجعلوا على صوارى البطس برجًا وملوه خطبًا ونفطًا على انهم يسيرون بالبطس فاذا قاربت برج الذّبان ولاصقته احرقوا البرج الذى على الصارى والصقوه ببرج الذبان ليلقوه فى البرج اذا اشتعلت النار فيه وعبّوا بطسة ملوءها خطبا على انهم يدفعونها ليدخل بين بطس المسلمين ثم يلهبونها فتحرق بطس المسلمين وجعلوا فى بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يصل اليهم نُشّاب ويكونون تحت القبْو ويقدمون البطسة الى البرج واوقدوا النار وضربوا النفط فانعكس الهوآء عليهم فاحترقت البطسة وهلك من فيها واحترقت البطسة الثانية واخذها المسلمون وانقلبت البطسة التى فيها القبّو بمن فيها وفى هذه السنة فى ربيع الاول احرق المسلمون ما كان صنعه الفرنج من الات للحرب والزحف اليهم وهى ابرجة عظيمة المقدار يزحف بها على عجل وفيها المقاتلة والجروح والمجانيق فعمد لها رجلٌ دمشقى يعرف بعلى بن النحاس فرماها من السور بقدور نفط متتابعة وصار فيها ريحٌ غريبة كانت سببا لاحراق تلك الآلات وما فيها ومَن فيها واشتدّ حصار الفرنج على عكّا وملّ مَن بها من الاجناد المقام ووصل اليهم من مصر مراكب فيها غلة فاتلفوها بالاضاعة وبالتغريق تبرما بالمقام وفى ربيع الاول وصلت من بلاد الفرنج مراكب كثيرة فيها الوف من مقاتلة الفرنج من اكبرهم ملكان يُعرف احدهما بملك الفريسيس والآخر بملك انكتير فاشتدت وطأتهما على عكّا وعظمت نكايتهما فى سورها وقلّ ما بها من الميرة والسلاح فامر السلطان بان اوسق مركب عظيمٌ من بيرُوت واستكثر فيه من السلاح والاقوات والمقاتلة واظهر عليه زىّ الفرنج

وشعارهم واُخذ قومٌ من اسارى الفرنج الذين فى قبضة المسلمين فتركوا على ظاهر المركب وانزل معهم فى المركب جماعة من المسلمين ممّن يعرف لغة الفرنج وتزيّوا بزى الفرنج وحلقُوا شعُورَهم واخذوا معهم خنازير ورفعوا على قلع المركب صليبًا واوهموا الفرنج انهم واصلون اليهم نجدةً من بلادهم واقلعوا داخلين الى مرسى عكّا مسلّمين على الفرنج بلُغتهم مبشّرين لهم بانّ وراءهم من المدد من يتشدد به مُنتهم وتعزّبه نُصرتهم فلم يرتّب المحاصرون بذلك وافرجوا لهم عن المرسى فدخلوا الى عكا واوصلوا الى المسلمين بها ما كان معهم من الميرة والسلاح والرجال وتمّت هذه الحيلة وكان من الفُرَص التى لا ينبغى ان تُعاودَ فركن المسلمون اليها وطمعوا فى اخرى مثلها فجهّزوا مركبًا عظيمًا من بيروت ايضا واودعوه مثل ما كان قبله من الالات والسلاح والاقوات بما مبلغ قيمته خمسة آلاف دينار وجعل فيه سبع ماية من مقاتلة المسلمين وكان خبرهم قد وصل الى الفرنج فاخذوا عليهم الارصاد فمكثوا اياما يلججون فى البحر ويقاربون عكّا فلا يجدون فى الدخول مطمعًا حتى صادفتهم مراكب الانكتير فى حال قدومه من بلاده فى احدى وعشرين مركبا فقاتلوا ذلك المركب الاسلامى يومين وثبت لهم مع قلّته فغرق المسلمون من مراكب الفرنج ثلثة ولما راوا انهم قد يأسوا من النجاة وانّ الفرنج ان ظفروا بالمركب حصل لهم به قوة عظيمة وحصلوا فى الاسر والذلة عمد رجل حلبى حجّارٌ من اهل باب الاربعين يُقال له يعقوب وكان مقدم الجماعة الى سفل المركب واخذ قطاعته وخسف المركب ودخل فيه الماء وغرق ولم يظفر الكفار منه بشى سوا رجلين يخطفها الفرنج من راس الماء فاحتملوهما

فى مراكبهم فاخبرا بهذه الكاينة ولما وصل هذا الخبر الى عكا
قطع قلوب من بها واسقط فى ايديهم وهرب جماعة من الامراء
منها فالقوا نفسهم فى شختاتيم صغار فاضعف ذلك قلوب من بقى
بها وعظمت النكاية فى سور المدينة وفشلوا وكاتبوا السلطان
فاذن لهم مصالحة الفرنج عن انفسهم بالبلد فصالحوا الفرنج على
تسليم البلد وجميع ما فيه من الالات والعدد والاسلحة والمراكب
وغير ذلك وعلى مايتى الف دينار والف وخمس ماية اسير مجاهيل
الاحوال وماية اسير معيّنين من جانبهم يختارونهم وصليب
الصلبوت على ان يخرجوا سالمين بانفسهم وذراريهم واموالهم
وقماشهم وضمنوا للمركيس عشرة الف دينار لانه كان الواسطة
ولاصحابه اربعة الاف وحلف الفرنج لهم على ذلك وتسلموا عكا
فى يوم الجمعة سابع عشر جمدى الاخرة سنة سبع وثمانين وخمس
ماية ونكثوا ذلك العهد واسروا كل من كان بها من المسلمين
وفرّقوا بينهم واستصفوا اموالهم وسلبوهم ثيابهم واسلحتهم ثم
قتلوا منهم الفين ومايتين صبرا على دم واحد فى يوم واحد
حيث توقّموا فيهم انهم فقرآء ليس لهم مُفاد واسروا مَن رجَوا
منه ان يفتدى بمال او يكون من السلطان على بال واقاموا بعكا
نحو اربعين يومًا والملك الناصر على (حصانهم) ثم خرجوا منها
متوجهين الى عسقلان فسار فى عراضهم ليمنعهم ان يخرجوا من
ساحل البحر فساروا من عكا الى يافا وهى مسيرة يوم واحد فى
شهر كامل لمضايقة السلطان لهم وجرى بينهم وبين المسلمين
مناضلة ومطاردة فلما اشفق انسلطان من اخذهم عسقلان سبق
اليها فهدمها واخرج اهلها منها فى شهر رمضان من سنة سبع فاقام
الفرنج بيافا وانتقل السلطان الى الرملة وشرع الفرنج بنآ يافا وتحصينها

ثم ساروا عنها فنزلوا بعسقلان وشرعوا فى عمارتها ثم ساروا الى الدّاروم فحصروها ثلاث مرات اخذوها فى المرة الثالثة بالامان وعاد السلطان فى ثالث ذى الحجة بالعساكر الى البيت المقدس وعمره وحصنه ووعّر طريقه وعمق خندقه وجعل الملك العادل بازآء الفرنج بالرملة وتوفى الملك المظفر تقى الدين على منازكرد وهو محاصر لها بعد ان جرى له مصاف مع بكتمر صاحب خلّاط وكسره تقى الدين ودخلت سنة ثمان وثمانين والسلطان بالبيت المقدس والملك العادل فى الرملة وقد صار بيد الفرنج مما كان بيد المسلمين من الفتوح ما بين عكا والداروم ولم يمكنهم مفارقة الساحل خوفًا من ان يحُول المسلمون بينهم وبين مراكبهم فتنقطع مادّتهم وعصى فيها الملك المنصور بن تقى الدين على السلطان بميافارقين وحينى وحران والرها وسميساط والموزر فسير اليه ابنه الملك الافضل واقطعه تلك البلاد الشرقية فسار الى حلب ومعه اخوه الملك الظافر ووصلا الى حلب فارسل السلطان اخاه الملك العادل جريدةً فى عشرين فارسًا من مماليكه وامره ان يرد الملك الافضل ويُطيّب قلب الملك المنصور ويُعْطيه ما يُريد فوصل الملك العادل واجتمع بالملك المنصور وقرر امره ثم ان السلطان جرت له احوال مع الفرنج ووقعات ومراسلات يطُول الكتاب (بتعدادها) الى ان انتظم الصلح بينه وبين الفرنج (وهو) حادى وعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين لمدة ثلاث سنين وخمسة اشهر على ان سلموا الى المسلمين عسقلان وغزّة والدّاُروم واقتصروا من البلاد الساحليّة على ما بين صُور ويافا بعد ان فتح السلطان يافا وبقى القلعة واتفق ملوك الجزاير من الفرنج على تمليك الساحل رجلًا منهم يُعرف بالكندهرى وزوّجوه بنت ملكهم

القديمر التى قد استقر عندهم ان يجعلوها على كل من ملكوه
وسار السلطان من القدس الى بيروت فى شوال ووصل الى خدمته
صاحب انطاكية الابرنس وولده قومص طرابلس وخلع عليهما وجدّد
بينه وبينهما الهدنة والعقد وفى سادس عشرى ذى القعدة دخل
الى دمشق بعد مدة تقارب اربع سنين وكان الملك الظاهر قد ودّعه
من القدس ورحل الى حلب فى شهر رمضان واخبرنى القاضى بهاء
الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم انه ودّعه ثم سير
اليه واستأذنه فى مراجعته فى اشياء فادخله اليه وكنتُ حاضرا ثم
قال للملك الظاهر اوصيك بتقوى الله فانها راس كل خير وامُرك بما
امرك الله به فانه سبب نجاتك واحذّرك من الدماء والدخول فيها
والتقلّد لها فان الدم لا ينام واوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر
فى احوالهم فانت امينى وامين الله عليهم واوصيك بحفظ قلوب
الامرآء وارباب الدولة والاكابر فما بلغتُ ما بلغتُ الّا بمداراة الناس ولا
تحقد على احد فان الموت لا يُبقى على احد واحذر ما بينك
وبين الناس فانه لا يُغفَر الّا برضاهُمْ وما بينك وبين الله يغفره الله
بتوبتك اليه فانه كريم وفى شهر ذى القعدة سلم الى الملك
المنصور ما كان لابيه بالشام وهو منبج وحماة وسلمية ومعرة النعمان
وانقضت سنة ثمان وثمانين والهدنة مع الفرنج مستمرّة والملك
الناصر بدمشق والملك الظاهر بحلب والملك العزيز بمصر والملك الافضل
وهو اكبر ولد السلطان معه بدمشق فمرض السلطان فى اليوم
الخامس عشر من صفر بحمى حادّة واختلط ذهنه فى السابع وحبس
كلامه وانجذبت مادّة المرض الى دماغه وتوفى رحمه الله فى الثالث
عشر من مرضه فى وقت الفجر من يوم الاربعآ السابع والعشرين
من صفر من سنة تسع وثمانين وخمس مائة وليس فى خزانته من

المال يوم وفاته سوى دينار واحد صورى وسبعة واربعين درهمًا نُقرة ودعوته على المنابر من اقصى حَضرموتَ في الجنوب الى اوايل بلاد ارايننة في الشمال عَرضًا ومن طرابلس الغرب الى باب همذان طُولاً ونقودها من الدراهم والدنانير مضروبة باسمه وعساكرُها مطلعة لامره سايرة تحت لوايه ومن جُملة مُلكه ديار مصر والشام جميعه والجزيرة وديار بكر واليمن

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعدُ ابوالا

تم

ما انتخبته من كتاب

زبدة الحلب من تاريخ حلب

من تاريخ احمد المقرى
وهو منقول باختصار يسير من الكتاب المسمى
بالشهب الثاقبة فى الانصاف بين المشارقة والمغاربة
لابن سعيد

لما صارت الاندلس لبنى امية وتوارثوا ممالكها وانقاد اليهم كل ابى فيها واطاعهم كل عصى عظمت الدولة بالاندلس وكبرت الهمم وترتبت الاحوال وترتبت القواعد وكانوا صدرًا من دولتهم يخطبون لانفسهم بابناء الخلايف ثم خطبوا لانفسهم بالخلافة وملكوا من بر العدوة ما ضخمت به دولتهم وكانت قواعدهم اظهار الهيبة وتمكن الناموس من قلوب العالم ومراعاة احوال الشرع فى كل الامور وتعظيم العلماء والعمل باقوالهم واحضارهم فى مجالسهم واستشارتهم ولهم حكايات فى تاريخ ابن حيان منها ما هو مذكور من توجه الحكم على خليفتهم او على ابنه او احد حاشيته المختصين وانهم كانوا فى نهاية من الانقياد للحق لهم او عليهم وبذلك انضبط لهم امر الجزيرة ولما خرقوا هذا الناموس كان اول ما تهتك امرهم ثم اضمحل وكانت انقاب الاول منهم الامرآء ابناء الخلايف ثم الخلفآ امراء المومنين الى ان وقعت الفتنة بحسد بعضهم ببعض وابتغآ الخلافة من غير وجهها الذى رتبت عليه فاستبدت ملوك الممالك الاندلسية ببلادها وسموا بملوك الطوايف واستبدوا وكان فيهم من خطب للخلفاء المروانيين ولم تبق لهم خلافة ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع

على امامتهم وصار ملوك الطوايف يتباهون فى احوال الملك حتى فى الالقاب فآل امرهم الى ان تلقبوا بنعوت الخلفآ وترفعوا الى طبقات السلطنة العظمى وذلك بما فى جزيرتهم من اسباب الترفه والضخامة التى تتوزع على ملوك شتى فتكفيهم وتنهض بهم للمباهات ولاجل توثبهم على النعوت العباسية قال ابن رشيق القيروانى

مما يزهّدنى فى أرض اندلس، تلقيب معتضد فيها ومُعْتمد،
القاب مملكة فى غير موضعها، كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد،

وكان عباد بن محمد بن عباد قد تلقب بالمعتضد واقتفى سيرة المعتضد العباسى امير المؤمنين وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمعتمد وكانت لبنى عباد مملكة اشبلية ثم انضاف اليها غيرها وكان خلفاء بنى امية يظهرون للناس فى الاحيان على ابهة الخلافة وقانون لهم فى ذلك معروف الى ان كانت الفتنة فازدرت العيون ذلك الناموس واستخفت به وقد كان بنو حمود من ولد ادريس العلوى الذين توثبوا على الخلافة فى اثنآ الدولة المروانيّة بالاندلس يتعاظمون وياخذون انفسهم بما ياخذها خلفآ بنى العباس وكانوا اذا حضرهم منشد لمدح او من يحتاج الى الكلام بين ايديهم يتكلم من ورآء حجاب والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة ولما حضر ابن مقانا الاشبونى امام حاجب ادريس ابن يحيى الحمودى الذى خطب له بالخلافة فى مالقة فانشده قصيدته المشهورة النونية التى منها قوله

وكان الشمس لما اشرقت فانثنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن على بن حمود امير المومنين

وبلغ فيها الى قوله

انظرونا نقْتَبس من نوركم انه من نور رب العالمين

رفع الخليفة الستر بنفسه وقال انظر كيف شيمت وانبسط مع الشاعر واحسن له ولما جاء ملوك الطوايف صاروا يتبسطون للخاصة وكثير من العامة لمداراة الجند وعوام البلاد وكان اكثرهم يحاضر العلمآ والادبآ ان يشهر عنه ذلك عند مباريه فى الرياسة ومذ وقعت الفتنة بالاندلس اعتاد اهل الممالك المتفرقة الاستبداد عن امام الجماعة وصار فى كل جهة مملكة مستقلة يتوارث اعيانها الرياسة كما يتوارث ملوكها الملك ومرنوا على ذلك فصعب ضبطهم الى نظام واحد وتمكن العدو منهم بالتفرق وعداوة بعضهم لبعض بقبيح المنافسة والطمع الى ان انقادوا الى عبد المومن وبنيه وتلك القواعد فى روسهم كامنة والثوار فى المعاقل تنزو وتروم الكرة الى ان ثار ابن هود وتلقب بالمتوكل ووجد قلوبا منحرفة عن دولة بنى العدوة مهيأة للاستبداد فملكها بايسر محاولة مع الجهل المفرط وضعف الراى وكان مع العامة كانه صاحب شعوذة يمشى فى الاسواق ويضحك فى وجوههم ويبادرهم بالسوال وجاء للناس منه ما لم يعتادوه من سلطان فاعجب ذلك سفهآ الناس وعامتهم العميا وكان كما قيل شعر

امور يضحك السفهآء منها ويبكى من عواقبها الحليم

فآل ذلك الى تلف القواعد العظيمة وتملك الامصار الجليلة وخروجها من يد الاسلام والضابط فيما يقال فى شان اهل الاندلس فى السلطان انهم اذا وجدوا فارسا يبرع الفرسان وجوادا يبرع الاجواد بها فتوافق نصرته نصبوه ملكا من غير تدبير فى عاقبة آل الامر الى ما يؤول اليه وبعد ان يكون الملك فى مملكة قد توورثت وتدوولت ويكون فى تلك المملكة تايد من قوادها قد شهرت عنه وقايع فى العدو وظهر منه كرم نفس للاجناد ومراعاة قدموه ملكا

فى حصن من الحصون ورفضوا عيالهم واولادهم ان كان لهم ذلك بكرسى الملك ولم يزالوا فى جهاد وتلاف انفس حتى يظفر صاحبهم بطلبته واهل المشرق اصوب رايا منهم فى مراعاة نظام الملك والمحافظة على نصابه ليلا يدخل الخلل الذى يفضى باختلال القواعد وفساد التربية وحل الاوضاع ونحن نمثل فى ذلك مما شاهدناه لما كانت هذه الفتنة الاخيرة بالاندلس تمخضت عن رجل من حصن يقال له ارجونه ويعرف الرجل بابن الاحمر كان يكثر مغاورة العدو من حصنه وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة الى ان سار اسمه فى الاندلس وآل ذلك الى ان قدمه اهل حصنه على انفسهم ثم نهض فملك قرطبه العظمى وملك اشبليه وقتل ملكها الباجى وملك جيان احصن بلد بالاندلس واجله قدرًا فى الامتناع وملك غرناطه ومالقه وسموه بامير المسلمين فهو الان المشار اليه بالاندلس والمعتمد عليه واما قاعدة الوزارة بالاندلس فانها كانت فى مدة بنى امية مشتركة فى جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة ويخصهم بالمجالسة ويختار منهم شخصًا لمكان النايب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب وكانت هذه المراتب لضبطها عندهم كالمتوارثة فى البيوت المعلومة لذلك الى ان كانت ملوك الطوايف فكان الملك منهم لعظم اسم الحاجب فى الدولة المروانية وانه كان نايبا عن خليفتهم يسمى بالحاجب ويرى ان هذه السمة اعظم ما تنوفس فيه وظفر به وهى موجودة فى امداح شعرآيهم وتواريخهم وصار اسم الوزارة عاما لكل من يجالس الملوك ويختص بهم وصار الوزير الذى ينوب عن الملك يعرف بذى الوزارتين واكثر ما يكون فاضلًا فى علم الادب وقد لا يكون كذلك بل عالما بامور الملك خاصّة واما الكتابة فهى على ضربين اعلاهما

كاتب الرسايل وله حظ فى القلوب والعيون عند اهل الاندلس واشرف اسمآيه الكاتب وبهذه السمة يخططه من يعظمه فى رسالة واهل الاندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة فان كان ناقصًا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الالسن فى المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه والكاتب الآخر كاتب الزمام هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ولا يكون بالاندلس بر العدوة لا نصرانيا ولا يهوديا البتة اذ هذا الشغل نبيه يحتاج الى صاحبه عظمآ الناس ووجوههم وصاحب الاشغال الخراجيّة فى الاندلس اعظم من الوزير واكثر اتباعًا واصحاباً واجدى منفعة فاليه تميل الاعناق ونحوه تمدّ الاكف والاعمال مضبوطة بالشهود والنظار ومع هذا ان تاثلت حالته واغتر بكثرة البنا والاكتساب نكب وصودر هذا راجع الى تقلب الاحوال وكيفيّة السلطان واما خطة القضآء بالاندلس فهى اعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بامور الدين وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدى القاضى هذا وصفها فى زمان بنى امية ومن سلك مسلكهم ولا سبيل ان يتسمى بهذه السمة الا من هو وال للحكم الشرعى فى مدينة جليلة وان كانت صغيرة فلا يطلق على حاكمها الا مسدد خاصّة وقاضى القضاة يقال له قاضى القضاة وقاضى الجماعة واما خطة الشرطة بالاندلس فانها مضبوطة الى الآن معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبها فى السن العامّة بصاحب المدينة وصاحب الليل واذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن يجب عليه دون استيذان للسلطان وذلك قليل ولا يكون الا فى حضرة السلطان الاعظم وهو الذى يحد على الزنى وشرب الخمر وكثير من الامور الشرعية راجع اليه

قد صارت تلك العادة تقرر عليها رضى القاضى وكان خطة ارفع واتقى عندهم من ذلك واما خطة الاحتساب فانها عندهم موضوعة فى اهل العلم والفطن وكان صاحبها قاض والعادة فيه ان يمشى بنفسه راكبًا على الاسواق واعوانه معه وميزانه الذى يزن به الخبز فى يد احد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم وكذلك للثمن وفى ذلك من المصلحة ان يرسل المبتاع الصبى الصغير او الجارية الرعنا فيستويان فيما ياتيانه به من السوق مع الحاذق فى معرفة الاوزان وكذلك اللحم يكون عليه ورقة بسعره ولا يجسر الجزار ان يبيع بدون ما حدّ له المحتسب فى الورقة ولا تكاد تخفى خيانته فان المحتسب يغرس عليه صبيًا او جارية يبتاع احدهما منه ثم يختبر الوزن المحتسب فان وجد نقصًا قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسال عمّا يلقى وان كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس فى الاسواق نفى من البلد ولهم فى اوضاع الاحتساب قوانين يتدارسونها كما تتدارس احكام الفقه لانها عندهم تدخل فى جميع المبتاعات وتتفرع الى ما يطول ذكره واما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب اصحاب ارباع فى المشرق فانهم يعرفون فى الاندلس بالدرابين لان بلاد الاندلس لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة ولكل زقاق بايت فيه له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معدة وذلك لشطارة عامّتها وكثرة شرهم واعيانهم فى امور التلصص الى ان يظهروا على المبانى المشيدة ويفتحوا الاغلاق الصعبة ويقتلوا صاحب الدار خوف ان يقر عليهم او يطالبهم بعد ذلك ولا تكاد فى الاندلس تخلو من سماع دار فلان دخلت البارحة وفلان ذبحه اللصوص على فراشه وهذا يرجع التكثير منه والتقليل الى شدة

الوالى ولينه ومع افراطه فى الشدة وكون سيفه يقطر دماً فان ذلك لا يعدم وقد آل الحال عندهم الى ان قتلوا لعنقود سرقه شخص من كرم وما اشبه ذلك فلم ينتّه اللصوص واما قواعد اهل الاندلس فى ديانتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر الى السلاطين ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود وانكار التهاون بتعطيلها وقيام العامة فى ذلك وانكاره ان تهاون فيه اصحاب السلطان وقد يلج السلطان فى شىء من ذلك ولا ينكره فيدخلون عليه قصره المشيد ولا يعباؤن بخيله ورجله حتى يخرجوه من بلدهم وهذا كثير فى اخبارهم واما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للاعمال اذا لم يعدلوا فكل يوم وطريقة الفقر على مذهب اهل الشرق فى الدروزة تكسل عن الكدر وتحوج الوجوه للطلب فى الاسواق فمستقبحة عندهم الى نهاية واذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبّوه واهانوه فضلاً عن ان يتصدقوا عليه فلا تجد بالاندلس سآيلا الا ان يكون صاحب عذر واما حال اهل الاندلس فى فنون العلم فتحقيق الانصاف فى شانهم فى هذا الباب انهم احرص الناس على التمييز فالجاهل الذى لم يوفقه الله للعلم يجهد ان يتميز بصنعة ويربا بنفسه ان يرى فارغا عالة على الناس لان هذا عندهم فى نهاية القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار اليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم فى جوار او ابتياع حاجة وما اشبه ذلك ومع هذا فليس لاهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤن جميع العلوم فى المساجد بأجرة فهم يقرؤن لان يعلموا لالان ياخذوا جاريا فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على ان يترك الشغل الذى يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظ

واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهر بهما خوف العامة فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة او يشتغل بالتنجيم اطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه انفاسه فان زل فى شبهة رجموه بالحجارة او حرقوه قبل ان يصل امره للسلطان او يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة وكثيرا ما يامر ملوكهم باحراق كتب هذا الشان اذا وجدت وبذلك تقرب المنصور بن ابى عامر لقلوبهم اول نهوضه وان كان غير خال من الاشتغال بذلك فى الباطن على ما ذكره الحجارى والله اعلم وقراة القران بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم الا مذهب مالك وخواصهم يحفظون من ساير المذاهب ما يباحثون به بمجالس ملوكهم ذوى الهمم فى العلوم وسمة الفقيه عندهم جليلة حتى ان الملثمين كانوا يسمون الامير العظيم منهم الذى يريدون تنويهه بالفقيه وهى الآن بالمغرب بمنزلة القاضى بالمشرق وقد يقولون للكاتب والنحوى واللغوى فقيه لانها عندهم ارفع السمات وعلم الاصول عندهم متوسط الحال والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة حتى انهم فى هذا العصر فيه كاصحاب عصر الخليل لا يزداد مع هرم الزمان الا جدة وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكل عالم فى اى علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقايق فليس عندهم بمستحق للتميز ولا سالم من الازدراء مع ان كلام اهل الاندلس الشايع فى الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه اوضاع العربية حتى لو ان شخصا من العرب سمع كلام الشلوبينى ابى على المشار اليه بعلم النحو فى عصرنا الذى غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرى درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذى فى لسانه والخاص منهم اذا تكلم

بالاعراب واخذ يجرى على قانون النحو استثقلوه واستبردوه ولكن ذلك
مُراعى عندهم فى القراآت والمخاطبات فى الرسايل وعلم الادب المنثور
من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات انبل علم
عندهم وبه يتقرب من مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لا يكون
فيه ادب من علماآيهم فهو غفل مستثقل والشعر عندهم له حظ
عظيم وللشعرا من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم وظايف والمجيدون
منهم ينشدون فى مجالس عظمآ ملوكهم المختلفة ويوقع لهم
بالصلات على اقدارهم الا ان يختل الوقت ويغلب الجهل فى حين
ما ولكن هذا الغالب واذا كان الشخص بالاندلس نحويا او شاعرا
فانه يعظم فى نفسه لا محالة ويسخف ويظهر التجب عادة قد
جبلوا عليها واما زىّ اهل الاندلس فالغالب عليهم ترك العمايم لا
سيّما فى شرق الاندلس فان اهل غربها لا تكاد ترى فيهما قاضيا ولا
فقيهًا مشارًا اليه الا وهو بعمامة وقد تسامحوا بشرقها فى ذلك ولقد
رايت عزيز بن خطاب اكبر عالم بمرسية حضرة السلطان فى ذلك
الاوان واليه الاشارة وقد خطب له بالملك فى تلك الجهة وهو حاسر
الراس فى شيبه وقد غلب على سواد شعره واما الاجناد وساير الناس
فقليل منهم من تراه بعمة فى شرق منها او فى غرب وابن هود الذى
ملك الاندلس فى عصرنا رايته فى جميع احواله ببلاد الاندلس وهو
دون عمامة وكذلك ابن الاحمر الذى معظم الاندلس الآن فى يده
وكثيرًا ما يتزيا سلاطينهم واجنادهم بزىّ النصارى المجاورين
لهم فسلاحهم كسلاحهم واقبيتهم من الاشكرلاط وغيره كاقبيتهم
وكذلك اعلامهم وسروجهم ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة
للطعن ولا يعرفون الدبابيس ولا قسى العرب بل يعدون قسى
الافرنج للمحاصرات فى البلاد او تكون للرجالة عند المصافقة للحرب

وقليلا ما تصبر الخيل عليهم او تمهلهم لان يوتروها ولا تجد فى خواصّ الاندلس واكثر عوامهم من يمشى دون طيلسان الا انه لا يضعه على راسه منهم الا الاشياخ المعظمون وغفاير الصوف كثيرًا ما يلبسونها حمرا وخضرا والصفر مخصوصة باليهود ولا سبيل الى يهودى ان يتعمم البتة والذوابة لا يرخيها الا العلماء ولا يصرفونها بين الاكتاف وانما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى وهذه الاوضاع التى بالشرق فى العمايم لا يعرفها اهل الاندلس وان راوا فى راس مشرقى دخل الى بلادهم شكلاً منها اظهروا التعجب والاستطراف ولا ياخذون انفسهم بتعليمها لانهم لم يعتادوا ولا يستحسنوا غير اوضاعهم وكذلك فى تفصيل الثياب واهل الاندلس اشدّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك ممّا يتعلق به وفيهم من لا يكون عنده الّا ما يقوته يومه فيطويه صايمًا ويبتاع صابونًا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها وهم اهل احتياط وتدبير فى المعاش وحفظ لما فى ايديهم خوف ذلّ السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل ولهم مروات على عادة بلادهم لو فطن لها حاتم نفضل دقايقها على عظايمه ولقد اجتزت مع والدى على قرية من قراها وقد نال منا البرد والمطر اشدّ النيل فاوينا اليها وكنا على حال ترقب من السلطان وخلو من الرفاهية فنزلنا فى بيت شيخ من اهلها من غير معرفة متقدمة فقال لنا ان كان عندكم بما اشترى لكم فحمًا تسخنون به فانى امضى فى حوايجكم واجعل عيالى يقومون بشانكم فاعطيناه ما اشترى به فحمًا فاضرم نارًا فجاء ابن له صغير ليصطلى فضربه فقال له والدى لم ضربته قال يتعلم استغنام مال الناس والضجر للبرد من الصغر ثم لما جاء النوم قال لابنه اعط هذا الشاب كساك الغليظة

يزيدها على ثيابه فدفع كساءه اليّ ولما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبهًا ويده في الكساء فقلت ذلك لوالدي فقال هذه مروات اهل الاندلس وهذا احتياطهم اعطاك الكسا وفضلك على نفسه ثم افكر في انك غريب لا يعرف هل انت ثقة او لصّ فلم يطبْ له منام حتى ياخذ كساءه خوفاً من انفصالك بها وهو نايم وعلى هذا الشي الحقير قس الشيء الجليل انتهى كلام ابن سعيد في المغرب باختصار يسير٬

انتهى

ما نقلته من تاريخ

المرحوم الشيخ احمد المقري

المنتخب

من الكتاب المسمى

بالعبر وديوان المبتداء والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر

لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى

فصل فى معنى الخلافة والامامة

لما كانت حقيقة الملك انه الاجتماع الضرورى للبشر ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من اثار الغضب والحيوانية كانت احكام صاحبه فى الغالب جايرة عن الحق مجحفة بمن تحت يده من الخلق فى احوال دنياهم لحمله اياهم فى الغالب على ما ليس فى طوقهم من اغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر طاعته لذلك وتجى المعصية المفضية الى الهرج والقتل فوجب ان يرجع فى ذلك فى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الامم واذا اخلت الدولة فى مثل هذه السياسة لم يستتب امرها ولا يتم استيلاوها سنة الله فى الذين خلوا من قبل فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر الدولة وبصايرها كانت سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من الله سبحانه وتعالى بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة فى الحياة الدنيا والاخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفنا والله تعالى يقول افحسبتم

انما خلقناكم عبثا فالمقصود بهم انما هو دينهم المفضى بهم الى السعادة فى اخرتهم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض فجاءت الشرايع تحملهم على ذلك فى جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى فى الملك الذى هو طبيعى للاجتماع الانسانى فاجرته على منهج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشرع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية فى مرعاها فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو فى مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسة واحكامها من غير نظر الشرع فمذموم ايضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور لان الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور اخرتهم واعمال البشر كلها عايدة عليهم فى معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هى اعمالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح اخرتهم فوجب بمقتضى الشرايع حمل الكافة على الاحكام الشرعية فى احوال دنياهم واخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الانبياء ومن قام مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك الطبيعى هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسى هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى فى جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الاخرة فهى فى الحقيقة نيابة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيما نورده عليك من بعد والله الحكيم العليم

فصل فی اختلاف الامة فی حکم الخلافة وشروطها

واذ قد بيّنا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشريعة فی حفظ الدين وسياسة الدنيا به ويسمی خلافة وامامة والقايم به خليفة واماما وسماه المتاخرون سلطانا حين فشا التعدد فيه واضطروا بالتباعد وفقدان شروط المنصب الی عقد البيعة لكل متغلب فاما تسميته اماما فتشبيها بامام الصلاة فی اتباعه والاقتداء به ولهذا يقال الامامة الكبری واما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبی فی امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف فی تسميته خليفة الله فاجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التی للآدميين فی قوله تعالی انی جاعل فی الارض خليفة وقوله جعلكم خلايف الارض ومنع الجمهور منه لان معنی الاية ليس عليه وقد نهی ابو بكر عنه لما دعی به وقال لست خليفة الله ولكنی خليفة رسول الله ولانّ الاستخلاف انما هو فی حق الغايب واما الحاضر فلا ثم ان نَصْبَ الامام واجبٌ قد عُرف وجوبُه من الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان اصحابَ رسول الله صلی الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الی بيعة ابی بكر رضی الله عنه وتسليم النظر اليه فی امورهم وكذا فی كل عصر من بعد ذلك ولم يترك الناس فوْضی فی عصر من الاعصار واستقر ذلك اجْماعا دالاّ علی وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الی ان مدرك وجوبه العقل وان الاجماع الذی وقع فانما هو قضاء بحكم العقل فيه قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فما لم يكن الحاكم الوازع افضی ذلك الی الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع ان حفْظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنی بعينه هو الذی لحظ الحكماء

فى وجوب النبوات فى البشر وقد نبّهنا على فساده وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشرع من الله تسلم له الكافة تسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان الوازع قد يكون بسطوة الملك وقهر اهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما فى امم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب او لم تبلغه الدعوة او نقول يكفى فى رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم العقل فادعاوهم ان ارتفاع النزاع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب الامام يكون بوجود الروسا اهل الشوكة او بامتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينتهض دليلهم العقلى المبنى على هذه المقدمة فدل على ان مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجماع الذى قدمناه وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا المنصب راسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عند هولآ انما هو امضا احكام الشرع فاذا تواطات الامة على العدل وتنفيذ احكام الله لم تحتج الى امام ولا يجب نصبه وهولآ محجوجون بالاجماع والذى حملهم على هذا المذهب انما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما راوا الشريعة ممتلية بذم ذلك والبغى على اهله ومرغبة فى رفضه واعلم ان الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وانما ذم المفاسد الناشية عنه من القهر والظلم والتمتع باللذات ولا شك فى ان هذه مفاسد محظورة وهى من توابعه كما اثنى على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذب عنه واوجب بازايها الثواب وهى كلها من توابع الملك فاذن انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة

والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكلية لداعية الضرورة اليهما وانما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوت الله عليهما الملك الذى لم يكن لغيرهما وهما من انبياء الله واكرم الخلق عنده ثم تقول لهم ان هذا الفرار من الملك بعدم وجوب هذا المنصب لا يغنيكم شيا فانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصبية والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك ولو لم ينصب امام وهو عين ما فررتم منه واذا تقرر ان هذا المنصب واجب بالاجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل الحل والعقد فيتعين عليهم نصبه وتجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله والرسول واولى الامر منكم ولا يجوز عقد هذا المنصب لاثنين معا وعليه جمهور العلمآ وقوفا مع ظواهر الاحاديث التى دلت على ذلك فى صحيح مسلم فى كتابة الامارة وذهب اخرون الى ان ذلك انما هو فى البلد الواحد او فى حال تقاربهما واما عند التباعد وقصور الامام عن البلد الشاسع فيجوز نصب اخر هنالك للقيام بالمصالح ومن المشاهير الذين نقل عنهم ذلك الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى شيخ المتكلمين ومال اليه امام الحرمين فى كتاب الارشاد وربما يظهر من اراء الاندلسيين والمغاربة لجنوح الى ذلك فقد كان العلماء بالاندلس متوافرين وبايعوا لبنى امية ولقبوا الناصر عبد الرحمن منهم وابناءه بامير المومنين التى هى سمة الخلافة كما ياتى وكذا الموحدون بعدهم بالمغرب وقد رد بعضهم ذلك بالاجماع وهو غير ظاهر اذ لو كان هناك اجماع لم يخالفه الاستاذ ابو اسحق ولا امام الحرمين فهم اقعد بمعرفة الاجماع نعم رد على الامام المازرى والنووى وقوفا مع ظواهر

الاحاديث كما قلناه وربما احتج لذلك بعض المتاخرين بدليل التمانع الذى فى التنزيل وهو قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ولا ينهض الاستدلال على ذلك بالاية الكريمة لان دلالتها عقلية نبهنا الله عليها ليحصل لنا التوحيد الذى امرنا باعتقاده بدليل عقلىّ فيكون ارسخ ومطلوبنا فى باب الامامة المنع من نصب امامين وهو شرعى تكليفى فلا يتم الاستدلال بها الا ان يقررها شرعية بزيادة مقدمة اخرى وهى ان التعدد ينشا عنه الفساد ونحن ممنوعون مما يجرّ اليه ويصير الاستدلال بها حينيذ شرعيا والله اعلم واما شروط هذا المنصب فهى اربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضا مما يوثر فى الراى والعمل واختلف فى شرط خامس وهو النسب القرشى فاما اشتراط العلم فظاهر لانه انما يكون منفذا لاحكام الله اذا كان عالما وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يكفى من العلم الا ان يكون مجتهدا لان التقليد نقص والامامة تستدعى الكمال فى الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب دينى ينظر فى ساير المناصب التى هى شرط فيها فكان اولى باشتراطها فيه ولا خلاف فى انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفى انتفايها بالبدع الاعتقادية خلاف واما الكفاية فهو ان يكون جريا على اقامة الحدود واقتحام الحروب جسيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها عارفا بالعصبية واحوال الدها قويا على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وسياسة الدنيا وتدبير المصالح واما سلامة الحواس والاعضا من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يوثر فقده من الاعضاء فى العمل كفقد اليدين والرجلين والانثيين

فتشترط السلامة منها كلها لتاثير ذلك فى تمام عمله وقيامه ما جعل اليه وان كان انما يشين فى المنظر فقط كفقدان احدى هذه الاعضاء فيشترط منه شروط الكمال ويلحق بفقدان الاعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه فى اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة كالاسر وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الحجز باستيلاء بعض اعوانه عليه من غير عصيان ولا مشقة فينتقل النظر فى حال هذا المستولى فان جرى على حكم الدين والعدل وحميد السياسة جاز اقراره والا استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع علته حتى ينفذ فعل الخليفة واما النسب القرشى فلاجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قريش على الانصار لما هموا يوميذ ببيعة سعد بن عبادة وقالوا منا امير ومنكم امير بقول الله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش وبان النبى صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم ونتجاوز عن مسيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فحجوا الانصار ورجعوا عن قولهم منا امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا فى الصحيح لا يزال هذا الامر فى قريش وامثال هذه الادلة كثير الا انه لما ضعف امر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبما انفقهم الدولة فى ساير اقطار الارض عجزوا لذلك عن حمل الخلافة وتغلب عليهم الاعاجم وصار الحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى نفى اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر فى ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى ذو زبيبة وهذا لا تقوم به حجة فى ذلك فان خرج مخرج التمثيل

والفرض للمبالغة فى ايجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر لو كان سالم مولى ابى حذيفة حيا لوليته او لما داخلنى فيه الظنة وهو ايضا لا يفيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابى ليس بحجة وايضا فمولى القوم منهم وعصبية الولاء حاصلة بسالم بن قريش وهى الفايدة فى اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة وراى شروطها كانها مفقودة فى ظنه عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من الولاء المفيد للعصبية كما نذكر ولم يبق الا صراحة النسب فراه غير محتاج اليه اذ الفايدة فى النسب انما هى العصبية وهى حاصلة من الولاء وكان ذلك حرصا من عمر على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا تلحقه به لايمة ولا عليه فيه عهدة ومن القايلين بنفى اشتراط القرشية القاضى ابو بكر الباقلانى لما ادرك عليه عصبية قريش من التلاشى والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا لراى الخوارج لما راى عليه حال الخلفاء لعهده وبقى الجمهور على القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشى ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ويرد عليهم سقوط شرط الكفاية التى بها يقوى على امره لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع ولنتكلم الان فى حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب فى هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمة فى اشتراط النسب القرشى ومقصد الشارع منه لم نقتصر فيه على التبرك بوصلة النبى صلى الله عليه وسلم كما هو فى المشهور وان

كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلا لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد اذن من مصلحة في اشتراط النسب هي المقصودة في مشروعيته واذا سبرنا وقسمنا لم نجدها الا اعتبار العصبية الة تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة واهلها وينتظم حبل الالفة فيها وذلك ان قريشا كانوا انف مضر واصلهم واهل الغلب منهم وكان لهم على ساير مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان ساير العرب يعرفون لهم ذلك ويستكينون لغلبهم فلو قد جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبايل مضر أن يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكره فتتفرق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيلون حينيذ بدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم اهل العصبية القوية ليكون ابلغ في انتظام الملة واتفاق الجماعة واذا انتظمت كلمتهم انتظم بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم ساير العرب وانقادت الامم سواهم الى احكام الملة ووطيت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في ايام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى ان اضمحل امر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك من احوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب

السير وغيره واذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو لرفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا ان الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا امة علمنا ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبية فاشترطنا فى القايم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم ويجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعمر ذلك فى الاقطار والافاق كما كان فى القرشية اذ الدعوة الاسلامية التى كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا ساير الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله فى الخلافة لم يعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نايبا عنه فى القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم ويرجعهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر من لا قدرة له عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب فى شان النساء وانهن فى كثير من الاحكام الشرعية جعلن تبعا للرجال ولم يدخلن فى الخطاب بالوضع انما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الامر شى وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا فى العبادات التى كل واحد فيها قايم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامر امة او جيل الا من غلب عليهم وقل ان يكون الامر الشرعى مخالفا للامر الوجودى والله تعالى اعلم

فصل فى مذاهب الشيعية فى حكم الامامة

اعلم ان الشيعة لغة لهم هم الصحب والاتباع ويطلق فى عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع على وبنيه رضى الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه ان الامامة ليست

من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القايم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز للنبي اغفاله ولا تفويضه الى الامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكباير والصغاير وان عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل اكثرها موضوع او مطعون في طريقه او بعيد عن تاويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص عندهم الى جلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعليّ مولاه قالوا ولم تطرد هذه الولاية الا في علي ولهذا قال له عمر اصبحت مولى كل مومن ومومنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم اقضاكم علي ولا معنى للامامة الا القضاء باحكام الله وهو المراد باولي الامر الواجبة طاعتهم من الله بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم والمراد الحكم والقضاء ولهذا كان حكما في قضية الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الامر من بعدي فلم يبايعه الا علي ومن الخفي عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة براءة في الموسم حين انزلت فانه بعث بها اولا ابا بكر ثم اوحى اليه ليبلغه رجل منك او من قومك فبعث عليا ليكون القارئ المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي وايضا فلم يعرف انه قدم احدا على علي واما ابو بكر وعمر فقد قدم عليهما في غزاتين اسامة بن زيد مرة وعمرو بن العاص اخرى وهذه كلها عندهم ادلة شاهدة بتعيين عليّ للخلافة دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تاويلهم ثم منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيين علي وتشخيصه ولذلك تنقل

منه الى من بعده وهولا هم الامامية ويتبرّون من الشيخين حين لم يقدّموا عليا ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص ويغمصون فى امامتهما ولا نلتفت الى نقل القدح فيهما من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه الادلة انما اقتضت تعيين على بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه وهولا هم الزيدية ولا يتبرون من الشيخين ولا يغمصون فى امامتهما مع قولهم ان عليا افضل منهما لكنهم يجوّزون امامة المفضول مع وجود الافضل ثم اختلف هولا الشيعة فى مساق الخلافة بعد على فمنهم من ساقها فى ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد على ما نذكره بعد وهولا يسمون الامامية نسبة الى مقالتهم باشتراط معرفة الامام وتعينه فى الايمان وهو اصل مذهبهم ومنهم من ساقها فى ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيعة وبشرط ان يكون الامام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا ويخرج داعيا الى امامته وهولا هم الزيدية نسبة الى صاحب المذهب وهو زيد بن على بن الحسين السبط وقد كان يناظر اخاه محمد الباقر على اشتراط الخروج فى الامام فيلزمه الباقر ان لا يكون ابوهما زين العابدين اماما لانه لم يخرج ولا تعرّض للخروج وكان مع ذلك ينعى عليه مذاهب المعتزلة واخذه اياها عن واصل بن عطا ولما ناظر الامامية زيدا فى امامة الشيخين وراوه يقول بامامتهما ولا يتبراء منهما رفضوه ولم يجعلوه من الايمة وبذلك سموا رافضة ومنهم من ساقها بعد على او ابنيه السبطين على اختلافهم فى ذلك الى اخيهما محمد بن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاه وبين هذه الطوايف اختلافات تركناها اختصارا وفيهم طوايف يسمون الغلاة تجاوزوا حدود العقل والايمان فى

القول بالاهية هولا الايمة اما على انه بشر اتصف بصفات الالوهية وان الاله حل فى ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذاهب النصارى فى عيسى عليه الصلاة والسلام ولقد حرق على رضى الله عنه بالنار من ذهب الى ذلك فيه منهم وسخط محمد بن الحنفية المختار بن ابى عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح بلعنه والبراة منه وكذلك فعل جعفر الصادق بمن بلغه مثل ذلك عنه ومنهم من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقل روحه الى امام اخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ ومن هولا الغلاة من يقف عند واحد من الايمة لا يتجاوزه الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهولا الواقفية فبعضهم يقول هو حى لم يمت الا انه غايب عن اعين الناس ويستشهدون لذلك بقصية الخضر قيل مثل ذلك فى على رضى الله عنه وانه فى السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وقالوا مثله فى محمد ابن الحنفية وانه فى جبل رضوى من ارض الحجاز قال شاعرهم كثير

الا ان الايمة من قريش ولاة الحق اربعة سواء
على والثلاثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر وسبط غيبته كرب لاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الجيش يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثنى عشرية منهم يزعمون ان الثانى عشر من ايمتهم وهو محمد بن الحسن العسكرى ويلقبونه المهدى دخل فى سرداب بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج اخر الزمان فيملا الارض عدلا يشيرون بذلك الى الحديث الواقع فى كتاب الترمذى فى المهدى

وهم الى الان ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قربوا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجون الامر الى الليلة القابلة وهم على ذلك لهذا العهد وبعض هولا الواقفية يقول ان الامام الذى مات يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع فى القران الكريم من قصة اهل الكهف والذى مر على قرية وقتيل بنى اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التى امروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التى وقعت على طريق المعجزة فلا يصح الاستشهاد بها فى غير موضعها وكان من هولا السيد الحميرى ومن شعره فى ذلك

اذا ما المرء شاب له قذال ... وعلله المواشط بالخضاب
فقد ذهبت بشاشته واودى ... فقم يا صاح نبك على الشباب
فليس بعايد ما فات منه ... الى احد الى يوم الاياب
الى يوم يتوب الناس فيه ... الى دنياهم قبل الحساب
ادين بان ذلك دين حق ... وما انا فى النشور بذى ارتياب
كذاك الله اخبر عن اناس ... حيوا من بعد درس فى التراب

وقد كفانا مؤنة هولا الغلاة ايمة الشيعة فانهم لا يقولون بها ويبطلون احتجاجاتهم عليها فاما الكيسانية فساقوا الامامة من بعد محمد الحنفية الى ابنه ابى هاشم وهولا الهاشمية ثم افترقوا فمنهم من ساقها بعده الى اخيه على ثم الى ابنه الحسن بن على واخرون زعموا ان ابا هاشم لما مات بارض الشراة منصرفا الى الشام اوصى الى محمد بن على بن عبد الله بن عباس واوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح واوصى هو الى اخيه عبد

الله ابى جعفر الملقب بالمنصور وانتقلت فى ولده بالنص والعهد واحد بعد واحد الى اخرهم وهذا مذاهب الهاشمية القايمين بدولة بنى العباس وكان منهم ابو مسلم وسليمان بن كثير وابو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية وربما يعضدون ذلك بان حقهم فى هذا الامر يصل اليهم من العباس لانه كان حيا عند الوفاة وهو اولى بالوراثة بعصبية العمومية واما الزيدية فساقوا الامامة على مذاهبهم فيها وانها باختيار ايمة الحل والعقد لا بالنص فقالوا بامامة على ثم ابنه الحسن ثم اخيه الحسين ثم ابنه على زين العابدين ثم ابنه زيد بن على وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعيا الى الامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل بالجوزجان بعد ان اوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز وتلقب بالمهدي وجات عساكر المنصور فهزم وقتل وعهد بالامر الى اخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن على فزحف اليهم المنصور فى عساكره وقواده فهزم وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق قد اخبرهم بذلك كله وهى معدودة فى كراماته وذهب اخرون منهم الى ان الامام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن على بن عمر وعمر هو اخو زيد بن على فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسيق الى المعتصم فحبسه ومات فى محبسه وقال اخرون من الزيدية ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه عيسى الذى حضر مع ابراهيم بن عبد الله فى قتاله مع المنصور ونقلوا الامامة فى عقبه واليه انتسب داعى الزنج كما نذكره فى اخبارهم وقال اخرون من الزيدية ان الامام

بعد محمد بن عبد الله اخوه ادريس الذى فر الى المغرب ومات هنالك وقام بامره ابنه ادريس بن ادريس واختط مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوكا بالمغرب الى ان انقرضوا كما نذكر فى اخبارهم وبقى امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم الداعى الذى ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط واخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة فى الديلم الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر وعمر اخو زيد بن على فكانت لبنيه فى طبرستان دولة وتوصل الديلم من سببهم الى الملك والاستبداد على الخلفا ببغداد كما نذكر فى اخبارهم واما الامامية فساقوا الامامة من على الوصى الى ابنه الحسن بالوصية ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه على زين العابدين ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقوها الى ولده اسمعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها الى ابنه موسى الكاظم وهم الاثنى عشرية لوقوفهم عند الثانى عشر من الايمة وقولهم بغيبته الى اخر الزمن كما مر واما الاسماعيلية فقالوا بامامة اسمعيل الامام بالنص من ابيه جعفر الصادق وفايدة النص عليه عندهم وان كان قد مات قبل ابيه انما هى بقا الامامة فى عقبه كقصة هرون مع موسى صلوات الله عليهما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسمعيل الى ابنه محمد المكتوم وهو اول الايمة المستورين لان الامام عندهم قد لا تكون له شوكة فيستتر وتكون دعاته ظاهرين اقامة الحجة على الخلق واذا كانت له شوكة ظهر واظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر المصدق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو اخر

المستورين وبعده ابنه عبيد الله المهدى الذى ظهر داعيته ابو عبد الله الشيعى فى كتامه وتابعه الناس على دعوته ثم اخرجه من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو معروف فى اخبارهم ويسمى هولا الاسماعيلية نسبة الى القول بامامة اسماعيل ويسمون ايضا الباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن اى المستور ويسمون ايضا الملحدة لما فى ضمن مقالاتهم من الالحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح فى اخر المائة الخامسية وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها الى ان توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك الططر بالعراق فانقرضت ومقالات هذا الصباح فى دعوته مذكورة فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى واما الاثنى عشرية وربما خصوا باسم الامامية عند المتاخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم بن جعفر لوفاة اخيه الاكبر اسمعيل الامام فى حياة ابيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه على الرضا الذى عهد اليه المامون ومات قبله فلم يتم له امر ثم ابنه محمد التقى ثم ابنه على الهادى ثم ابنه حسن العسكرى ثم ابنه محمد المهدى المنتظر الذى قدمنا ذكره وفى كل واحد من هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير لان هذه اشهر مذاهبهم ومن اراد استيعابها ومطالعتها فعليه بكتب الملل والنحل لابن حزم والشهرستانى وغيرهما ففيها بيان ذلك والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء

فصل فى معنى البيعة

اعلم ان البيعة هى العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد اميره على انه يسلم اليه النظر فى امر نفسه وامور المسلمين

لا ينازعه فى شى من ذلك ويطيعه فيها يكلفه به من الامر على المنشط والمكره وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا ايديهم فى يده توكيدا للعهد فاشبه ذلك فعل البايع والمشترى فسمى بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة بالايدى هذا مدلولها فى عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد بالحديث فى بيعة النبى صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحيث ما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفا ومنه ايمان البيعة لان الخلفا كانوا يستحلفون على هذا العهد ويستوعبون الايمان كلها لذلك فسمى هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكراه فيها اغلب ولهذا لما افتى مالك رضى الله عنه بسقوط يمين الاكراه انكرها الولاة عليه وراوها قادحة فى ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضى الله عنه واما البيعة المشهورة لهذا العهد فهى تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل اطلق عليها اسم البيعة التى هى العهد على الطاعة مجازا لما كان الخضوع فى التحية والتزام الاداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صار حقيقة عرفية استغنى بها عن مصافحة ايدى الناس التى هى الحقيقة فى الاصل لما فى المصافحة لكل احد من التنزل والابتذال المنافيين للرياسة وصون المنصب الملوكى الا فى الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك فياخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير اهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة فى العرف فانه اكيد على الانسان معرفته لما يلزمه من حق سلطانه وامامه ولا تكون افعاله عبثا ومجانا واعتبر ذلك من افعالك مع الملوك والله القوى العزيز

فصل فى اللقب بامير المومنين وانه من سمات الخلافة

وهو محدث منذ عهد الخلفا وذلك انه لما بويع ابو بكر

رضى الله عنه كان الصحابة وساير المسلمين يسمونه خليفة رسول الله ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك فلما بويع لعمر رضى الله عنه بعهده اليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله وكانهم استثقلوا هذا اللقب لطوله وكثرة اضافاته وانه تزيد فيما بعد دايما الى ان ينتهى الى الهجنة ويذهب منه التمييز بتعدد المضافات وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب الى سواه مما يناسبه ويدعى به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فعيل من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبى صلى الله عليه وسلم امير مكة وامير الحجاز وكان الصحابة ايضا يدعون سعد بن ابى وقاص امير المسلمين لامارته على جيش القادسية وهو معظم المسلمين يوميذ واتفق ان بعض الصحابة نادى عمر رضى الله عنه باسم امير المومنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال اول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيل بريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسال عن عمر ويقول اين امير المومنين وسمعها اصحابه فاستحسنوه وقالوا اصبت والله اسمه انه امير المومنين حقا فدعوه به وذهب لقبا له فى الناس وتوارثه الخلفا من بعده سمة لا يشاركهم فيها احد سواهم ساير دولة بنى امية ثم ان الشيعة خصوا عليا رضى الله عنه باسم الامام نعتا له بالامامة التى هى اخت الخلافة وتعريضا بمذهبهم فى انه احق بامامة الصلاة من ابى بكر كما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده فكان كلهم يسمى بالامام ما داموا يدعون لهم فى الخفا حتى اذا يستولون على الدولة يحولون اللقب فيمن بعده الى امير المومنين كما فعله

شيعة بنى العباس فانهم ما زالوا يدعون ايمتهم بالامام الى ابراهيم الذى جهروا بالدعا له وعقدوا الرايات للحرب على امره فلما هلك دعى اخوه السفاح بامير المومنين وكذا الرافضة بافريقية ما زالوا يدعون الايمة من ولد اسمعيل بالامام حتى انتهى الامر لعبيد الله المهدى وكانوا ايضا يدعونه بالامام ولابنه ابى القسم من بعده فلما استوثق لهما الامر دعوا من بعدهما امير المومنين وكذا الادارسة بالمغرب كانوا يدعون ادريس بالامام وابنه ادريس الاصغر كذلك وهكذا شانهم وتوارث الخلفا هذا اللقب بامير المومنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز والشام والعراق المواطن التى هى ديار العرب ومراكز الدولة واصل الملة والفتح وازداد لذلك فى عنفوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفا يتميز به بعضهم عن بعض لما فى امير المومنين من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا لاسمايهم الاعلام عن امتهانها فى السنة السوقة وصونا لها عن الابتذال فتلقبوا بالسفاح والمنصور والهادى والمهدى والرشيد الى اخر الدولة واقتفى اثرهم فى ذلك العبيديون بافريقية ومصر وتجافى بنو امية عن ذلك اما بالمشرق قبلهم فجريا مع الغضاضة والسذاجة لان العروبية ومنازعها لم تفارق حينيذ ولم تتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة واما بالاندلس فتقليدا لسلفهم مع ما علموه من انفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن الخلافة التى استاثر بها بنو العباس ثم بالعجز عن ملك الحجاز اصل العرب والملة والبعد عن دار الخلافة التى هى مركز العصبية وانهم انما منعوا بامارة القاصية انفسهم من مهالك بنى العباس حتى اذا جآ عبد الرحمن الاخر منهم وهو الناصر بن الامير عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لاول المآية الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالى

وعسفهم فى الخلفا بالعزل والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفا بالمشرق وافريقية وتسمى بامير المومنين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذهبا لقن عنه ولم يكن لابايه وسلف قومه واستمر الحال على ذلك الى ان انقرضت عصبية العرب اجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالى من العجم على بنى العباس والصنايع على العبيديين بالقاهرة وصنهاجة على امر افريقية وزناتة على المغرب وملوك الطوايف بالاندلس على امر بنى امية واقتسموه وافترق امر الاسلام فاختلف مذاهب الملوك بالمغرب والمشرق فى الاختصاص بالالقاب بعد ان تسموا جميعا باسم السلطان فاما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفا يخصونهم بالقاب تشريفية يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعضد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك وبها الملك وذخيرة الملك وامثال هذه وكان العبيديون ايضا يخصون بها امرآ صنهاجة فلما استبدوا على الخلفا قنعوا بهذه الالقاب وتجافوا عن القاب الخلافة ادبا معها وعدولا عن سماتها المختصة بها شان المتغلبين المستبدين كما قلناه قبل ونزع المتاخرون من اعاجم المشرق حتى قوى استبدادهم الملك وعلا كعبهم فى الدولة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة الى انتحال الالقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور وزيادة الى القاب كانوا يختصون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن ربقة الولاء والاصطناع بما اضافوها الى الدين فقد يقولون صلاح الدين اسد الدين نور الله واما ملوك الطوايف بالاندلس فاقتسموا القاب الخلافة وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر

والمنصور والمعتمد والمظفر وامثالها كما قال ابن شرف ينعى عليهم ذلك

مما يزهدنى فى ارض اندلس اسماء معتمد فيها ومعتضد
القاب مملكة فى غير موضعها كالهر يحكى انتفاخا صورة الاسد

وقد مر ذكرهما واما صنهاجة فاقتصروا على الالقاب التى كانت خلفاء العبيديين يلقبونهم بها للتنويه مثل نصير الدولة وسيف الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما ادالوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعدت الشقة فيهم وبين الخلافة ونسوا عهدها فنسوا هذه الالقاب واقتصروا على اسم السلطان وكذا شان مغراوة بالمغرب لم ينتحلوا شيا من هذه الالقاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة ولما محى اسم الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبايل البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فملك العدوتين وكان من اهل الخير والاقتدا نزعت همته الى الدخول فى طاعة الخليفة تكميلا لمراسم دينه فخاطب المستظهر العباسى واوفد عليه ببيعته عبد الله بن العربى وابنه القاضى ابا بكر من مشيخة اشبيلية يطلبان توليته اياه على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا اليه بعهد الخليفة له على المغرب واستشعار زيهم فى لبوسه ورايته وخاطبه فيه بامير المسلمين تشريفا له واختصاصا فاتخذها لقبا ويقال انه كان دعى له بامير المسلمين من قبل ادبا مع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتحال الدين واتباع السنة وجاء المهدى على اثرهم داعيا الى الحق اخذا بمذاهب الاشعرية ناعيا على اهل المغرب عدولهم عنها الى تقليد السلف فى ترك التاويل لظواهر الشريعة وما يؤول اليه ذلك كما هو معروف من مذهب الاشعرية وسمى اتباعه الموحدين تعريضا بذلك التكبير

وكان يرى راى اهل البيت فى الامام المعصوم وانه لا بد منه فى كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمى بالامام اولا لما قلناه من مذهب الشيعة فى القاب خلفايهم واردف بالمعصوم اشارة الى مذهبه فى عصمة الامام وتنزه عنه اتباعه عن امير المومنين اخذا بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولما فيها من مشاركة الاغمار والولدان من اعقاب اهل الخلافة يوميذ بالمشرق والمغرب ثم انتحل عبد المومن ولى عهده الملقب بامير المومنين وجرى عليه من بعده خلفاء بنى عبد المومن وال ابى حفص بافريقية من بعدهم استيثارا به عن سواهم لما دعى اليه شيخهم المهدى من ذلك وانه صاحب الامر واولياوه من بعده كذلك دون كل احد لانتفاء عصبية قريش وتلاشيها فكان ذلك دابهم ولما انتقض الامر بالمغرب وانتزعه زناتة ذهب اولوهم مذاهب البداوة والسذاجة واتباع لمتونة فى انتحال اللقب بامير المسلمين ادبا مع رتبة الخلافة التى كانوا على طاعتها لبنى عبد المومن اولا ولبنى ابى حفص من بعدهم ثم نزع المتاخرون منهم الى اللقب بامير المومنين وانتحلوه لهذا العهد استبلاغا فى منازع الملك وتتميما لمذاهبه وسماته والله غالب على امره .

فصل فى مراتب الملك والسلطان والقابهما

اعلم ان السلطان فى نفسه ضعيف يحمل امرا ثقيلا فلا بد له من الاستعانة بابناء جنسه واذا كان يستعين بهم فى ضرورة معاشه وساير مونه فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وعباده وهو محتاج الى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم والى كف عدوان بعضهم عن بعض فى انفسهم بامضاء الاحكام الوازعة فيهم وكف العدوان عنهم فى اموالهم حتى

باصلاح سابلتهم والى حملهم على مصالحهم وما يعمهم به البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من تفقد المعايش والمكاييل والموازين حذرا من التطفيف والى النظر في السكة لحفظ النقود الة يتعاملون بها من الغش والى سياستهم بما يريده منهم من الانقياد له والرضى بمقاصده فيهم وانفراده بالمجد دونهم فيتحمل من ذلك فوق الغاية من معاناة قلوب بالرجال ثم الاستعانة اذا كانت باولى القربى من اهل النسب او التربية او الاصطناع القديم للدولة كانت اكمل لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقه في الاستعانة قال تعالى اجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازرى واشركه في امرى وهو اما ان يستعين في ذلك بسيفه او بقلمه او برايه ومعارفه او بحجابه عن الناس ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن النظر في مهماته او يدفع النظر في الملك كله اليه ويعول في كفايته في ذلك واضطلاعه به فلذلك قد توجد لرجل واحد وقد تفرق في اشخاص وقد يتفرع كل واحد منها الى فروع كثيرة كالقلم يتفرع الى قلم الرسايل والمخاطبات وقلم الصكوك والاقطاعات والى قلم المحاسبة وهو صاحب الجباية والعطا وديوان الجيش وكالسيف يتفرع الى صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية الثغور ثم اعلم ان الوظايف السلطانية في هذه الملة الاسلامية مندرجة تحت الخلافة لاشتمال منصب الخلافة على الدين والدنيا كما قدمناه فالاحكام الشرعية متعلقة بجميعها وموجودة لكل واحدة منها في ساير وجوهها لعموم تعلق الحكم الشرعي بجميع افعال العباد فالفقيه ينظر في مرتبة الملك والسلطان وشروط تقليدها استبدادا على الخلافة وهو معنى السلطان او تفويضا منها وهو معنى الوزارة عندهم كما ياتي في حدود نظره في الاحكام والاموال وساير

السياسات مطلقا او مقيدا وفى موجبات العزل ان عرضت وغير ذلك من معانى الملك والسلطان وكذا فى ساير الوظايف التى تحت الملك والسلطان من وزارة او جباية او ولاية لا بد للفقيه من النظر فى جميع ذلك لما قدمناه من انسحاب حكم الخلافة الشرعية فى الملة الاسلامية على رتبة الملك والسلطان الا ان كلامنا فى وظايف الملك والسلطان ورتبته انما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر لا بما يخصها من احكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما علمت فلا نحتاج الى تفصيل احكامها الشرعية مع انها مستوفاة فى كتب الاحكام السلطانية مثل كتاب القاضى ابى الحسن الماوردى وغيره من اعلام الفقهاء فان اردت استيعابها فعليك بمطالعتها هنالك وانما تكلمنا فى الوظايف الخلافية وافردناها لنميز بينها وبين الوظايف السلطانية فقط لا لتحقيق احكامها الشرعية فليس من غرض كتابنا فانا انما نتكلم فى ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران فى الوجود الانسانى والله الموفق الوزارة وهى ام الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق الاعانة فان الوزارة ماخوذة اما من الموازرة وهى المعاونة او من الوزر وهو الثقل كانه يحمل مع مفاعله اوزاره واثقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كنا قدمنا فى اول الفصل ان احوال السلطان وتصرفاته لا تعدو اربعة انحا لانها اما ان تكون فى امور حماية الكافة واسبابها من النظر فى الجند والسلاح والحروب وساير امور الحماية والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير المتعارف فى الدول القديمة بالمشرق ولهذا العهد بالمغرب واما ان تكون فى امور مخاطباته لمن بعد عنه فى المكان والزمان وتنفيذه الاوامر فيمن هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب واما ان تكون فى امور جبايته للمال وانفاقه وضبط ذلك

مع جميع وجوهه ان يكون بمضيعة وصاحب هذا وهو صاحب المال والجباية وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرق واما ان يكون فى مدافعة الناس ذوى الحاجات عنه ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن مهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذى يحجبه فلا تعدوا احواله هذه الاربعة بوجه وكل خطة او رتبة من رتب الملك والسلطان فاليها ترجع الا ان الارفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف الذى هو يقتضى مباشرة السلطان دايما او مشاركته فى كل صنف من احوال ملكه واما ما كان خاصا ببعض الناس او ببعض الجهات فيكون دون الرتبة الاخرى كقيادة ثغر او ولاية او النظر فى امر خاص كحسبة الطعام او النظر فى السكة فان هذه كلها نظر فى احوال خاصة فيكون صاحبها تبعا لاهل النظر العام وتكون رتبته مروسة لاوليك وما زال الامر فى الدول قبل الاسلام هذا حتى اذا جاء الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت هذه الخطط كلها بذهاب رسم الملك الا ما هو طبيعى من المعاونة بالراى والمفاوضة فيه فلم يمكن زواله اذ هو امر لا بد منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه ويفاوضهم فى مهماته العامة والخاصة ويختص مع ذلك ابا بكر بخصوصيات اخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول واحوالها فى كسرى وقيصر والنجاشى يسمون ابا بكر وزيره ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسذاجة الاسلام وكذا عمر مع ابى بكر وعلى وعثمان مع عمر واما حال الجباية والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم برتبة لان القوم كانوا عربا اميين لا يحسنون الكتاب ولا الحساب فكانوا يستعملون فى الحسبان اهل الكتاب او افرادا من موالى العجم من يجيده وكان قليلا فيهم واما اشرافهم فلم

يكونوا يجيدونه لان الامية كانت صفتهم الله امتازوا بها وكذا حال المخاطبات وتنفيذ الامور لم يكن عندهم رتبة خاصة للامية الله فيهم والامانة العامة فى كتمان القول وتاديته ولم تحوج السياسة الى اختياره لان الخلافة انما هى دين وليست من السياسة الملكية فى شى وايضا فلم تكن الكتابة صناعة فيستجاد للخليفة احسنها لان الكل كانوا يعبّرون عن مقاصدهم بابلغ العبارات ولم يبق الا الخط فكان الخليفة يستنيب فى كتابه متى عنّ له من يحسنه واما مدافعة ذوى الحاجات عن ابوابهم فكان محظورا بالشريعة فلم يفعلوه فلما انقلبت الخلافة الى الملك وجات رسوم السلطان والقابه كان اول شى بدا به فى الدولة شان الباب وسده دون الجمهور لما كان يخشون على انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعلى وبمعوية وعمرو بن العاص وغيرهم مع ما فى فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب وقد جا ان عبد الملك لما ولى حاجبه قال له وليتك حجابة بابى الا عن ثلاثة الموذن للصلاة فانه داعى الله وصاحب البريد فامر ما جا به وصاحب الطعام ليلا يفسده ثم استفحل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين فى امور القبايل والعصايب واستيلافهم واطلق عليه اسم الوزير وبقى امر الحسبان فى الموالى والذميين واتخذ للسجلات كاتب مخصوص حوطة على ساير اسرار السلطان ان تشتهر فتفسد سياسته مع قومه ولم يكن بمثابة الوزير لان انما احتيج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذى هو الكلام اذا اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك ارفع رتبتهم يوميذ هذا ساير دولة

بنى امية فكان النظر للوزير عاما فى احوال التفويض والمفاوضات وساير امور الحمايات والمطالبات وما يتبعها من النظر فى ديوان الجند وفرض العطايا لاهله وغير ذلك فلما جات دولة بنى العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم شان الوزير وصار اليه النيابة فى انفاذ الحل والعقد وتعينت مرتبته فى الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت الرقاب وجعل له النظر فى ديوان الحسبان لما تحتاج اليه خطته من قسم الاعطيات فى الجند فاحتاج الى النظر فى جمعه وتفريقه واضيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر فى القلم والترسيل لصون اسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذياع والشياع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعا لخطتى السيف والقلم وساير معانى الوزارة والمعاونة حتى لقد دعى جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد اشارة الى عموم نظره وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من المراتب السلطانية كلها الا الحجابة لله فى القيام على الباب فلم تكن له الاستنكافة عن مثل ذلك ثم جاء فى الدولة العباسية شان الاستبداد على الخلفاء وتعاور فيها استبداد الوزراء مرة والسلطان اخرى وصار الوزير اذا استبد محتاجا الى استنابة الخليفة اياه لذلك لتصح الاحكام الشرعية وتجرى على حالها كما تقدم فانقسمت الوزارة حينيذ الى وزارة تنفيذ وهى حال ما يكون السلطان قايما على نفسه والوزير كالوكيل فى تنفيذ احكامه والى وزارة تفويض وهى حال ما يكون الوزير مستبدا عليه وقد فوض اليه الخليفة جموع امور خلافته وجعلها لنظره واجتهاده وجرى حينيذ الخلاف فى العقد لوزيرين معا بوزارة التفويض مثل ما جرى من العقد لامامين معا وقد تقدم فى الاحكام الخلافية ثم استمر الاستبداد وصار الامر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة ولم يكن لاوليك المتغلبين ان

ينتحلوا القاب الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء فى اللقب لانهم خول لهم فتسموا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى امير الامراء وبالسلطان الى ما يحليه به الخليفة من القابه كما تراه فى القابهم وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاها للخليفة فى خاصته ولم يزل هذا الشان عندهم الى اخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصار صناعة ينتحلها بعض الناس فامتهنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولانهم عجم وليس تلك البلاغة هى المقصود من لسانهم فتخير لها من ساير الطبقات واختصت به وصارت خادمة الوزير واختص اسم الامير بصاحب الحروب والجند وما يرجع اليها ويده مع ذلك عالية على اهل الرتب وامره نافذ فى الكل اما نيابة او استبدادا واستمر الامر على هذا ثم جات دولة الترك اخرا بمصر فراوا الوزارة قد ابتذلت بترفع اوليك عنها ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور ونظره مع ذلك معقب بنظر الامير فصارت مرؤسة ناقصة فاستنكف اهل هذه الرتبة العالية فى الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الاحكام والنظر فى الجند يسمى عندهم بالنايب لهذا العهد واختص اسم الوزير عندهم بالنظر فى الجباية واما دولة بنى امية بالاندلس فابقوا اسم الوزارة فى مدلوله اول الدولة ثم قسموا خطته اصنافا وافردوا لكل صنف وزيرا فجعلوا لحسبان المال وزيرا وللترسيل وزيرا وللنظر فى حوايج المتظلمين وزيرا وللنظر فى احوال اهل الثغور وزيرا وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم وينفذون امر السلطان هنالك كل فيما جعل له وافرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان فى كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشان هذا الى اخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على ساير الرتب حتى صار ملوك الطوايف ينتحلون لقبها فاكبرهم

يوميذ يسمى الحاجب كما نذكره ثم جات دولة الشيعة بافريقية وقيروان وكان للقايميين بها رسوخ فى البداوة فاغفلوا امر هذه الخطط اولا وتنقيح اسمايها حتى ادركت دولتهم الحضارة فصاروا الى تقليد الدولتين قبلهم فى وضع اسمايها كما تراه فى اخبار دولتهم ولما جات دولة الموحدين من بعد ذلك اغفلت الامر اولا للبداوة ثم صارت الى انتحال الاسماء والالقاب وكان اسم الوزارة فى مدلوله ثم اتبعوا دولة الامويين وقلدوها فى مذاهب السلطان واصاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان فى مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود فى تحيتهم وخطابهم والاداب اللة تلزم فى الكون بين يديه ورفعوا خطة الحجابة عنه ما شاوا ولم يزل الشان ذلك الى هذا العهد واما فى دولة الترك بالمشرق فيسمون هذا الذى يقف بالناس على حدود الاداب فى اللقاء والتحية فى مجلس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه يسمونه الدوادار ويضيفون اليه استتباع كاتب السر واصحاب البرد المتصرفين فى حاجات السلطان بالقاصية وفى الحضرة وحالهم على ذلك لهذا العهد والله متولى الامور الحجابة قد قدمنا ان هذا اللقب كان مخصوصا فى الدولة الاموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم او يفتحه لهم على قدرة وفى مواقيته وكانت هذه منزلة يوميذ عن الخطط مروسة لها اذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا لساير ايام بنى العباس والى هذا العهد فهى بمصر مروسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنايب واما فى دولة بنى امية بالاندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطه بينه وبين الوزراء فمن دونهم فكانت فى دولتهم رفيعة غاية كما تراه فى اخبارهم كابن حُدير وغيره من حجابهم ثم لما جاء الاستبداد على الدولة اختص المستبد باسم

الحجابة لشرفها فكان المنصور بن ابى عامر وابناءه كذلك ولما بدوا فى مظاهر الملك واطواره جاء من بعدهم من ملوك الطوايف فلم يتركوا لقبها وكان يعدّونه شرفا لهم وكان اعظمهم ملكا بعد انتحال القاب الملك واسمايه لا بد له من ذكر الحاجب وذى الوزارتين يعنون به السيف والقلم ويدلون بالحجابة على حجابة السلطان عن العامة والخاصة وبذى الوزارتين على جمعة لخطتى السيف والقلم ثم لم يكن فى دول المغرب وافريقية ذكر لهذا الاسم للبداوة التى كانت فيهم وربما يوجد فى دولة العبيديين بمصر عند استغلاظها وحصارتها الا انه قليل ولما جات دولة الموحدين لم تستمكن فيها الحضارة الداعية الى انتحال الالقاب وتمييز الخطط وتعيينها بالاسماء الا اخرا فلم يكن عندهم من الرتب الا الوزير فكانوا اولا يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان فى خاص امره كابن عطية وعبد السلام الكومى وكان له مع ذلك النظر فى الحسبان والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفا فى دولتهم يوميذ واما بنو ابى حفص بافريقية فكانت الرياسة فى دولتهم اولا والتقدم لوزير الراى والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له النظر فى الولايات والعزل وقود العساكر والحروب واختص الحسبان والديوان برتبة اخرى سمى متوليها بصاحب الاشغال ينظر فيها النظر المطلق فى الدخل والخرج ويحاسب ويستخلص الاموال ويعاقب على التفريط وكان من شرطه ان يكون من الموحدين واختص عندهم القلم ايضا بمن يجيد الترسيل ويوتمن على الاسرار لان الكتابة لم تكن من منتحل القوم ولا الترسيل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزقين فى داره الى قهرمان خاص بداره فى احواله يجريها على

قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة ونفقة فى المطابخ والاسطبلات وغيرها وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه فى ذلك على اهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما اضافوا له كتاب العلامة على السجلات اذا اتفق ان يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستمر الامر على ذلك وحجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين اهل الرتب كلهم ثم جمع له اخر الدولة السيف والحرب ثم الراى والمشورة فصارت الخطة ارفع الرتب واوعبها للخطط ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثانى عشر منهم ثم استبد بعد ذلك حافده السلطان ابو العباس على نفسه واذهب اثار الحجر والاستبداد باذهاب خطة الحجابة التى كانت سلما اليه وباشر اموره كلها بنفسه من غير استعانة باحد والامر فى ذلك لهذا العهد واما دول زناتة بالمغرب واعظمها دولة بنى مرين فلا اثر لاسم الحاجب عندهم واما رياسة الحرب والعساكر فهى للوزير ورتبة القلم فى الحسبان والرسايل راجعة الى من يحسنها من اهلها وان اختصت ببعض البيوت من المصطنعين فى دولتهم وقد تجمع عندهم وقد تفرق واما باب السلطان وحجبه عن العامة فهى رتبة عندهم يسمى صاحبها بالمزوار ومعناه المقدم على الجنادرة المتصرفين بباب السلطان فى تنفيذ اوامره وتصريف عقوباته وانزال سطواته وحفظ المعتقلين فى سجونه والعريف عليهم فى ذلك فالباب له واخذ الناس بالوقوف عند الحدود فى دار العامة راجع اليه فكانه وزارة صغرى واما دولة بنى عبد الواد فلا اثر عندهم لشى من هذه الالقاب ولا تمييز الخطط لبداوة دولتهم وقصورها وانما يخصون باسم الحاجب فى بعض الاحوال منفذ الخاص بالسلطان فى داره كما كان فى دولة بنى ابى حفص وقد يجمعون له الحسبان والسجلات كما كان فيها

حملهم على ذلك تقليد الدولة كما كانوا فى بيعتها وقايمين بدعوتها مذ اول امرهم واما اهل الاندلس لهذا العهد فالمخصوص عندهم بالحسبان وتنفيذ حال السلطان وساير الامور المالية يسمونه بالوكيل واما الوزير فكالوزير الا انه قد يجمع له الترسيل والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خطة للعلامة كما لغيرهم من الدول واما دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من اهل الشوكة وهم الترك ينفذ الاحكام بين الناس فى المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التى لها الحكم فى اهل الدولة وفى العامة على الاطلاق وللنايب التولية والعزل فى بعض الوظايف على الاحيان ويقطع القليل من الارزاق ويثبتها وينفذ اموره ومراسمه كما ينفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان وللحجاب الحكم فقط فى طبقات العامة والجند عند الترافع اليهم واجبار من لا ينقاد للحكم وطورهم تحت طور النيابة والوزير فى دولة الترك هو صاحب جباية الاموال فى الدولة على اختلاف اصنافها من خراج او مكس او جزية ثم تصريفها فى الانفاقات السلطانية او الجرايات المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل فى ساير العمال الباشرين لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين اصنافهم ومن عوايدهم ان يكون هذا الوزير من صنف القبط القايمين على ديوان الحسبان والجباية لاختصاصهم بذلك فى مصر منذ عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الاحيان لاهل الشوكة من رجالات الترك او ابنايهم على حسب الداعية لذلك والله مدبر الامور ومصرفها بحكمته لا اله الا هو

CORRIGENDA.

Pag.	٢ l. 12	Loco	مَكُثْ	legendum	مَكُثَ
—	٤ l. 11	—	يَسْتَخْرِجُ	—	يَسْتَخْرِجُ
—	٧ l. 5	—	تُوخِذْنَا	—	تُؤَاخِذْنَا
—	٨ l. 9	—	أُورِثْتُمْ	—	أُورِثْتُمْ
—	٩ l. 8	—	يَكْتُمُونَ	—	يَكْتُمُونَ
—	١٠ l. 1	—	يَتَبَاعُونَ	—	يَبْتَاعُونَ
—	» l. 9	—	هُبِجَ	—	هُيِجَ
—	١٤ l. 4	—	أَرْتَأَى	—	أَرْتَأَى
—	١٥ l. 10	—	عوا	—	عُوا
—	١٦ l. 15	—	الفَس	—	الفَرَس
—	١٨ l. 13	—	مَن	—	مِن
—	١٩ l. 6	—	ابقاوه	—	أبقاوه
—	« l. 8	—	لَكُمْ	—	لَكُمْ
—	٢١ l. 10	—	مَاشَدَةٌ	—	مَاسَدَةٌ
—	« l. 15	—	أَمَّا	—	أَمَّا
—	٢٣ l. 1	—	هٰذة	—	هٰذه
—	« l. 3	— Delendum est signum ، ante وَهِيَ			
—	٢٦ l. 10	—	نَتَصَرَّفُ	—	نَتَصَرَّفُ
—	٢٧ l. 13	— Post الله ponendum signum ،.			
—	٣٤ l. 5	— Pro دينار legendum درهم			
—	٤٠ l. 8	—	مقدّم	—	مقدّم
—	٤١ l. 11	—	وأستحسن	—	وأستحسن
—	٤٤ l. 6	—	وناح	—	وناخ
—	٤٦ l. 8	—	فبعث	—	فبعثت

Pag.	l.	Loco	legendum
۴۸	6	جباك	حياك
۵۱	10	مُكْروه	مَكْروه
۵۲	15	وحلّ	وحُلّ
۵۳	15	عطاء	عطاء
۵۴	8	قَماش	قُماش
۵۵	16	اغْوَر	أَعْوَر
۶۶	7	اجا	اخا
۶۸	12	موقّتْ	موقّتُ
۷۰	1	تَغْفُو	تَعْفُو
«	15	اميرَ	اميرَ المومنين
۷۲	4	مشهودا	مشهورا
۷۹	10	وجحدنى	وجعدنى
۸۵	2	وضع	ووضع
۸۷	8	وهى	وهَى
«	13	بُلى	بَلَى
۹۱	17	وحوه	وجوه
۹۴	17	مشُورة	مَشْوَرة
۹۸	23	ويخلف	وتخلّف
۱۰۰	6	وسار اليها	وساروا اليها
۱۰۱	19	الاحتربن	الاحترين
۱۰۵	4	يطعمة	يطمعه
۱۰۹	19	الخناقية	الخناقية
۱۱۰	7	الفاجر	الفاخر
۱۱۳	1	التوقير	التوفير
«	6	الاحصر	الاخضر
۱۱۵	7	من أى	فى ذى
۱۱۷	8	حيدر	خندر
۱۱۹	6	القصد	قصد
۱۳۱	19	الفوافل	القوافل

Quibus autem intelligendis ne subsidia omnino deessent, grammaticam et breviorem et facilem intellectu conscribere, simul textum Arabicum animadversionibus maximam partem grammaticis, quae grammaticae istius regulis consentaneae essent, illustrare in animo habebam. Quod consilium vehementer probandum ut mutarem, quum rerum mearum tenuitas, qua impensae in tantum opus faciendae impar essem, tum animi mei conditio, qua jam ad alia studia vocarer, impulit.

Animadversiones, quibus editorum varia loca grammatice illustrarentur, et grammaticam tironum usui aptam edendi quod ceperam consilium, non quidem prorsus abjeci, et quae semper erat Dei optimi maximi summa in me clementia, qua vires operi faciendo necessarias suppeditabat, non est cur perficere non sperem; at vero quum talis sit vitae meae conditio, ut quo tempore res a me perfici possit, sim incertus, libellum hunc, cujus major pars jam dudum perfecta erat, non amplius, quin in lucem emitterem, apud me retinendum putavi, sperans fore, ut, qui propositis exemplis studiose et diligenter uterentur, inde utilitatem caperent.

Scribebam Bonnae Idibus Martiis 1834.

Selecta ex historia Halebi Parisiis, alias post edidi, herois illius in Oriente et apud nos celeberrimi, qui Francorum tum temporis in Palaestina imperium Hierosolymis expugnatis fregit, Saladini praecipue in Syria res gestae narratae sunt.

Tertio loco ex opere historico viri Ahmed Almokri appellati, agendi ratio moresque Arabum in Hispania degentium descripti sunt.

Loco denique quarto ex libro Ahbd-Alrahmani ben-Muhammedis Ebn-Chalduni (†808), quem in historiam prolegomena appellare licet, scriptum est de Chalifatu seu imperatoris Muhammedi succedentis dignitate, Imamatu seu summi sacerdotis principatu, de doctrina sectae Schiitarum, quae spectat summum sacerdotium, de sacramento regi dicendo, de regis nomine, quo princeps fidelium appellabatur, de muneribus, quibus alii apud regem fungebantur, et regum cognominibus.

In edendis autem locis, excepto ultimo, quum praeter unum nullus ad manum fuerit codex, quae res edenti magnam exhibet molestiam, si singula aut non omnino perspicua aut non omnibus numeris perfecta videantur, veniam quaeso dent mihi viri docti.

Quibus a me editis multa alia addere, olim erat in animo, tractatis enim locis variis, stylo prosaico scriptis, pergere volebam ad prosam orationem, quam dicunt rhythmicam seu homoioteleuto ornatam, libro denique finem impositurus, varia quum discentibus prosae rhythmicae tum faciliora tum difficiliora exempla proposuissem, carminibus et antiquissimi et novissimi temporis.

pertractatis, id potissimum erit agendum, ut quamprimum discentibus gentis Arabicae admirabile ingenium et singularis agendi ratio ante oculos ponatur, qua quidem re nil potest esse aut aptius ad litterarum illarum amorem inflammandum aut efficacius ad studium discendi, ex quo omnis docendi successus pendet, et excitandum et augendum et conservandum.

Locmani autem fabulae, quibus legendis et interpretandis in studium linguae Arabicae introduci solet, magis ob rerum meliorum defectum, quam quod rei sint convenientes, in istum usum electae videntur. Quid, quod a Graecis habuerint originem, neque sermonis aut puritate aut elegantia insignes. Tironibus igitur ad interpretandum aptiores res propositurus e codice Havniensi narratiunculas quasdam et bene scriptas et intellectu faciles, quibus Arabum tum cogitandi tum agendi ratio depingitur, elegi.

Quae autem ad historiam pertinentia sequuntur, et nescio an aut gravioris momenti aut ad discendum magis excitans reperiatur res ulla, ea argumenti, quod paucis indicare liceat, varietate distinguuntur.

Primo loco, quem ex libro scriptoris paene omnibus noti Fachr-Aldini Alrasi (nat. anno 543, mort. anno 606 Hedjr.) depromsi, quae debent esse regis, propriae res tractantur et ratio, qua cum populo jungitur (p. 84-96).

Secundo (p. 97-138) ex libro Cemal-Aldini (nat. anno 588, mort. anno 660 Hedjr.) Subdat-Alhalab min Tarich-Halab inscripto, cujus priorem partem in libro

runt exempla, ea in lexicis ubicunque obvia sunt quaerentibus. Sequuntur paragrapho secunda verbi regularis, coniugationum, quas dicunt, formae, tertia verbi regularis tribus litteris compositi temporum, modorumque personae, quarta eadem coniugationum exempla. A quinta usque ad nonam verborum irregularium exempla leguntur, paragrapho autem decima et undecima verborum duplici modo irregularium. Paragrapho duodecima verbum ليس et quae laudandi, vituperandi, admirandi a grammaticis appellantur verba, exposita sunt. Paragraphus decima tertia et sequentes nominibus tum a verbo primitivo tum a coniugationibus et verbis irregularibus derivandis concessae sunt. In paragrapho decima sexta nomina, quae a grammaticis vicis, speciei, temporis etc. appellantur, proposita sunt, in paragrapho decima septima adiectivi et comparandi formae inveniuntur. Paragraphis autem decima octava et decima nona participiorum tum activi tum passivi verbi formae continentur, ultimum formarum locum a paragrapho vicesima usque ad finem pluralium irregularium seu nominum collectivorum exempla tenent.

Non autem sum nescius, in illis a me propositis exemplis inde tironibus intelligendi quandam difficultatem oriri, quod a reliquo sermone disjuncta inter se non sint connexa. Quae quidem res, quanquam nobis molesta, tamen summa cura non prorsus evitari potuit, magistrorum autem auxilio aut omnino tollitur aut saltem diminuitur.

Tum grammaticae formis studiose diligenterque

taedium movet, ei a legendis scriptoribus aut est abstinendum, aut minus, quam decet, praeparato accedendum.

Prior enim ille discendi modus quantum in se habeat molestiae et quam parum conveniat in Academiis nostris adhibendae docendi rationi, nemo non videt. Huc accedit, ut studiis hisce, quorum tum utilitatem tum difficultatem pauci tantum praesentiant, neque otii neque laboris satis concedatur. Alter vero discendi modus quum vel docenti vel discenti multum affert molestiae, tum id incommodi dat, quod illius linguae studiosus, nisi, quas formarum quasi oras leviter tantum praetervectus sit, eas denuo revisens, ut earum effigies memoriae tabulae et accuratius et firmius imprimat, postea laboraverit, doctrinae solidiore fundamento carens in minimis offendat, in multis graviter labatur.

Cui ut mederer duplici incommodo, multa a me e scriptoribus collecta formarum exempla in ordinem grammaticae accomodatum redegi, ut, si quis, memoriae inter legendum singulas grammaticae regulas mandans via praescripta paulatim progressus esset, brevi ad intelligendos scriptores scitu maxime necessarias grammaticae partes animo teneret.

Primum ut, quae essent grammaticae partes, tirones cognoscerent, verborum, nominum particularumque exempla proposui, ad quae interpretanda nil nisi declinationum, quas appellant grammatici regulares, atque pronominum notio requiritur, quae enim verborum quum transitivorum tum intransitivorum occur-

Litterarum Arabicarum Studiosis
Fautoribus Patronis

S. P. D.

G. W. Freytag *Dr.*

Praeclare mihi egisse videntur, qui, ut linguae Arabicae studium promoverent, tironum usui accommodatos libros ediderunt, ut enim, viam si quis falsam ingressus fuerit, aut nunquam aut serius ad locum sibi propositum longis ambagibus multum fatigatus perveniet, sic in linguae Arabicae studio male instituta discendi ratio damno nunquam carebit. Sunt enim, qui nonnisi hanc ob causam aut spe felicis successus abiecta, a via facienda citius deterreantur, aut, si maiore animi vi praediti discendi ardore impellantur vel serius vel nunquam linguae Arabicae accurata atque profunda cognitione potiantur. Qua vero in re quum multis iisque praeclare et summa cura editis libris discendi difficultas neque omnino tolli queat, neque satis diminuta videatur, timendum non esse videtur, ne, quo caeteris novum adiumentum addere ausus sim, opusculum hoc meum tanquam superfluum respuatur.

Maximum autem in discenda lingua Arabica in eo positum videtur impedimentum, quod, qui magnam formarum e grammatica non edidicit partem, id quod multum molestum, nisi varietate mitigatur, discentibus

CHRESTOMATHIA ARABICA

GRAMMATICA HISTORICA

IN

USUM SCHOLARUM ARABICARUM EX CODICIBUS INEDITIS

CONSCRIPTA

A

Georg. Guil. Freytag *Dr.*

Profess. litterar. Oriental. publ. ordin.

BONNAE AD RHENUM

TYPIS REGIIS ARABICIS IN OFFICINA F. BAADENI.

VENDITUR LIPSIAE APUD C. CNOBLOCH

MDCCCXXXIV.